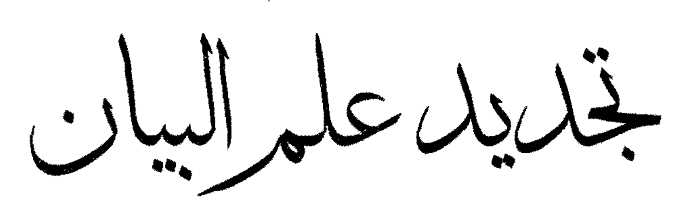


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تجديد
علم البيان
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
دار العلم و المعرفة
مكتبة التقوى ناشرون



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس





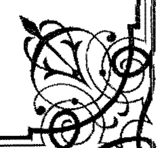
بشواهد الأدب العربي الحديث

تأليف

عمر مصطفاي







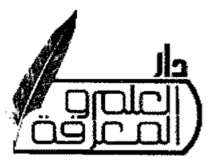


اسم الكتاب	: تجديد علم البيان
تأليف	: عمر مصطفاي
القطع	: ١٧ X ٢٤
عدد الصفحات	: ٣٠٤ صفحة
سنة الطبع	: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م (طبعة جديدة)
الناشر	: مكتبة التقوي ناشرون للطبع والنشر والتوزيع
طباعة	: دار العلم والمعرفة - القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية - مصر
2021/11231
الترقيم الدولي: 978-977-85803-7-2







للطبع والنشر والتوزيع

8 شارع البيطار خلف الجامع الازهر

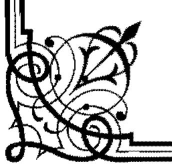
تليفون/ 0020225141704

موبيل/ 00201030025460

الإدارة/ 00201001592271 – 00201223888930

E-mail: dar_altakoa@hotmail.com

E-mail: Almmarfa@gmail.com





الإهـداء

إلى روح أبي الطاهرة..

إلى أمي قرة عيني..

إلى زوجتي الحبيبة..

إلى ولدي العزيز محمد سراج الدين..

وإلى ابنتي الغالية لينة..

إلى كافة أفراد أسرتي...

إلى كل الأقارب، والأصدقاء، والزملاء.. وأخص بالذكر الأساتذة: محمد الأمين حمُّودي، بولنوار كريفيف، محمد بلعيدي، محمد رضوان.

أهدي هذا الكتاب



مقـدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ خير خلق الله، من آتاه الله سحرَ البيان، وخصَّهُ بمعجزة القرآن.

وبعد:

لا أحد ينكرُ أنّ علماءَ البلاغة في مصنّفاتهم قد كرّموا قدماءَ فرسانِ اللسان، وملوكِ البيان بأوسمة الفخر، ورصَّعُوا تيجانهم بجواهر المجد، ولكننا نسأل: ألا يستحق أمراء البيان في عصرنا الحديث بعضَ ما استحقّه أسلافُهم؟

من أجل ذلك، ولأول مرة في تاريخ البلاغة العربية يدرس هذا الكتاب علمَ البيان بشواهد الأدب الحديث فقط (شعرًا ونثرًا)، ليس معنىٰ هذا أننا ممن يدْعُون إلىٰ وضع الشواهد البلاغية القديمة في «المتحف»، فالبلاغة العربية مثل النهر، ومثلما كان النهر العظيم يتدفق من قديم الزمان إلىٰ نهاية الأكوان، ويتّصل مصبه بمنبعه وأصله، فكذلك نهر البلاغة لا يمكن لعاقلٍ أن يُنكر أصوله ومنابعه.

إن الشواهد القديمة - بلا شك - خوالدُ بيانيةٌ رائعة، غير أنها - وإنْ كانت بحقٍّ معجزات - فهي ليست معجزاتِ كُلِّ زمان، فتلك الشواهد القديمة كانت نتاج بيئة قديمة، وعصر قديم، عصرٍ مضىٰ عليه أكثر من ألف سنة.

وإن أجيالنا المعاصرة بحاجة ماسة إلىٰ تحديث، وتجديد الدرس البلاغي بوسَاطة شواهد جديدة نابعة من عصره وبيئته، وذوقه وفطرته، كي يفهم الدرس أولا، ويتذوق شواهده ثانيًا.

لهذا الغرض قمنا بتأليف هذا الكتاب، وبسّطنا قواعده، وقفَّيناها بعشرات الشواهد الأدبية، ما بين تحليل وتطبيق وتمرين.

وفي الأخير نودُّ القول إننا لا ندّعي العصمة من الخطأ، أو البراءة من الزلل، فلله وحده الكمال، وهو وليّ التوفيق.

المؤلف



التَّشْبيه: أَرْكَانُهُ وَأَنْوَاعُه

تعريف التَّشْبِيهِ فِي اللغة: «مَعْنَىٰ التَّشْبِيهِ فِي اللُّغَةِ: التَّمْثِيل، تَقُولُ: شَبَّهْتُهُ إِيَّاهُ، وشَبَّهْتُهُ بِهِ تَشْبِيهًا: مَثَّلْتُه»(١).

التَّشْبِيهُ في الاصطلاح: قَدْ يُقِيمُ البَلِيغ مُمَاثَلَةً، هِيَ في الحقيقةِ تَصْوِيرٌ مِنْ جِهَةِ المَعْنَىٰ، يَقُومُ عَلَىٰ مُقَارَنَةِ شَيْءٍ بِآخَر، كمقارنة الأَمَانِي بِالعَرُوسِ فِي قولِ الشَّاعر اللّبنانيّ مصطفىٰ الغلاييني:

مَنْ نَامَ عَنْ حَقِّهِ لَمْ يُجْدِهِ أَمَلُ ... إِنَّ التَّمَنِّي عَرُوسٌ مَا لَهَا رَجُلُ

أو مقارنة الدموع بالماس في قول بشارة الخوري:

وَرُبَّةَ عَيْنٍ جَمَّلَتْهَا دُمُوعُهَا ... كَمَا جَمَّلَ الحَسْنَاءَ عِقْدٌ مِنَ المَاسِ

أركانُ التَّشْبِيه وطَرَفَاه:

المُشَبَّه: وهو المَوْضُوعُ المَقْصُودُ بالوَصْف، مثل (العُيُون) في قول حفني ناصف:

جَنِّبُونِي ذِكْرَ العُيُونِ فَقَلْبِي ... فِي ارْتِعَاشٍ مِنْ فِعْلِهَا وَارْتِعَادِ

فَهْيَ كَالكَهْرَبَاءِ تُومِي بِلَحْظٍ ... فَتَدُقُّ الأَجْرَاسَ فِي الأَكْبَادِ

ومثل (الفَنّ) في قول توفيق الحكيم: «إِنَّ الفَنَّ صَخْرَةٌ صَلْبَة، عَلَىٰ الفَنَّانِ أَنْ يُفَجِّرَ مِنْهَا المَاءَ الزُّلَال، ولَيْسَ الفَنُّ نَهْرًا جَارِيًا يَغْرِفُ مِنْهُ كُلُّ عَابِرِ سَبِيل».

المُشَبَّهُ بِهِ: وهو الشَّيْءُ الذي يَجْعَلُهُ الأديبُ نَمُوذَجًا، أو مِثَالًا لِلْمُقَارَنَة،

---

(١) فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول (ص ٢٩).

وتكونُ فِيهِ الصِّفَةُ أقْوَىٰ وأوْضَحَ وأقْرَبَ إلىٰ تجْرِبَةِ السَّامِعِ أو القَارِئِ وإدْرَاكِه، مثل (الرِّيشَة) في قول محمود غنيم في قصيدة (المحراث):

يُخَطِّطُ الأرْضَ فِي نَظْمٍ وإتْقَانِ   كَأنَّهُ رِيشَةٌ فِي كَفِّ فَنَّانِ

ومثل (النَّسِيمِ) في قَوْل العلّامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبْرَاهِيمِيّ: «إنَّ الأدِيبَ كالنَّسِيم، يَحْمِلُ العَبِيرَ أيْنَمَا سَار».

ويَعْتَبِرُ عُلَمَاءُ البلاغةِ المُشَبَّهَ، والمُشَبَّهَ بِهِ ركنَيْن، وطَرَفَيْن في فَنِّ التَّشْبِيه.

وَجْهُ الشَّبَه: وهُوَ الصِّفَةُ التي تُسْتَخْلَصُ مِنَ المُقَارَنَاتِ بَيْنَ المُشَبَّه، والمُشَبَّهِ بِه. أو «هُوَ المَعْنَىٰ المُشْتَرَكُ بَيْنَ الطَّرَفَيْن، الجَامِعُ لَهُمَا فِي قَصْدِ المُتَكَلِّم»(١).

ولنطرق الأمثلة الآتية، ونستخلص تلك الصفات:

قال محمود غنيم مخاطبا (السِّلْم) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية:

مَا بَالُ وَجْهِكَ بَعْدَ طُولِ حِجَابِهِ   يَحْكِي وُجُوهَ العَاشِقِينَ شُحُوبَا

لَفَحَتْ لَظَى الحَرْبِ الوُجُوهَ فَطُفْ بِهَا   كَالزَّهْرِ نَفْحًا، وَالنَّسِيمِ هُبوبَا

في البيت الأول شبه الشاعرُ وجهَ السلم بوجوه العاشقين بعد طول غياب الأحبَّة، ووجه الشبه الشُّحوب، وفي البيت الثاني شبه السِّلم بالزَّهر، ووجه الشبه الشذا والنفحة العطرة، كما شبهه بالنسيم، ووجه الشبه اللطافة والطلاقة.

قال خليل مطران:

يَا سَادَةً كَالنُّجُومِ الغُرِّ مَنْزِلَةً   وَسَيِّدَاتٍ كَعِقْدِ الدُّرِّ مَنْظُومَا

الشاعر شبه السادة الممدوحين بالنجوم، ووجه الشبه الرفعة والمكانة والمنزلة، وشبه السيدات الممدوحات بعقد الدر، ووجه الشبه الانتظام والتناسق والانسجام.

---

(١) فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول (ص ١١٤).

قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا يمدح أحد العلماء الوافدين من تونس:

لُـــحْ فِي الجَزَائِـــرِ كَـــالهِلَالِ ضِـــيَاءَ وَانْـــزِلْ كَرِيمًـــا كَالنَّسِـــيمِ صَـــفَاءَ

حيث شبه الشاعر ممدوحه بالهلال، ووجه الشبه السنا والضياء، كما شبهه بالنسيم، ووجه الشبه النقاء والصفاء.

قال أمير شعراء العرب في العصر الحديث:

كَالرُّسْـــلِ عَزْمًـــا وَالمَلَائِـــكِ رَحْمَـــةً وَالأُسْـــدِ بَأْسًـــا والغُيُـــوثِ نَـــوَالَا

فشوقي يشبه لك ممدوحيه بالرُّسُل، ووجه الشبه العزم، ويشبههم بالملائكة، ووجه الشبه الرّحمة، ويشبههم بالأسود، ووجه الشبه الشجاعة والبأس، ويشبههم بالغيث ووجه الشبه النّوال والعطاء.

قال الشاعر الجزائري المبدع محمد جربوعة:

مَـــا ضَـــرَّ صَـــاحِبَةَ الخِمَـــارِ الأَسْـــوَدِ لَـــوْ أَنَّهـــا وَضَـــعَتْ يَـــدًا فَـــوْقَ اليَـــدِ

كَـــالمُونَلِيزَا.. ثُـــمَّ أَرْخَـــتْ جَفْنَهَـــا وَتَبَسَّـــمَتْ فِي صَـــمْتِهَا لِ (مُحَمَّـــدِ)؟

الشاعر كما ترىٰ يشبه مَن يتغزل بها بالمُونليزا (الجيُوكندا)، التي برع في رسمها فنان إيطاليا (ليوناردو دافنشي)، ووجهُ الشبه كما هو مشهور في الصورة حركةُ اليد، ومظهرُ العين (النظرة)، والابتسامةُ السّاحرة.

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في وصف شعر صديقٍ له:

فِي مَعَـــانٍ مِثْـــلِ المَرَايَـــا وُضُـــوحًا وَمَبَـــانٍ مِثْـــلِ الصَّـــبَايَا حُلِيًّـــا

وَسُـــطُورٍ تُمَثِّـــلُ الحُسْـــنَ للـــرَّائِي وَتَحْكِـــي خَـــيْطَ الغَزَالَـــةِ زِيًّـــا

وَشُـــعُورٍ مِثْـــلِ الأَثِـــيرِ رَقِيقًـــا وَطُهُـــورٍ مِثْـــلِ النَّمِـــيرِ زَكِيًّـــا

شبه الشاعر معانيَ شعر صديقه في البيت الأول بالمرايا، ووجه الشبه الوضوح، وشبه مبانيه أي ألفاظه بالصبايا، ووجه الشبه الزينة، وفي البيت الثاني شبه سطور

شِعره بخيوط الغزالة، ووجه الشبه المظهر الجميل أو الزي الحسن، وفي البيت الثالث شبه شعور ممدوحه بالأثير، ووجه الشبه الرقة، كما شبه طهارته ونقاء سريرته بالنمير، وهو الماء الزلال، ووجه الشبه الصفاء.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلِّي مادحًا:

كَـالنَّيِّرَيْنِ سَـنًا وَالفَرْقَـدَيْنِ عُـلًا وَالـدَّجْلَتَيْنِ نَـدًى طَابَـتْ مَجَارِيـهِ

حيث شبه الشاعر الممدوح بالنيرين (الشمس والقمر)، ووجه الشبه السَّنَا والإشراق، وشبهه بالفرقدين (النجم القطبي، ونجمٌ آخرُ بقربه مماثلٌ له)، ووجه الشبه العلوُّ والرفعة، كما شبهه بالدجلتين (والمقصود نهرَا دجلة والفرات)، ووجه الشبه الندىٰ والجود.

وقال أيضًا:

مَـا بَـالُ لَيْلِـي كَيَـوْمِ الحَشْـرِ سَـاعَتُهُ يَقْضِـي الزَّمَـانُ وَلَا أَرْجُـو تَقَضِّـيهِ

فالشاعر شبه ليله بيوم الحشر، ووجه الشبه كما هو واضح الامتداد والطول.

قال أديب لبنان ميخائيل نعيمة: «مِنَ التَّشَابِيهِ المَأْلُوفَةِ تَشْبِيهُنَا الشَّيءَ بالرِّيشَةِ إذَا هُوَ بَالَغَ فِي خِفَّةِ الوَزْن، ثُمَّ تَشْبِيهُنَا مَا لَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الاسْتِقْرَارِ بِرِيشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيح، وإنِّي لأَسْتَعِينُ بالتَّشْبِيهِ الأخِيرِ لأنْقُلَ إلىٰ أذْهَانِكُمْ صُورَةَ العَالَمِ كَمَا يَتَرَاءَىٰ فِي هَذِهِ الأَيَّام، فَهُوَ فِي نَظَرِي كالرِّيشَةِ فِي مَهَبِّ الزَّعَازِعِ الهُوجِ، الَّتِي تَجْتَاحُهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وصَوْب».

فالكاتب كما ترىٰ يشبه العالم في أيّامه بالريشة في مهب الريح، فمثلما الريشة لا تصمد، ولا تستقر، وهي تحت رحمة الرياح، فكذلك العالم مضطرب تحت رحمة الحروب، ووجه الشبه بين الريشة والعالَم هو عدم الاستقرار، وعدم الثبات، (الاضطراب، والثوران).

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي في مناجاته للقمر: «أَيُّهَا القَمَرُ المُنِيرُ إنَّ بَيْنِي وبَيْنَكَ شَبَهًا: أَنْتَ وَحِيدٌ في سَمَائِك، وأنَا وَحِيدٌ في أَرْضِي».

فالكاتب كما رأيت قد شبه نفسه بالقمر، وذلك في صفة الوَحدة، والتفرّد، الاغتراب.

ويرىٰ علماء البيان أنّ وجه الشبه يكون أظْهَرَ وأشْهَرَ في المشبّه به عنه في المشبّه، مثل صفة التَّجمّع والتّدفّق في قولِ علي الجارِم في المديح:

مُتَجَمِّعِينَ كَأَنَّهُمْ سِرْبُ قَطَا مُتَدَفِّقِينَ كَأَنَّهُمْ أَنْهَارُ

لعلَّكَ أدركتَ أنّ صفة التَّجمُّع والاحتشاد أبْرز وأظْهر في المشبّه به (سِرْب القَطَا) منها في المشبّه (قَوْم الشَّاعِر)، وكذلك صِفة التَّدفّق، فهي بلا شكّ أوْضَحُ في النَّهر منها في قوم الشّاعر.

ويقولُ البلاغيّون إنّ وجه الشّبه هو المعنىٰ الذي يشترك فيه طرفا التّشبيه تَحْقِيقًا، أو تَخَيُّلا، ونشرحُ ذلك فنقول: التّحقيقُ مأخوذٌ من الحقيقة، مثل قول مصطفىٰ صادق الرافعي في المديح:

فِي حِلْمِ عُثْمَانٍ وهَيْبَةِ حَيْدَرٍ وعَدْلِ أَبِي حَفْصٍ وعَزْمِ أَبِي بَكْرِ

فالشاعر قد شبّه ممدوحه بعثمانَ بنِ عفّان، ووجه الشبه الحِلمُ، ثم شبّهه بعليّ بنِ أبي طالب، ووجه الشبه الهيبة، ثم شبّهه بعمرَ بنِ الخطاب، ووجه الشبه العدل، وأخيرًا شبَّهه بأبي بكر الصديق، ووجه الشبه العزم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهذه الصفات الجامعة بين المشبه والمشبه بهم هي علىٰ حقيقتها موجودة في المشبه، وإنما يقع الفرق بين المشبه والخلفاء الراشدين من جهة قوة هذه الصفات وضعفها، أو زيادتها ونقصانها.

والمرادُ بالتَّخَيُّلِ أنَّهُ لا يمكن وَاقِعًا، أوْ حَقِيقَةً وجود وجه الشّبه في المشبّه

به إلَّا علىٰ سبيلِ التَّخَيُّل، ومثاله قول الأديب أحمد حسن الزيات في وصف جوِّ (المنصورة) في الخريف: «وَلِلأَبْكَارِ وَالعَشَايَا أَنْسَامٌ طَيِّبَةُ الشَّمِيم، كَأَنَّمَا تُنْقَلُ مِنْ رِيَاضِ الفِرْدَوْس»، فالكاتب شبه نسائم الجو في (المنصورة) بنسائم رياض الفردوس، وذلك فقط حين تخيّل الفردوسَ ونسائمَ رياضه.

ومثلها في قول الأديب الكبير محمد المويلحي: «دَخَلْنَا رَوْضَةً تَجْرِي الأَنْهَارُ مِنْ بَيْنِهَا، كَأَنَّهَا الجَنَّةُ بِعَيْنِهَا». فالكاتب لم يشبه الروضة بالجنة إلّا بعد تخيُّل المشبه به، أي تخيل الجنة.

ومثل قول المنفلوطي: «الغَدُ شَبَحٌ مُبْهَم، يَتَرَاءَىٰ للنَّاظِرِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيد، فَرُبَّمَا كَانَ مَلَكًا رَحِيمًا، ورُبَّمَا كَانَ شَيْطَانًا رَجِيمًا». نقول إن الكاتب في هذا التشبيه قد تخيّل الشّبح، كما تخيّل المَلَك، والشّيطان.

وإليك مثالًا طريفًا عن حالة التخيّل، قال نزار قباني في بعض نثريَّاته: «إنَّ القَصِيدَةَ طَائِرٌ أُسْطُورِيٌّ يَحْمِلُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ التَّارِيخَ والحَيَاةَ والكُرَةَ الأَرْضِيَّةَ ويَطِير، يَظَلُّ الصَّيَّادُونَ يَرْمُونَ شِبَاكَهُمْ، ويَبْقَىٰ الشِّعْرُ - هَذَا الوَحْشُ الجَمِيلُ - يَقْفِزُ عَلَىٰ الشَّجَر، وعَلَىٰ القَمَر، ويَمُدُّ لِسَانَهُ لِجَمِيعِ صَيَّادِيه». نقول إنّ هذا الطائر الخرافيّ لا وجود له إلا في خيال الأديب.

أَدَاةُ التَّشْبِيه: وهي الكَلِمَةُ التي تَدُلُّ علىٰ مَعْنَىٰ التَّشْبِيه: (حَرْفًا، أو اسْمًا، أَوْ فِعْلًا)، وأداة التّشبيه، ووجه الشّبه رُكْنَانِ في التّشبيه، لا طَرَفَانِ فيه، والفرق بين الرُّكْنِ والطَّرَفِ أَنّ الأَخير لا يمكن أَنْ يُقام تشبيه من دُونه، أمّا الرُّكْنُ فيمكن قيام أَيِّ تشبيه من دون وجوده، بلْ إنّ حذفهُ أَبلغ من وجوده.

أدوَاتُ التَّشْبِيه:

الكاف: وهي الأصل في التّشبيه، كقول إيليا أبي ماضي:

كَالبَدْرِ حُسْنًا، كَالغَمَامِ سَمَاحَةً ‏ ‏ ‏ ‏ كَالغُصْنِ غَضًا، كَالحُسَامِ صَقِيلا

كأنّ: كقول بدر شاكر السيّاب في الوصف:

وَرَنَّـــاتُ أَجْــرَاسِ القَطِيــعِ كَأَنَّهَــا تَنَهُّــدُ أَقْــدَاحٍ عَلَــى ثَغْــرِ شَــاعِرِ

مِثْل: كقول أبي القاسم الشابي مخاطبا الظالمَ المستبدَّ:

فَاهْـدِمْ فُـؤَادِي مَـا اسْـتَطَعْتَ، فَإِنَّـهُ سَــيَكُونُ مِثْــلَ الصَّــخْرَةِ الصَّــمَّاءِ

يُشْبِهُ: كقول محمود غنيم:

فَمَــا الشُّــعُوبُ بِــلَا فَــنٍّ وَلَا أَدَبٍ إِلَّا دُمًى تُشْــبِهُ الأَحْجَــارَ وَالخَشَــبَا

أَشْبَه: كقول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

الجَهْــلُ أَشْــبَهُ بِــالغُرَابِ فَمَــا لَــهُ مِــنْ مَــنْزِلٍ غَــيْرَ الخَــرَابِ البَلْقَــعِ

تَشَابَهَ: كقول إبراهيم اليازجي:

إِذَا مَضَــتِ الحَيَــاةُ عَلَــى رُقَــادٍ تَشَــابَهَتِ المَضَــاجِعُ وَالقُبُــورُ

شِبْه: كقول خليل مطران:

وَتُبْـدِي لَنَــا الأَغْصَــانُ شِــبْهَ تَحِيَّــةٍ وَتَسْــتَقْبِلُ الأَرْوَاحُ أَوْجُهَنَــا لَثْمَــا

يَحْكِي: كقول شاعر لبنان إلياس عبد الله طعمة:

أَفْــدِي الَّــتِي حَكَــتِ الصَّــبَاحَ تَبَلُّجَــا وَالطَّــيْرَ صَــوْتًا وَالمِيَــاهَ تَمَوُّجَــا

يُحَاكِي: كقول إيليا أبي ماضي في وصف السيارة:

فَغَــدَتْ تُحَــاكِي السَّــهْمَ مُنْطَلِقًــا فِي جَرْيِهَــا وَالطَّيْــفَ إِذْ يَسْــرِي

يضاهي: كقول مفدي زكريا مخاطبا شهر (نوفمبر) المجيد:

وذَكَّرْتَنَــا فِي الجَزَائِــرِ بَــدْرًا فَقُمْنَــا نُضَــاهِي صَــحَابَةَ بَــدْرِ

أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ باعْتِبَار الأَدَاة: ينقسمُ التَّشْبِيهُ باعْتِبَار الأداةِ إلىٰ:

١- **المُرْسَل**: وهُوَ مَا ذُكِرَتْ فِيهِ الأَدَاة، كقول محمود غنيم في تهنئة أديب:



كَمْ شَاعِرٍ فِيكُمْ كَشَاعِرِ كِنْدَةٍ ... وَمُفَوَّهٍ يَحْكِي خَطِيبَ إِيَادِ[1]

ومنه قول محمد توفيق علي في وصف حسنائه:

مَا عَابَ ثَغْرَكَ أَنْ تَدَافَعَ لَفْظُهُ ... مُتَسَابِقًا كَالخَيْلِ فِي مِضْمَارِ

ثَغْرٌ تَزَاحَمَتِ الحُرُوفُ لِرَشْفِهِ ... كَالنَّحْلِ هَامَ عَلَى جَنَى النَّوَّارِ

٢- **المُؤَكَّد**: وهو ما حُذِفَتْ مِنْهُ الأدَاة، ومعنىٰ (مُؤَكَّد) مَأْخُوذٌ مِنَ التَّأْكِيد، وهو ادِّعَاءُ مُطَابَقَةِ المُشَبَّهِ للمُشَبَّهِ به، وهو أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ المُرْسَل، وأَوْجَز.

ومثاله قول محمود غنيم في وصف الرسول ﷺ:

بَحْرٌ خِضَمٌّ غَيْرَ أَنَّ جُمَانَهُ ... مَا زَالَ سِرًّا دَاخِلَ الأَصْدَافِ

ومنه قول شاعر سوريا بطرس كرامة مخاطبا من يهوىٰ:

أَصْبُو إِلَى البَدْرِ المُنِيرِ لأَنَّهُ ... تِمْثَالُ وَجْهِكِ فِي السَّمَاءِ تَصَوَّرَا

أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ وَجْهِ الشَّبَه:

١- **المُفَصَّل**: وهو ما ذُكر فيه وجهُ الشبه، كقول الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

سَعَوْا يَتَسَارَعُونَ إِلَيْهِ حُبًّا ... كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ خَيْلُ السِّبَاقِ

ومنه قول معروف الرصافي في الغزل:

شَابَهَتْ عَطْفَةَ الغُصُونِ انْثِنَاءً ... وحَكَتْ خَطْرَةَ النَّسِيمِ هُبُوبَا

ومنه في النثر قول توفيق الحكيم: «فالشَّاعِرُ مِثْلُ القَمَر، لا يُعْطِينَا الحَيَاةَ فِي أَشِعَّتِهَا المُحْرِقَة، ووَهَجِهَا الذي يُعْمِي البَصَر، ولكِنَّهُ يَتَلَقَّىٰ بَعْضَ أَشِعَّتِهَا، ويُصَفِّيهَا مِنْ خِلالِ نَفْسِه، ويَعْرِضُهَا عَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ ضَوْءًا جَمِيلًا مُهَذَّبًا، تَرْتَاحُ لَهُ العَيْن، ويَسْبَحُ فِيهِ الذِّهْن، ويَأْنَسُ لَهُ القَلْب».

---

(١) يريد بشاعر كندة (امرأ القيس)، وبخطيب إياد (قس بن ساعدة).

٢- المُجْمَل: وهو مَا حُذِفَ مِنْهُ وَجْهُ الشَّبَه، كقول علي الجارم في وصف الإذاعة:

قَدْ أصْبَحَتْ مَنْهَلًا يَسْعَى لِطَالِبِهِ ... فَاعْجَبْ إلَى مَنْهَلٍ يَسْعَى لِظَمْآنِ!

ومنه قول محمود غنيم في تحية الملك فاروق:

لا قَلْبَ إلَّا أَحْرُفُ اسْمِكَ لَحْنُهُ ... إنْ دَقَّ رَتَّلَهُنَّ فِي دَقَّاتِهِ

ومنه ما جاء علىٰ لسان الأديب اللبناني ميخائيل نُعيمة: «المَأْلُوفُ يَقْبِضُ عَلَىٰ قُلُوبِ النَّاسِ وأفْكَارِهِمْ قَبْضَةَ الأخْطُبُوط».

صُوَرُ التَّشْبِيه: للتَّشْبِيهِ أَرْبَعُ صُوَرٍ هي:

الصُّورَةُ الأُولى: الطَّرَفَانِ، والرُّكْنَان، كَقَوْلِنَا: «مُحَمَّدٌ كالغَيْثِ في الكَرَم».

الصُّورَةُ الثَّانِيَة: الطَّرَفَانِ، ورُكْنٌ وَاحِدٌ هُوَ الأَدَاة، كَقَوْلِنَا: «مُحَمَّدٌ كَالغَيْث».

الصُّورَةُ الثَّالِثَة: الطَّرَفَانِ ورُكْنٌ وَاحِدٌ هُوَ وَجْهُ الشَّبَه، كَقَوْلِنَا: «مُحَمَّدٌ غَيْثٌ في الكَرَم».

الصُّورَةُ الرَّابِعَة: الطَّرَفَانِ فَقَط، كَقَوْلِنَا: «مُحَمَّدٌ غَيْثٌ».

مَرَاتِبُ التَّشْبِيه: للتَّشْبِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِب:

المَرْتَبَةُ الدُّنْيَا: وهيَ الصُّورَةُ الأُولىٰ مِنْ صُوَرِ التَّشْبِيه.

المَرْتَبَةُ الوُسْطَى: وهيَ الصُّورَتَان الثَّانِيَةُ، والثَّالِثَة.

المَرْتَبَةُ العُلْيَا: وهي الصُّورَةُ الرَّابِعَة، وتُسَمَّىٰ التَّشْبِيهَ البَلِيغ، أيْ ادِّعَاءُ الاتِّحَادِ بَيْنَ المُشَبَّهِ، والمُشَبَّهِ به. أيْ أَنَّ المُشَبَّهَ يَكُونُ هُوَ نَفْسُهُ المُشَبَّهَ بِهِ، كقول معروف الرصافي في وصف بلدة (الشاغور):

جَرَى مَاؤُهُ العَذْبُ الزُّلَالُ مُحَاكِيًا ... بِهِ المَاسَ صَفْوًا، أوْ هُوَ المَاسُ نَفْسُهُ

أو هو ذَاتُه، كقول محمد توفيق علي يصف (جَنّات) بلاده مصر:

يَـا مَـنْ يُكَـذِّبُ بِالنُّشُـورِ بِلَادَنَـا ... هَـذِي مِثَـالُ الخُلْـدِ أَوْ هِـيَ ذاتُـهُ

وَالنِّيـلُ نَهْـرُ الكَـوْثَرِ العَـذْبِ الَّـذِي ... جَـاءَتْ لَنَـا فِي المُـنْزَلَاتِ صِـفَاتُهُ

والتشبيه البليغ في مظهرٍ من مظاهره المعنوية أنْ يحكيَ المشبهُ المشبهَ به، ويحكيَ في الوقت نفسه المشبهُ به المشبه، كقول محمد توفيق علي:

لَا شَيْءَ يُشْـبِهُ حُسْـنَهَا وَلَرُبَّمَـا ... حَكَـتِ الرَّبِيـعَ شَـمَائِلًا وَحَكَاهَـا

فالتَّشْبِيهُ البَلِيغُ إذن هُوَ مِنْ مَرَاتِبِ التَّشْبِيهِ أَرْفَعُهَا، ومِنْ أَنْوَاعِهِ أَبْلَغُهَا. كقول نزار قباني:

كُـلُّ شِـعْرٍ مُعَاصِـرٍ لَـيْسَ فِيـهِ ... غَضَـبُ العَصْـرِ نَمْلَـةٌ عَرْجَـاءُ

ومنه قول أبي القاسم الشابي:

إِنَّمَـا النَّـاسُ فِي الحَيَـاةِ طُيُـورٌ ... قَـدْ رَمَاهَـا القَضَـا بِـوَادٍ رَهِيـبِ

ومنه قول الشاعر العراقي معروف الرصافي:

لَهْفِـي عَلَـى حِكَـمٍ مَـا زِلْـتُ أَنْثُرُهَـا ... دُرًّا ثَمِينًـا وَمَـا فِي القَـوْمِ مُلْـتَقِطُ

ومنه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

أَنَامِلُـهُ يَـوْمَ العَطَـاءِ سَـحَائِبٌ ... تَجُـودُ وَلَا بَـرْقٌ هُنَـاكَ وَلَا رَعْـدُ

ومنه قول الشاعر السوري سليمان الصولة:

فَقُلْـتُ وَالثَّغْـرُ مَخْتُـومٌ بِشَـامَتِهِ: ... هَـذَا الرَّحِيقُ الَّـذِي قَـدْ قِيلَ مَخْتُـومُ

ومنه قول أحمد شوقي:

نَظَـرَ الفِـرَاقُ إِلَيْكُمَـا فَطَوَاكُمَـا ... إِنَّ الفِـرَاقَ جَهَـنَّمُ الأَقْـدَارِ

ومِنَ التَّشْبِيهِ البَلِيغِ أنْ يكونَ المُشَبَّهُ بِهِ حَالًا مِنَ المُشَبَّه، ومثاله قول الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

جَبِينُكِ لَاحَ فَجْرًا فِي حِمَاكِ ... وَثَغْرُكِ فَاحَ زَهْرًا مِنْ جَنَاكِ

ومنه قول محمود غنيم في وصف (قلم) ممدوحه:

نَفَثَاتُهُ فِي الطِّرْسِ تُدْعَى أَحْرُفًا ... لَكِنَّهَا فِي القَلْبِ تَنْفُذُ أَسْهُمَا

ومنه قول خليل مطران في وصف فتاة شعرُها أسودُ مخلوطٌ بصهب:

إنْ عَقَدَتْهُ اسْتَقَامَ تَاجًا ... أَوْ أَرْسَلَتْهُ اسْتَطَالَ ذَيْلَا

يَضْحَكُ نَوْرًا يَعْبِسُ ظِلًّا ... يَطْغَى عُبَابًا يَهْمُرُ سَيْلَا

ومنه قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي متغزلًا:

غَنَّيْنَ وِرْقًا وَالْتَفَتْنَ جَآذِرًا ... وَسَفَرْنَ أَقْمَارًا وَمِسْنَ غُصُونَا

ومنه قول الشاعر المصري علي الجارم في الفخر:

نُسُورٌ إذَا طَارُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... وإنْ بَطَشُوا يَوْمَ الوَغَى بَطَشُوا أُسْدَا

ومِنَ التَّشْبِيهِ البَلِيغِ المَصْدَرُ المُبَيِّنُ لِنَوْعِ الفِعْلِ بِطَرِيقَةِ الإضَافَة، كقول شاعر النيل في مكارم الأخلاق:

إنِّي لَتُطْرِبُنِي الخِلَالُ كَرِيمَةً ... طَرَبَ الغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِ

وَتَهُزُّنِي ذِكْرَى المُرُوءَةِ وَالنَّدَى ... بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ المُشْتَاقِ

ومنه قول محمود غنيم يصف سيَّارةً تسير في جوٍّ أمطاره غزيرة، ملأت الأرض بِرَكًا مائية:

تَنْطَلِقُ انْطِلَاقَ سَهْمٍ مَارِقِ ... سَابِحَةً فِي خِفَّةِ الزَّوَارِقِ

ومنه قول معروف الرصافي:

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَرَاكُمْ لِلْعُلَا ... مُتَهَيِّجِينَ تَهَيُّجَ الْبُرْكَانِ

وأَوَدُّ لَوْ تَمْشُونَ مِشْيَةَ وَاحِدٍ ... مُتَكَاتِفِينَ تَكَاتُفَ الإِخْوَانِ

ومنه قول الشاعر السوري أمين الجندي:

فَخُذْ أَحَادِيثَهُمْ عَنِّي مُنَظَّمَةً ... نَظْمَ الفَرَائِدِ فِي سِلْكٍ مِنَ الذَّهَبِ

ومنه قول أبي القاسم الشابي:

خَطَرَتْ تَمْشِي بِرَوْضٍ زَاهِرٍ ... مِشْيَةَ الخَيْلِ بِوَحْلِ السَّبْسَبِ

ومنه قول الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في أطفال الحجارة:

ودَارَ مِقْلَاعُ الطِّفْلِ فِي يَدِهِ ... دَوْرَةَ صُوفِيٍّ مَسَّهُ وَلَعُ

ومنه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي مخاطبًا ممدوحه:

وَقَدْ رَمَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا زَخَارِفَهَا ... رَمْيَ الحَجِيجِ الحَصَى-إِذْ يَنْزِلُونَ مِنَى

ومنه قول خليل مطران:

يُسَرُّ سُرُورَ الطِّفْلِ بِالأُمِّ إِنْ دَنَتْ ... وَيَبْكِي إِذَا بَانَتْ كَطِفْلٍ تَيَتَّمَا

وقوله أيضًا في رثاء أمين فكري:

وَقَفْتُ عَلَى القَبْرِ الَّذِي أَنْتَ نَازِلُهْ ... وُقُوفَ جَبَانٍ بَادِيَاتٍ مَقَاتِلُهْ

ومِنَ التَّشْبِيهِ البَلِيغ إِضَافَةُ المُشَبَّهِ بِهِ إِلىٰ المُشَبَّهِ، ومن روائعه قول محمد توفيق علي في مدح الحبيب المصطفىٰ ﷺ:

فَوْقَ الصِّفَاتِ وَفَوْقَ مَا تَسْمُو لَهُ ... شُهُبُ النُّهَى وَكَوَاكِبُ الأَذْهَانِ

حيث شبه الشاعر النهىٰ (العقول) بالشهب، وشبه الأذهان بالكواكب بإضافة المشبه به (شهب، وكواكب) إلىٰ المشبه (النهىٰ، والأذهان).

ومن خوالده قول بلبل سوريا بطرس كرامة في مدح أديب:

سُحْبُ البَلَاغَةِ مِنْ أَقْلَامِهِ غَدَقَتْ ... دُرًّا وَغَيْثُ الجُودِ مِنْ كَفِّهِ هَتَنَا

فالمشبه في الشطر الأول: البلاغة، والمشبه به: السحب، وفي الشطر الثاني المشبه: الجود، والمشبه به: الغيث. فالملاحظ أن الشاعر في التشبيهين كليهما قد أضاف المشبه به (سحب، وغيث) إلىٰ المشبه (البلاغة، والجود).

ومن بديعه قول كرامة متغزلًا:

هَلَّا رَأَيْتَ غُصُونَ بَانٍ أَطْلَعَتْ ... لَيْلَ الشُّعُورِ عَلَى بُدُورِ جِبَاهِ!

الشطر الأول استعارة تصريحية. وما يهمنا في هذا المقام هو الشطر الثاني، حيث شبه فيه الشاعر الشعور (جمع شعر) بالليل، وشبه الجباه بالبدور علىٰ الطريقة المذكورة، أي إضافة المشبه به (ليل، وبدور) إلىٰ المشبه (الشعور، والجباه).

ومنه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل):

عَقِيقُ ثَغْرِكَ قُلْ لِي أَيْنَ مَعْدِنُهُ ... وَوَرْدُ خَدِّكَ قُلْ لِي أَيْنَ وَادِيهِ؟

فالشاعر حين شبه الثغر بالعقيق، وشبه الخد بالورد ماذا فعل؟ لقد أضاف المشبه به (العقيق، والورد) إلىٰ المشبه (الثغر، والخد).

ومنه في غرض الوصف قول الشاعر السوري أمين الجندي:

وَغَدَا خَطِيبُ الطَّيْرِ يُفْصِحُ مُغْرِيًا ... بِالسَّجْعِ فَوْقَ مَنَابِرِ الأَغْصَانِ

حيث شبه الشاعرُ الطيرَ بالخطيب مضيفا المشبه به إلىٰ المشبه، وكذلك فعل في قوله: (منابر الأغصان).

ومنه في الحكمة قول شاعر مصر محمد توفيق علي في وصف الشيب:

كَوَاكِبُ الشَّيْبِ لَاحَتْ فِي دُجَى الشَّعَرِ ... فَسِرْ عَلَى نُورِهَا فِي حِنْدِسِ العُمُرِ

حيث شبه الشيب بالكواكب، والشعر بالدجىٰ، والعمر بالحندس أو الظلمة، وكان الشاعر في كل مرة يضيف المشبه به إلىٰ المشبه.

ومنه كذلك قول أمير البيان شكيب أرسلان في وصف مليحةٍ:

مُذْ صَوَّبَتْ نَحْوِي سِهَامَ لِحَاظِهَا وَهَنَتْ دُرُوعُ مَفَاصِلِي وَتُرُوسُهَا

ففي الشطر الأول أضاف الشاعر المشبه به (سهام) إلىٰ المشبه (لحاظها)، وفعلَ مثلَ ذلك في الشطر الثاني، حيث أضاف المشبه به (الدروع، والتروس) إلىٰ المشبه (مفاصلي).

ومنه قول أرسلان مادحًا:

وَبَاتَتْ غُصُونُ العِزِّ تَخْطُرُ عِنْدَمَا رَأَتْ فَوْقَهَا طَيْرَ المَعَارِفِ حُوَّمَا

ففي الشطر الأول أضاف الشاعر المشبه به (غصون) إلىٰ المشبه (العز)، وفي الشطر الثاني أضاف المشبه به (طير) إلىٰ المشبه (المعارف).

ومن روائعه قول الشاعر القروي مادحًا:

كَمْ أَلْبَسَتْهُ عَرُوسُ الجِدِّ أَقْمِطَةً وَأَرْضَعَتْهُ عَجُوزُ الصَّبْرِ أَلْبَانَا

فالمشبه في الشطر الأول: الجد، والمشبه به: العروس، وفي الشطر الثاني المشبه: الصبر، والمشبه به: العجوز. ولعلك لاحظت أن الشاعر في التشبيهين كليهما قد أضاف المشبه به (عروس، عجوز) إلىٰ المشبه (الجد، الصبر).

ومنه قول الشاعر المصري حفني ناصف في المدح:

إنْ هَزَّ سَيْفَ يَرَاعِهِ بَيْنَ الوَرَى فَالجَهْلُ أَكْبَرُ جَيْشِهِ مَخْذُولُ

ومن بديعه قوله مخاطبًا أحمد شوقي:

تَسْقِي بِمَاءِ الشِّعْرِ أَشْجَارَ الهَوَى وَتَهُزُّ أَوْرَاقًا لَهُ وَغُصُونَا



ومنه قول أبي القاسم الشابي مخاطبًا الطاغية الظالم:

وَسِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوُجُودِ ... وتَبْذُرُ شَوْكَ الأَسَى فِي رُبَاهْ

ومنه قول الشاعر الجزائري أحمد سحنون:

أَجْدَبَتْ رَوْضَةُ القَرِيضِ وَشَحَّتْ ... مُنْذُ صَارَ حِمَى القَرِيضِ مُبَاحَا

ومنه قول معروف الرصافي في قصيدة (حبّ لبنان):

فَمَنْ لَمْ يَزُرْهُ وهُوَ رَبُّ اسْتِطَاعَةٍ ... تَحَتَّمَ فِي سِجْنِ الحَمَاقَةِ حَبْسُهُ

وقول الرصافي:

وَمَا أنَا فِي وَادِي الخَيَالِ بِهَائِمٍ ... وإنْ كُنْتُ مَعْدُودًا مِنَ الشُّعَرَاءِ



التطبيق الأول

حدّد نوع التشبيه باعتبار الأداة، وباعتبار وجه الشبه في النماذج البلاغية الآتية مع التعليل:

١- قال إيليا أبو ماضي:

زَمَانٌ كَقَلْبِ الطِّفْلِ صَافٍ، وكَالمُنَى لَذِيذٌ، ولَكِنْ كَانَ كَالحُلْمِ فَانِيَا

٢- قال الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمة):

وَقَفْتُ عَلَى الأَمْوَاجِ أَبْكِي وَأَشْتَاقُ وَقَلْبِي كَأَعْلَامِ المَرَاكِبِ خَفَّاقُ

٣- قال بدر شاكر السياب واصفًا:

وَالدَّوْحُ عَصْفَرَهُ الخَرِيفُ وَرَدَّهُ كَالعَاشِقِ المُتَحَرِّقِ المُتَذَلِّلِ

٤- قال محمود غُنيم بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر:

أَتَوْا كَالأُسْدِ إِقْدَامًا وَفَرُّوا وَهُمْ مِثْلُ النَّعَامَةِ فِي الفِرَارِ

٥- وقال محمود غنيم في الذكرى الأربعين لوفاة الشاعر إبراهيم ناجي:

فِيمَ البَقَاءُ وهَؤلاءِ رِفَاقِي يَتَسَاقَطُونَ تَسَاقُطَ الأَوْرَاقِ؟

٦- وقال غنيم في حفل أقيم تكريمًا للدكتور طه حسين:

كَأَنَّ مِدَادَهُ شَهْدٌ مُصَفَّى كَأَنَّ سُطُورَهُ بَسَمَاتُ غِيدِ

٧- قال معروف الرّصافي:

بَسَمَتْ كَوْكَبًا ومَرَّتْ نَسِيمًا وَشَدَتْ بُلْبُلًا وفَاهَتْ خَطِيبَا

٨- قال شاعر المهجر رشيد أيوب في مليحة:

فَكَأنَّمَا العُشَّاقُ آلُ أُمَيَّةٍ ... وَكَأَنَّ طَرْفَكَ أصْبَحَ السَّفَّاحَا

٩- قال محمود غُنيم في وصف شعر صديقٍ له:

بُحُورٌ مِنَ الشِّعْرِ فِي عُمْقِهَا ... ورَحْبِ مَدَاهَا تُحَاكِي البُحُورَا

١٠- قال ناصيف اليازجي في وصف رسائل إخوانية:

القَلْبُ يَعْلَمُ أنَّهُنَّ جَوَاهِرٌ ... والعَيْنُ تَزْعَمُ أنَّهُنّ رَسَائِل

١١- قال الشاعر القروي في الوصف:

فَكَأَنَّ الفَضَاءَ صَدْرٌ رَحِيبُ ... وَكَأَنَّ الهِلَالَ فِيهِ وِسَامُ

١٢- قال محمود غنيم في وصف إحدىٰ المُدن:

كَمْ فِي حَدَائِقِهَا الفَيْحَاءِ مِنْ فَنَنٍ ... كَذيْلِ ثَوْبٍ عَلَى الحَسْنَاءِ مُنْسَدِلِ

إنْ أنْسَ، لَمْ أنْسَ إجَاصًا نَعِمْتُ بِهِ ... كَالقَلْبِ فِي شَكْلِهِ، أحْلَى مِنَ العَسَلِ

١٣- وقال محمود غنيم:

بَلْ كُنْتَ مِثْلَ النَّجْمِ، يَطْوِي أفْقَهُ ... والعَيْنُ تَحْسَبُهُ يَسِيرُ وَئِيدَا

١٤- وقال غنيم:

لا يَخْدَعَنَّكُمُ الشَّبَابُ فَإنَّهُ ... لَيَمُرُّ مِثْلَ البَرْقِ فِي الإسْرَاعِ

١٥- قال معروف الرصافي:

ولا تَبْتَئِسْ بِالدَّهْرِ إنَّ خُطُوبَهُ ... سَحَابَةُ صَيْفٍ لا تَدُومُ ثَوَانِيَا

المثال	التشبيه باعتبار الأداة	التعليل	التشبيه باعتبار الوجه	التعليل
١	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
٢	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
٣	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
٤	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
٤	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
٥	مؤكد	حذف الأداة	مجمل	حذف الوجه
٦	مرسل	ذكر الأداة	مجمل	حذف الوجه
٧	مؤكد	حذف الأداة	مجمل	حذف الوجه
٨	مرسل	ذكر الأداة	مجمل	حذف الوجه
٩	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
١٠	مؤكد	حذف الأداة	مجمل	حذف الوجه
١١	مرسل	ذكر الأداة	مجمل	حذف الوجه
١٢	البيت الأول: مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
١٢	البيت الثاني: مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
١٣	مرسل	ذكر الأداة	مفصل	ذكر الوجه
١٤	مؤكد	حذف الأداة	مفصل	ذكر الوجه
١٥	مؤكد	حذف الأداة	مفصل	ذكر الوجه

التطبيق الثاني

حدد صُورة التشبيه مع التعليل، ومرتبته في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة في حسناء رآها في روضة:

وَحَنَتْ لِتَنْشَقَ وَرْدَةً فَرَأَيْتُهَا أُخْتًا تُقَبِّلُ أُخْتَهَا بِتَوَجُّدِ

٢- وقال إلياس عبد الله طعمة:

فِي غُصْنِ قَامَتِهَا مَا شِئْتُ مِنْ ثَمَرٍ فَلَيْتَ قَلْبِي عَلَى الأَثْمَارِ عُصْفُورُ

٣- وقال أيضًا:

لِبَسْمَتِها رَأَيْتُ فَمًا صَغِيرًا كَخَاتَمِهَا الَّذِي فَصَّاهُ مَاسُ

٤- قال ناصيف اليازجي مادحًا:

هُوَ رَوْضَةٌ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ النَّدَى مِنْ فَوْقِ جِسْمٍ كَالنَّسِيمِ لَطِيفِ

٥- قال شاعر مصر إسماعيل صبري:

فَتًى طَبْعُهُ قَدْ كَانَ كَالمَاءِ رِقَّةً فَلَوْ صُبَّ فِي كَأْسٍ لَسَاغَ لِشَارِبِ

٦- قال علي الجارم مادحًا:

خُلُقٌ كَأَمْوَاهِ السَّحَابِ مُطَهَّرٌ وَسَرِيرَةٌ كَلآلِئِ الأَصْدَافِ

٧- قال نزار قباني:

مِنْ أَيْنَ أَدْخُلُ القَصِيدَةَ يَا تُرَى وَحَدَائِقُ الشِّعْرِ الجَمِيلِ خَرَابُ؟

٨- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة واصفًا قلبه:

يُصَفِّقُ مِنْ تَحْتِ الضُّلُوعِ مُرَفْرِفًا كَطَيْرٍ بِأَشْتَاتِ السِّهَامِ يُرَوَّعُ

٩- وقال آل خليفة على لسان أرملة في حوارها مع أبنائها السائلين عن أبيهم:

المَوْتُ طَارَ بِهِ كَالنَّسْرِ مُخْتَطِفًا المَوْتُ طَاحَ بِهِ كَالسَّيْلِ مُقْتَلِعَا

١٠- قال الشاعر القروي:

لَئِنْ طَارَ حَسُّونُ الهَوَى مِنْ جَوَانِحِي فَمَسْرَحُهُ رُوحِي وَأَيْكَتُهُ ذِهْنِي

١١- قال أحمد شوقي:

والمَالُ - مُذْ كَانَ - تِمْثَالٌ يُطَافُ بِهِ والنَّاسُ - مُذْ خُلِقُوا - عُبَّادُ تِمْثَالِ

١٢- قال معروف الرصافي واصفا حبه للبنان:

إذَا كَانَ لُبْنَانُ كَلَيْلَى مَحَاسِنًا فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنَّنِي اليَوْمَ قَيْسُهُ

١٣- قال نزار قباني:

مَزِّقِي يَا دِمَشْقُ خَارِطَةَ الذُّلِّ وَقُولِي لِلدَّهْرِ كُنْ فَيَكُونُ[١]

١٤- قال إيليا أبو ماضي:

ونَنْقُلُ عَنْكُمْ أَخْبَارَ صِدْقٍ تُحَاكِي النَّدَّ فِي الرَّوْضِ انْتِشَارَا

١٥- قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

لِلهِ غَانِيَةٌ مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا فِي حُلَّةٍ مِثْلِ أَذْنَابِ الطَّوَاوِيسِ



(١) الصواب: خريطة.

حل التطبيق

الرقم	التشبيه	صورة التشبيه	التعليل	مرتبته
١	رأيتها أختا تقبل أختا	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٢	غصن قامتِها	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٢	قلبي عصفور	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٣	فمٌ كخاتمها	الثانية	الطرفان والأداة	وسطىٰ
٤	هو روضة	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٤	نهر الندىٰ	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٤	جسم كالنسيم لطيف	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
٥	طبعه كالماء رقة	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
٦	خلقٌ كأمواه السماء مطهر	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
٦	سريرة كلآلئ الأصداف	الثانية	الطرفان والأداة	وسطىٰ
٧	حدائق الشعر	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
٨	قلبه كالطير مروع	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
٩	الموت كالنسر مختطف	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
٩	الموت كالسيل مقتلع	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
١٠	حسون الهوىٰ	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١٠	مسرحُهُ روحي	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١٠	أيكته ذهني	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١١	المال تمثال	الرابعة	الطرفان فقط	عليا

١١	الناس عُبّاد تمثال	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١٢	لبنان كليلىٰ محاسنا	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
١٢	أنني اليوم قيسُه	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١٣	خارطة الذّلِّ	الرابعة	الطرفان فقط	عليا
١٤	أخبار تحاكي النَّدَّ انتشارا	الأولىٰ	الطرفان والركنان	دنيا
١٥	في حلة مثل أذناب الطواويس	الثانية	الطرفان والأداة	وسطىٰ



التمرين الأول

حدِّدْ نوعَ التَّشبيهِ باعتبار الأداة فيما يأتي:

قال نزار قباني:

شُعَرَاءَ الأَرْضِ المُحْتَلَّه

يَا مَنْ نَبَرَاتُ حَنَاجِرِكُمْ

تُشْبِهُ حَشْرَجَةَ المَشْنُوقِين

يَا مَنْ أَلْوَانُ مَحَابِرِكُمْ

تَبْدُو كَرِقَابِ المَذْبُوحِينْ

يَا أَجْمَلَ طَيْرٍ يَأْتِينَا مِنْ لَيْلِ الأَسرْ

يَا حُزْنًا شَفَّافَ العَيْنَيْن

نَقِيًّا مِثْلَ صَلَاةِ الفَجرْ.

وقال نزار قباني في أطفال الحجارة:

يا تَلامِيذَ غَزَّة: عَلِّمُونَا بَعْضَ مَا عِنْدَكُم

فَإِنَّا نَسِينَا

عَلِّمُونَا بِأَنْ نَكُونَ رِجَالًا

فَلَدَيْنَا الرِّجَالُ صَارُوا عَجِينَا

عَلِّمُونَا كَيْفَ الحِجَارَةُ

تَغْدُو بَيْنَ أَيْدِي الأَطْفَالِ مَاسًا ثَمِينَا

كَيْفَ تَغْدُو دَرَّاجَةُ الطِّفْلِ لُغْمًا

وشَرِيطُ الحَرِيرِ يَغْدُو كَمِينَا

كَيْفَ مَصَّاصَةُ الحَلِيبِ

إذَا مَا حَاصَرُوهَا تَحَوَّلَتْ سِكِّينا.

قال محمود غنيم في شأن المعلِّم:

تَمْـتَصُّ أَفْـوَاهُ الشَّـبِيبَةِ رُوحَـهُ ... مِثْـلَ امْتِصَـاصِ النَّحْـلِ لِلْأَزْهَـارِ

وقال محمود غنيم في وصف شجاعة قومه العرب:

الطَّعْنَـةُ الـنَّجْلَاءُ تَحْكِـي عِنْـدَهُمْ ... طَرْفًـا غَضِيضًـا جَفْنُـهُ مَكْحُـولا

فَيَكَـادُ يَحْسَـبُهَا الجَـرِيحُ بِجِسْـمِهِ ... ثغْـرًا، فَيُـومِئُ نَحْوَهَـا تَقْبِيـلا

وقال محمود غُنيم:

أَسَاوِرُ الغِيـدِ مِـنْ مَاسٍ، ولَسْـتُ أَرَى ... مِثْـلَ الـيَرَاعِ سِـوَارًا فِي يَـدِ الرَّجُـلِ

قال أبو القاسم الشابي:

لا يُطْفِـئُ اللَّهَـبَ المُـؤَجَّجَ فِي دَمِي ... مَـوْجُ الأَسَى وعَوَاصِـفُ الأَرْزَاءِ

وقال الشابي:

إنِّي أنَـا النَّـايُ الَّـذِي لَا تَنْتَهِـي ... أنْغَامُـهُ، مَـا دَامَ فِي الأَحْيَـاءِ

وأنَـا الخِضَـمُّ الرَّحْـبُ لَـيْسَ تَزِيـدُهُ ... إلَّا حَيَـاةً سَـطْوَةُ الأَنْـوَاءِ

قال شاعر سوريا سليمان الصولة مادحًا:

إنْ شِـئْتَ عَـدَّ خِلَالِـهِ فَاجْعَـلْ لَهَـا ال ... دُنْيَـا كِتَابًـا وَالنُّجُـومَ حُرُوفَـا

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

فَلَـئِنْ ضَـلَلْتُ بِلَيْـلِ فَرْعِـكِ فِي الهَـوَى ... فَبِغَـيْرِ نُـورِ وَجْهِـكِ لَـمْ أَهْتَـدِ

قال بدر شاكر السياب يصف زورقًا:

يَسِيرُ بِمِجْذَافَيْنِ فِي النَّهْرِ أَشْبَهَا ... ذِرَاعَيْ مَشُوقٍ مُدَّتَا فِي الدَّيَاجِرِ

قال الشاعر القروي:

أبْكِي وأضْحَكُ لِلْعَذَابِ كَمُرْضِعٍ ... شَدَّ الوَلِيدُ بِشَعْرِهَا المُسْتَرْسَلِ

قال أحمد شوقي في رثاء بطل ليبيا عمر المختار:

يَا أيُّهَا السَّيْفُ المُجَرَّدُ بِالفَلَا ... يَكْسُو السُّيُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءَ

تِلْكَ الصَّحَارِي غِمْدُ كُلِّ مُهَنَّدٍ ... أبْلَى فأحْسَنَ فِي العَدُوِّ بَلَاءَ

ولشوقي في وصف شمس الصيف:

فَحَكَتْ أشِعَّتُهَا حِرَابًا أشْرَعَتْ ... بِيضًا، فَمَا بِحَدِيدِهَا أصْدَاء

قال الشاعر السوري بطرس كرامة في وصف البرق:

والبَرْقُ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ كَأنَّهُ ... بَيْنَ الرِّيَاحِ أسِنَّةٌ وَنُصُولُ

وقال بطرس كرامة:

رَقَّتْ شَمَائِلُهُ فَأَشْبَهَتِ الصَّبَا ... وَخِلَالُهُ زُهْرَ النُّجُومِ مُضَارِعَهْ

قال إيليا أبو ماضي واصفًا شلالًا:

فِيهِ مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ بَرِيقُهُ ... وَلَهُ ضَجِيجُ الجَحْفَلِ الجَرَّارِ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في الرثاء:

وَبِعْنَا غَالِيَاتِ الدَّمْعِ فِيهِ ... رِخَاصًا مِثْلَ يُوسُفَ يَوْمَ بِيعَا

وقال مادحًا:

تَفُوحُ طِبَاعُكُمْ أَرَجًا وَطِيبًا ... كَأَنَّ هُبُوبَهَا نَشْرُ الخُزَامَى

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي في وصف قصيدة:

فَمَا هِيَ إلَّا وَرْدَةٌ مَا تَفَتَّقَتْ كَمَائِمُ زَهْرِ الشِّعْرِ عَنْ مِثْلِهَا حُسْنَا

قال الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد في وصف حقل:

فَخِلْتُ الحَقْلَ طَاوُوسًا تَمَشَّى يُجَرِّرُ رِيشَهُ ذَيْلًا خَضِيلَا

وقال أبو الفضل الوليد في وصف عريسين:

وَالآنَ أسْمَعُ مِنْ قَلْبَيْهِمَا نَغَمًا بِهِ الهَوَى صَيَّرَ الأَعْرَاقَ أَوْتَارَا

وقال أيضًا:

وَرَنَتْ إلَيَّ وَأَسْبَلَتْ دَمْعَاتِهَا نَجْمًا فَأَبْصَرْتُ الثُّرَيَّا فِي الثَّرَى

قال شاعر لبنان عبد الحميد الرافعي مادحًا:

خَيْلُ الأَمَانِي نَحْوَ بَابِكَ أَسْرَعَتْ بِي فَرْسَخًا تَطْوِي الفَلَاةَ فَفَرْسَخَا

قال إسماعيل صبري:

مُحَيَّاكَ لَمَّا تَبَدَّى يَا بَدْرُ رَوْضَةً تَسَلْسَلَ فِيهِ دَمْعُ عَيْنِيَ كَالنَّهْرِ

قال محمد العيد آل خليفة مخاطبًا الاستعمار الفرنسي:

أشْبَهْتَ وَحْشَ الفَلَا افْتِرَاسًا وَفُقْتَهُ مِخْلَبًا ونَابَا

قال محمد توفيق علي في وصف القمر:

يُحَاكِي فِي كَوَاكِبِهِ عَرُوسًا وَقَدْ نَثَرُوا لَهَا بَدَرَ النُّقُودِ

وَيُشْبِهُ بَيْنَهَا مَلَكًا كَرِيمًا يُغَازِلُ حُورَ جَنَّاتِ الخُلُودِ

وقال أيضًا:

الظُّلْمُ مِثْلُ النَّارِ أَوَّلُهُ لَظًى وَإلَى رَمَادٍ يَنْتَهِي وَدُخَانِ

قال خليل مطران في الغزل:

سَتَرَتْ بِأَخْضَرَ سُنْدُسِيٍّ جِيدَهَا   فَحَكَى المُحَيَّا وَرْدَةً فِي كِمِّهَا

قال معروف الرصافي في وصف مشهد حريق:

أَثَارَتِ النَّارُ فِي أَطْرَافِهَا رَهَجًا   مِنَ الدُّخَانِ كَأَنَّ النَّارَ أَبْطَالُ

حَتَّى حَكَتْ مَعْرَكًا خَرَّتْ بِسَاحَتِهِ   صَرْعَى، بُيُوتٌ وأَمْوَالٌ وآمَالُ

قال الشاعر القروي مستعطفًا مَن يهوىٰ، وواصفًا هواه:

هُوَ شَمْعَةٌ أذْكَى هَوَاكِ لَهِيبَهَا   إنْ لَمْ تُدَارِيهَا بِقُرْبِكِ تَنْطَفِي

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «مَرَرْتُ صَبَاحَ اليَوْمِ أمَامَ المِرْآة، فَلَمَحْتُ فِي رَأْسِي شَعْرَةً بَيْضَاء، تَلْمَعُ فِي تِلْكَ اللَّمَّة السَّوْدَاء، لَمَعَانَ شَرَارَةِ البَرْقِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء. رَأيْتُ الشَّعْرَةَ البَيْضَاءَ في مَفْرَقِي، فارْتَعْتُ لِمَرْآهَا، كَأَنَّمَا خُيِّلَ إلَيَّ أنَّهَا سَيْفٌ جَرَّدَهُ القَضَاءُ عَلَىٰ رَأْسِي، أَوْ عَلَمٌ أبْيَضُ يَحْمِلُهُ رَسُولٌ جَاءَ مِنْ عَالَمِ الغَيْب، يُنْذِرُنِي بِاقْتِرَابِ الأجَل، أوْ خَيْطٌ منْ خُيُوطِ الكَفَنِ الَّذِي تَنْسُجُهُ يَدُ الدَّهْر، وَتُعِدُّهُ لِبَاسًا لِجُثَّتِي... أيَّتُهَا الشَّعْرَةُ البَيْضَاءُ مَا لِي أرَاكِ تَهْمِسِينَ فِي آذَانِ أَخَوَاتِكِ السُّودِ اللَّوَاتِي بِجَانِبِك، تُحَاوِلِينَ إغْرَاءَهُنَّ بِالتَّشَبُّهِ بِك، وَالتَّرَدِّي بِرِدَائِك، وَكَأَنِّي بِكِ سَائِحٌ أبْيَضُ يَنْزِلُ بِأُمَّةِ الزِّنْجِ مُسْتَكْشِفًا، فَيُصْبِحُ مُسْتَعْمِرًا».

وقال المنفلوطي: «جَزَىٰ اللهُ الإيمَانَ عَنَّا خَيْرًا، فَهُوَ النَّجْمُ الخَافِقُ الَّذِي يَلْمَعُ فِي سَمَاءِ اللَّيْلَةِ المُظْلِمَة، فَيُنِيرُ أَرْجَاءَهَا، وهُوَ الدَّوْحَةُ الفَيْنَانَةُ الَّتِي يَلْجَأُ إلَيْهَا المُسَافِرُ مِنْ حَرُورِ الصَّحْرَاء وَسُمُومِهَا، فَيَجِدُ فِي ظِلَالِهَا رَاحَتَهُ وَسُكُونَه، وَهُوَ الجُرْعَةُ البَارِدَةُ الَّتِي يَظْفَرُ بِهَا الظَّامِئ، فَيُطْفِئُ بِهَا لَوْعَتَه، وَهُوَ المَطْرَةُ الشَّامِلَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالأَرْضِ القَاحِلَة، فَتَهْتَزُّ تُرْبَتُهَا، وَتَبْعَثُ فِي صَمِيمِهَا القُوَّةَ وَالحَيَاة».

قال مصطفىٰ صادق الرَّافعي: «اجْتَمَعَ لَيْلَةَ الأضْحَىٰ خَرُوفَانِ في دَارِنَا، أمَّا أَحَدُهُمَا فَكَبْشٌ أقْرَن، يَحْمِلُ عَلَىٰ رَأْسِهِ شَجَرَةَ السِّنِين، وَقَدِ انْتَهَىٰ سَمْنُهُ حَتَّىٰ ضَاقَ جِلْدُهُ بِلَحْمِه، فَإذَا مَشَىٰ تَبَخْتَرَ تَبَخْتُرَ الغَانِيَةِ في حُلَّتِهَا، وَهُوَ مِنْ اجْتِمَاعِ قُوَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ أَشْبَهُ بِالقَلْعَة، وَيَعْلُوهَا مِنْ هَامَتِهِ كالبُرْجِ الحَرْبِيِّ مِدْفَعَانِ بَارِزَان، وتَرَاهُ أبَدًا مُصَعِّرًا خَدًّا كَأَنَّهُ أَمِيرٌ مِنَ الأُمَرَاء، أوْ بَطَلٌ مِنَ الأَبْطَال»..

قال نزار قباني: «إنَّ اللُّغَةَ مِثْلُ فَصِيلَةِ الدَّم، ولا يُمْكِنُ لِلإنْسَانِ أَنْ يُغَيِّرَ فَصِيلَةَ دَمِهِ كُلَّ يَوْم، ثُمَّ إنَّ اللُّغَةَ شَجَرَةٌ تُورِقُ وتُزْهِرُ وتُثْمِرُ كَكُلِّ الأَشْجَار، وكَمَا الشَّجَرَةُ قَابِلَةٌ للتَّلْقِيح، وتَغْيير شَكْلِ أوْرَاقِهَا وأغْصَانِهَا ونكْهَةِ ثَمَرِها، فإنَّ اللُّغَةَ أيْضًا قَابِلَةٌ للتَّلْقِيحِ والتَّقْلِيم، بِحَيْثُ تَكْتَسِبُ أشْكَالًا جَدِيدَةً وَإيقَاعًا جَدِيدًا».

وقال نزار قباني: «نَحْنُ مُحَاصَرُونَ بالشِّعْر، وَمُرْغَمُونَ عَلَىٰ كِتَابَةِ القَصَائِد، كَمَا أَرْضُ مِصْرَ تَحْبَلُ بِقُطْنِهَا، وأرْضُ الشَّامِ بِقَمْحِهَا، وأرْضُ العِرَاقِ بِتُمُورِها».

وقال نزار قبّاني: «الجُمْهُورُ طِفْلٌ طَيِّب، كَثِيرُ البَرَاءَة، ولْيَعْلَمْ هَؤُلاءِ المَنْفِيُّونَ عَنْ جَنَّةِ النَّاسِ أنَّ الجُمْهُورَ بُوصَلَةٌ بِمُنْتَهَىٰ الذَّكَاءِ والحَسَاسِيَّة، تَعْرِفُ أيْنَ أرْضُ المَطَر، وأيْنَ أَرْضُ السَّرَاب».

قال محمد البشير الإبراهيمي: «الجَزَائِرُ العَرَبِيَّةُ المُسْلِمَةُ الصَّابِرَةُ هِيَ غُصْنٌ فَيْنَانٌ مِنْ دَوْحَةِ الإسْلام، وفَرْعٌ رَيَّانٌ مِنْ شَجَرَةِ العُرُوبَة، وزَهْرَةٌ فَوَّاحَةٌ مِنْ رِيَاضِ الشَّرْق، تَغَرَّبَتْ هَذِهِ الزَّهْرَةُ كَمَا تَغَرَّبَتْ قَبْلَهَا نَخْلَةُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الدَّاخِل».

وقال البشير الإبراهيمي: «سَارَتِ الأمَمُ في مَنَاهِجِ العُمْرَانِ عُنَقًا فَسِيحًا، ونَحْنُ في نَوْمَةِ أصْحَابِ الكَهْفِ والرَّقِيم».

وقال الإبراهيمي في الشباب: «أَتَمَثَّلُهُ مُقَدِّمًا لِدِينِهِ قَبْلَ وَطَنِه، ولِوَطَنِهِ قَبْلَ شَخْصِه، يَرَىٰ الدِّينَ جَوْهَرًا، والوَطَنَ صَدَفًا، وهُوَ غَوَّاصٌ عَلَيْهِمَا».

قال أديب لبنان ميخائيل نُعيمة: «العِتَابُ صَابُونُ القَلْبِ».

قال أحمد أمين: «ليستْ نَظَرَاتُ الإنْسَانِ إِلَىٰ الحَيَاةِ قَوَالِبَ مِنَ الآجُر، كُلُّ قَالَبٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِه، مَحْدُودٌ بِحُدُودِه، إنَّمَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِسَائِلٍ لَطِيف، إذا لَوَّنْتَ نُقْطَةً مِنْهُ بِلَوْن، شَعَّ اللَّوْنُ فِي سَائِرِ السَّائِل».



التمرين الثاني

حدّد صورة كل تشبيه، ومرتبته ممّا يأتي:

نصحَ ميخائيل نُعيمة الكُتّابَ الشبابَ فقال: «لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ مَعِدَةٍ أدَبِيَّةٍ تَهْضِمُ مَا تَلْتَقِطُونَهُ هُنَا وَهُنَاك، فَتَحَوِّلُهُ غِذَاءً طَيِّبًا لَكُمْ، وَلِلَّذِينَ يَقْرَأُونَ مَا تَكْتُبُون، وَإلّا كُنْتُمْ كَالإسْفَنْجَة، إذَا غَمَسْتُمُوهَا فِي سَائِلٍ مِنَ السَّوَائِل، ثُمَّ عَصَرْتُمُوها رَدّتْ إلَيْكُمْ مَا امْتَصَّتْهُ عَيْنًا بِعَيْن، وَدُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَان، وَكُنْتُمْ إذْ ذَاكَ أَصْدَاءَ فَارِغَة، لا أَصْوَاتًا حَيَّة. أمَّا العَارُ الأكْبَرُ فَهُوَ تَقْلِيدُكُم الأعْمَىٰ لِلْغَيْر، أوْ سَرِقَةُ بِضَاعَةِ الغَيْر، وَسَارِقُ أدَبِ الأحْيَاءِ وَالأمْوَاتِ كَمَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ نَيْئًا، أَوْ كَمَنْ يَنْهَشُ جِيفَةً فِي قَبْر، وَأَمَّا الغُرُورُ فَاقْتَلِعُوا جُذُورَهُ مِنْ صُدُورِكُمْ، فَهُوَ أَشَدُّ فَتْكًا بِكُمْ مِنَ السُّوسِ بِالخَشَب».

قال نزار قباني في بعض نقديّاته، مستعرضًا المقارنة بين القصيدة الكلاسيكية، والقصيدة الحديثة:

«إنَّ القَصِيدَةَ التَّقْلِيدِيَّةَ كَمَا وَرِثْنَاهَا بِأغْرَاضِهَا المَعْرُوفَة، وَأبْيَاتِهَا المُلْتَصِقَةِ بِبَعْضِهَا الْتِصَاقًا صَنْعِيًّا كَقِطَعِ الفُسَيْفِسَاء، هِيَ إلَىٰ الزُّخْرِفِ وَالنَّقْشِ أقْرَبُ مِنْهَا إلَىٰ العَمَلِ الأدَبِيِّ المُتَمَاسِكِ المُلْتَحِمِ كَقِطْعَةِ النَّسِيج، كَمَا أنَّ أُسْلُوبَ بِنَائِهَا يُشَابِهُ بِنَاءَ القِلاعِ فِي القُرُونِ الوُسْطَىٰ: مَرْمَر، وَرُخَام، وَشُمُوخُ أعْمِدَة، أمَّا القَصِيدَةُ الحَدِيثَةُ فَهِيَ أشْبَهُ بِدِيكُورِ حُجْرَةٍ صَغِيرَة، وُزِّعَتْ مَقَاعِدُهَا وَلَوْحَاتُهَا وَأَوَانِيهَا بِشَكْلٍ رُبَّمَا لَا يُوحِي بِالثَّرَاءِ الفَاحِش، ولَكِنَّهُ يُوحِي بِالدِّفْءِ وَالإلْفَة. فَالقَصِيدَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ مَجْمُوعَةُ أحْجَارٍ مُلَوَّنَة، مَرْمِيَّةٍ عَلَىٰ بِسَاط، تَسْتَطِيعُ أنْ

تُزَحْزِحَ أيَّ حَجَرٍ مِنْهَا إِلَىٰ أَيَّةِ جِهَةٍ تُرِيد، وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَىٰ الأَحْجَارُ أَحْجَارًا، وَالقَصِيدَةُ قَصِيدَة، البَيْتُ فِي القَصِيدَةِ الحَدِيثَةِ لَيْسَ عَالَمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ كَمَا فِي القَصِيدَةِ التَّقْلِيدِيَّة، إِنَّهُ خَلِيَّةٌ حَيَّة، تَعِيشُ بَيْنَ مَجْمُوعَةِ خَلَايَا فِي كِيَانٍ عُضْوِيٍّ وَاحِد، لِذَلِكَ كَانَ حَذْفُ بَيْتٍ فِيهَا مَعْنَاهُ تَعْطِيلُ خَلِيَّةٍ عَنْ أَدَاءِ وَظِيفَتِهَا، وَإِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَنْمُو نُمُوًّا دَاخِلِيًّا مُتَدَرِّجًا، حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ نُقْطَةِ التَّجَمُّعِ الأَخِيرَة، كَمَا تَصُبُّ الرَّوَافِدُ الصَّغِيرَةُ فِي النَّهْرِ الكَبِير، وَكَمَا تَأْخُذُ النَّغَمَاتُ بِأَذْرُعِ بَعْضِهَا، لِتُشَكِّلَ السِّمْفُونِيَّةَ الأَجْمَل».

وقال نزار قباني: «إِنَّ مَعَارِكَنَا الأَدَبِيَّةَ شَبِيهَةٌ بِمَعَارِكِ الدَّجَاجِ وَالدِّيَكَة: رِيشٌ نَافِش، وَمَخَالِبُ تُغْرَزُ فِي الأَعْنَاق، وَمَنَاقِيرُ اسْتَبْدَلَتِ الغِنَاءَ بِالعَضِّ وَفَقْءِ العُيُون».

وقال نزار قبّاني: «إِنَّ الشَّاعِرَ العَرَبِيَّ القَدِيمَ هُوَ صَيَّادُ مُصَادَفَاتٍ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّل، فَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ وَصْفِ سَيْفِهِ إِلَىٰ ثَغْرِ حَبِيبَتِه، وَيَقْفِزُ مِنْ سَرْجِ حِصَانِهِ إِلَىٰ حِضْنِ الخَلِيفَةِ بِخِفَّةِ بَهْلَوَان».

وكتب نزار عن بعض النُّقاد: «النَّاقِدُ رَجُلُ شُرْطَة، يُطَارِدُ الكَاتِبَ دَاخِلَ كُتُبِه، وَبَعْضُ النُّقَادِ عِنْدَنَا مِثْلُ الشَّاحِنَاتِ الكَبِيرَةِ تُفْرِغُ بَضَائِعَهَا فِي مُنْتَصِفِ الشَّارِع، حَتَّىٰ يَتَعَرْقَلَ سَيْرُ القَصَائِد، وَتُكْسَرَ أَعْنَاقُ الشُّعَرَاء».

قال الأديب الكبير محمد المويلحي: «انْتَهَىٰ بِنَا طُولُ المَسِير، إِلَىٰ بَيْتِ ذَلِكَ الأَمِير، وَكَأَنَّهُ مَيْدَانٌ فِي اتِّسَاعِه، وَحِصْنٌ فِي ارْتِفَاعِه، فَخَطَوْنَا فِي بَحْبُوحَةِ المَيْدَان، فَرَأَيْنَا فِي وَسَطِهِ شَجَرَةً كَثِيفَةَ الأَغْصَان، حَنَىٰ قَوَامَهَا تَقَادُمُ الأَزْمَان، كَأَنَّهَا الثَّكْلَىٰ حَلَّتْ شَعْرَهَا فِي مَأْتَمِ الأَحْزَان، وَفِي ظِلِّهَا فَرَسٌ يَجِنُّ مِنَ النَّشَاطِ وَالمَرَاح، وَبِجَانِبِهِ كَبْشُ ضَأْنٍ لِلنِّطَاح، وَحَوْلَهُمَا دِيكَةُ نِزَالٍ وَضِرَاب، مَنَاقِيرُهَا مَسْنُونَةٌ كَالحِرَاب».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي واصفًا أدبَ عصرِ المماليك: «أَصْبَحَ الشِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ ابْنِ الفَارِضِ وَالصَّفَدِي وَالسِّرَاجِ الوَرَّاقِ، وَأَمْثَالِهِمْ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِتِلْكَ الآنِيَةِ الصِّينِيَّةِ الَّتِي يَضَعُهَا المُتْرَفُونَ فِي زَوَايَا مَجَالِسِهِمْ، وَعَلَىٰ أَطْرَافِ مَوَائِدِهِم، ظَهْرًا زَاهِيًا، وَبَطْنًا خَاوِيًا، لَا تُشْفِي غَلَّةً، وَلَا تُسْمِنُ، وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ».

قال توفيق الحكيم: «التَّفْكِيرُ فِي أَبْسَطِ صُورَةٍ مِثْلُ طَعَامٍ تُجَهِّزُهُ بِنَفْسِك، بِأَنْ تَفْحَصَ مَوَادَه، وَتُنَقِّيَهَا، وتُحَلِّلَهَا، وَتُنَسِّقَهَا، وَتُنْضِجَها، وَهُوَ عَلَىٰ نَقِيضِ الطَّعَامِ المُعَلَّبِ وَالمَحْفُوظ، لِذَلِكَ عِنْدَمَا تنعَدِمُ فِي فَرْدٍ أَوْ شَعْبٍ قُدْرَةُ التَّفْكِير، فَإِنَّهُ يَتَقَبَّلُ الأَفْكَارَ الجَاهِزَةَ الَّتِي يُقَدِّمُهَا لَهُ الغَيْرُ دُونَ تَفْكِيرٍ أَوْ تَحْلِيل، وَتِلْكَ مَرْتَبَةٌ بُدَائِيَّةٌ فِي الإِنْسَان، تَكَادُ تَقْتَرِبُ بِهِ مِنَ الحَيَوَانِ الَّذِي يَلْتَهِمُ الطَّعَامَ الَّذِي يُقَدَّمُ لَه، أَوْ يُصَادِفُهُ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ فِيه».

قال شاعر سوريا سليمان الصولة مادحًا:

فَصِفَاتُهُ كَالبَحْرِ يُدْرَكُ بَعْضُهَا وَالبَعْضُ مِنْهَا يُغْرِقُ السَّبَّاحَا

قال علي الجارم:

أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودَا

وَاسْتَحَثُّوا الخُطَا فَكَانُوا بُرُوقًا وَعَلَا صَوْتُهُمْ فَكَانُوا رُعُودَا

قال إسماعيل صبري مفتخرًا بقصيدته:

أَخَا المَجْدِ خُذْهَا وهِيَ فِي السَّيْرِ كَالصَّبَا وَفِي نَشْرِهَا كَالوَرْدِ والآسِ والنَّدِّ

وقال صبري مادحًا:

يَا دَوْحَ عِزٍّ قَدْ غَدَتْ مِصْرُنَا بِهِ تُحَاكِي جَنَّةَ الخُلْدِ

قال الشاعر السوري أمين الجندي في غرض الوصف:

وَسَقَطَتْ خَوَاتِمُ الأَزْهَارِ مِنْ فَنَنِ الأَغْصَانِ كَالدَّرَارِي

قال الشاعر القروي:

فَكُلُّ فَتَاةٍ فِي فِلَسْطِينَ خَوْلَةٌ وَكُلُّ غُلَامٍ فِي فِلَسْطِينَ عَنْتَرُ

قال محمود غُنيم:

إنَّ اليَرَاعَةَ فِي أَنَامِلِ طَالِبٍ كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ المُدَرَّعِ أَبْتَرَا

والطِّرْسَ فِي يُمْنَاهُ أَبْيَضَ نَاصِعًا مِثْلُ اللِّوَاءِ عَلَى الكَتِيبَةِ أَحْمَرَا

وقال محمود غنيم:

إذَا مَا عِشْتَ فِي جِيلٍ جَدِيدٍ فَإنَّكَ فِيهِ أَشْبَهُ بِاليَتِيمِ

قال حافظ إبراهيم مادحًا:

يَا مَنْ تَنَافَسُ فِي أَوْصَافِهِ كَلِمِي تَنَافُسَ العَرَبِ الأمْجَادِ فِي النَّسَبِ

وقال حافظ في الغرض نفسه:

رَأَى العِزَّ كُلَّ العِزِّ فِي بَسْطَةِ الغِنَى فَحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي مادحًا:

لَوْ تُمْسِكُ الغِيدُ أَلْفَاظًا لَهُ عَذُبَتْ لَنَظَمَتْهَا عَلَى أَعْنَاقِهَا دُرَرَا

وقال متغزلًا:

عَنِ الصِّحَاحِ رَوَى لِي دُرُّ مَبْسَمِهِ وَسِحْرُ عَيْنَيْهِ عَنْ هَارُوتَ يَرْوِيهِ

قال أمين نخلة في مدح بشارة الخوري:

عَمْرَكَ اللهُ: هَلْ رَأَيْتَ كَبَيْتِ الشِّعْرِ كَهْفًا يَأْوِي إلَيْهِ الضَّمِيرُ؟

قال نسيب عريضة:

كُنْ مِثْلَ شَمْسٍ مَنَحَتْ نُورَهَا لِكُلِّ مَخْلُوقٍ ولا تُشْكَرْ

قال إيليا أبو ماضي:

يَا صَاحِبَ الخُلُقِ المُصَفَّى كَالنَّدَى ... لَوْ لَمْ تَكُنْ بَشَرًا لَكُنْتَ سَحَابَا

وقال إيليا أبو ماضي في وصف معركة بحرية:

سُفُنٌ هِيَ الأَطْوَادُ لَوْلَا سَيْرُهَا ... أَعَهِدْتُمْ جَبَلًا مَشَى أَوْ سَارَا؟

مِثْلَ الكَوَاكِبِ فِي النِّظَامِ وَإِنَّهَا ... لَكَمَا الكَوَاكِبُ تَبْعَثُ الأَنْوَارَا

هِيَ كَالمَدَائِنِ غَيْرَ أَنَّ نَزِيلَهَا ... أَبَدًا بِهَا يَتَوَقَّعُ الأَخْطَارَا

وقال إيليا أبو ماضي:

فَكَانَ كَالكَوْكَبِ يَمْشِي عَلَى ... ضِيَائِهِ الرَّكْبُ وذِئْبُ الفَلَاةْ

وَكَانَ كَالغَيْثِ إِذَا مَا هَمَى ... أَصَابَ فِي الأَرْضِ الحَصَى وَالنَّبَاتْ

وقال أبو ماضي مخاطبًا جامع المال:

حَتَّامَ، يَا صَاحِ تُخْفِيهِ وَتَطْمُرُهُ ... كَأَنَّمَا هُوَ سَوْءَاتٌ تُوَارِيهَا؟

انْظُرْ إِلَى المَاءِ إِنَّ البَذْلَ شِيمَتُهُ ... يَأْتِي الحُقُولَ فَيُرْوِيهَا وَيُحْيِيهَا

فَمَا تَعَكَّرَ إِلَّا وَهُوَ مُنْحَبِسٌ ... وَالنَّفْسُ كَالمَاءِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا

أَرْسَلْتُ قَوْلِي تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا ... لَعَلَّ فِي القَوْلِ تَذْكِيرًا وَتَنْبِيهَا

قال عمر الأنسي في رسالة إخوانية:

صِلُوا وَلَا تَمْنَعُوا عَنَّا رَسَائِلَكُمْ ... فَنُرْسِلَ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانِنَا رُسُلَا



تَقْسِيمُ التَّشْبِيهِ إلى مَلْفُوفٍ ومَفْرُوقٍ وتَسْوِيَةٍ وجَمْع

١/ التَّشْبِيهُ المَلْفُوف: وَهُوَ مَا أُوتِيَ فِيهِ بِالمُشَبَّهَاتِ أَوَّلًا عَلَىٰ طَرِيقَةِ العَطْف، أَوْ غَيْرِه، ثُمَّ بِالمُشَبَّهَاتِ بِهَا كَذَلِك[١]، وهُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ، «ويسمُّون هذا النوع (ملفوفا) لأنَّ المتكلمَ لفَّ المشبهاتِ معًا، والأشياءَ المشبه بها كذلك»[٢].

قال عبد الباقي العمري في مدح الشاعر اللبناني ناصيف اليازجي:

وَكَأَنَّمَا أَقْلَامُهُ وَبَنَانُهُ ... بَرْقٌ سَرَى مَا بَيْنَ خَمْسِ سَحَائِبِ

فالشاعر شبّه الأقلام بالبرق، وشبّه الأصابع بالسحائب، ومما يلاحظ علىٰ هذا التشبيه أن الشاعر أتىٰ بالمشبهين أوّلًا (الأقلام والأصابع)، ثم أتىٰ بالمشبهين بهما ثانيًا (البرق والسحائب).

فردّ ناصيف اليازجي:

وَإذا جَرَتْ لَكَ فِي الطُّرُوسِ يَرَاعَةٌ ... فَسَوَادُ وَشْمٍ فِي مَعَاصِمِ كَاعِبِ

فالشاعر شبّه الطروس (الأوراق) بمعاصم النساء الكواعب، وشبّه الخطَّ بالوشم، ومما يلاحظ علىٰ هذا التشبيه أن الشاعر أتىٰ بالمشبهين أوّلًا (الطروس وخط اليراعة)، ثم أتىٰ بالمشبهين بهما (معاصمُ الكاعب ووشمها).

---

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية الدكتور عيسىٰ علي العاكوب (ص ٣٦٦).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها الدكتور فضل حسن عباس (ص ٥٢).

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة في وصف بكاء المحبوبة:

وَالدَّمْعُ فِي تِلْكَ المَحَاجِرِ كَالنَّدَى فِي زَهْرَةٍ فِي غُصْنِهَا المُتَرَنِّحِ

شبه الشاعر الدمع بالندىٰ، وشبه المحاجر (العيون) بالزهرة، والملاحظ أن الشاعر أتىٰ بالمشبهين أولًا (الدمع، والمحاجر)، ليأتي بعد ذلك بالمشبهين بهما (الندىٰ، والزهرة).

وقال أيضًا:

إِذَا رَمَتْنِي بِلَحْظٍ تَحْتَ حَاجِبِهَا أَقُولُ: هَلْ حَوْلَنَا نَبْلٌ وَأَقْوَاسُ؟

فالشاعر لم يشبه اللحظ بالنبل، والحاجب بالقوس إلا عن طريق الإتيان بالمشبهين أولًا، ثم المشبهين بهما ثانيًا.

وقال إلياس عبد الله طعمة في الوصف:

هَذَا البَنَفْسَجُ فِيهِ قَدْ لَمَعَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دَمْعٌ عَلَى حَدَقٍ بَدَا

لا شك أنك لاحظت أن الشاعر قد شبه البنفسج بالحدق، وشبه الندىٰ بالدمع، من خلال لفِّ المشبهين معًا، والمشبهين بهما معًا.

وقال أيضًا:

قُلْتُ وَالدَّمْعُ عَلَى وَجْنَتِهَا كَالنَّدَى فِي ثَمْرٍ قَدْ نَضَجَا:

لا يهمُّ ما قاله الشاعر، ما يهمُّنا في هذا المقام أنه قد لفَّ المشبهين معًا (الدمعُ، والوَجنة)، كما لفَّ المشبهين بهما (الندىٰ، والثمر).

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلًا:

وَقُلْتُ وَقَدْ أَرْخَى عَلَى الخَدِّ صُدْغَهُ: لَقَدْ سَلْسَلَ الرَّيْحَانَ فَوْقَ الشَّقَائِقِ[1]

---

(١) الصُّدْغُ: الشَّعْرُ المتدلِّي بين العين والأذن.

شبه الشاعر صُدْغَ الحبيب بالريحان، ووجه الشبه الرائحة الطيبة، وشبه خده بشقائق النعمان، ووجه الشبه الحُمرة، بحيث لف المشبهين معا، والمشبهين بهما معا.

وقال حيدر الحلي:

وَكَأَنَّهَا هِيَ حِينَ زَفَّتْ كَأْسَهَا شَمْسٌ تَزُفُّ مِنَ المُدَامَةِ كَوْكَبَا

فالشاعر كما هو جليٌّ قد شبه المتغزل بها بالشمس، وشبه كأس المدامة بالكوكب، وقد اختار لهذا التشبيه أبلغه، حيث لفَّ المشبهين معًا، والمشبهين بهما معًا.

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في وصف جمال اللغة العربية وسحرها:

وَاللهُ أغْنَاكِ بِاللَّفْظِ الرَّشِيقِ وَبِال مَعْنَى الرَّقِيقِ فَكُنْتِ الرَّاحَ وَالكَاسَا

شبه الرافعي ألفاظ اللغة العربية الرشيقة والعذبة بكأس الخمر، وشبه معانيها الرقيقة والساحرة بالخمرة نفسها، الأكيد أنك لاحظت أن الشاعر لم يوظف تشبيهه بنمطيته المعروفة، بل وضع المشبهين أولًا (ألفاظ اللغة العربية ومعانيها)، ليضع في مقابلها المشبهين بهما (الخمرة وكأسها).

قال بلبل سوريا بطرس كرامة في الغزل:

عَجَبِي لِطُرَّةِ شَعْرِهَا وَجَبِينِهَا أنَّى يَكُونُ مَعَ الظَّلامِ نَهَارُا

شبه الشاعر شعر من يهوىٰ بظلام الليل، وشبه جبينها بضياء النهار، غير أنه فصل بين المشبهين وما شبههما به.

ولبطرس كرامة أيضًا:

بَاتَتْ تُعَلِّلُنِي بِلَمْسِ أَنَامِلٍ مَخْضُوبَةِ الأَظْفَارِ وَهْيَ حِسَانُ

كَأنَّهَا أَقْلَامُ أَلْمَاسٍ عَلَى أَطْرَافِهَا اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ

لو سألتَ الشاعر: ما فعلت؟ يقول لك:

شبهتُ أنامل من أهوىٰ بأقلام الماس، وشبهتُ أظفارها المخضوبة بالياقوت والمرجان، وسلكتُ في هذا التشبيه مسلكًا مغايرًا، إذ أتيتُ بالمشبهين أولًا (الأنامل والأظافر)، ورصَّعتُ الطرف الآخر بالمشبهين بهما، وهما (الياقوت والمرجان).

قال محمد العيد آل خليفة بمناسبة نقل رفات الأمير عبد القادر الجزائري من سورية إلىٰ أرض الوطن:

رُفَاتٌ عَلَى نَعْشٍ وَإنْ قُلْتَ وَاصِفًا: مَلِيكٌ عَلَى عَرْشٍ، فَمَا أنْتَ حَائِدُ

حيث شبه الشاعر رفات مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر بالملك، وشبه نعشه بالعرش، لكن الشاعر - كما لم يخف عليك - فضّل أن يأتي بالمشبهين أولًا (الرفات، والنعش)، ثم بالمشبهين بهما ثانيًا (المليك، والعرش).

ومن نماذج هذا النوع من التشبيه ما أنشده علي الجارم في مدح الملك فاروق:

كَأنَّ أَيَّامَهُ وَالبِرُّ يَغْمرُهَا صَحَائفُ الطُّهْرِ في أَيْمَانِ أبْرَارِ

فالشاعر شبّه أيّامَ المَلِك بالصُّحُفِ المُطَهَّرَة، وشبّه البرّ فيها بأيْمَانِ الأبرار يوم القيامة، ومما يلاحظ علىٰ هذا التشبيه أيضًا أن الشاعر قد أتىٰ بالمشبهين أوّلًا (أيام الملك، والبرّ)، ثم أتىٰ بالمشبهين بهما (الصّحائف، وأيمان الأبرار).

قال مصطفىٰ صادق الرافعي في تشبيه ليله، والنجوم التي تضيء ظلماته، بنعش الموت الذي تحفُّه الزهور من كل الجهات:

فَاللَّيْلُ عِنْدِي وَالنُّجُومُ تَزِينُهُ كَالنَّعْشِ تَجْعَلُهُ الزُّهُورُ مُزَخْرَفَا



فالشاعرُ كما ترىٰ قد شبّه ليلَه بالنعش، وشبه نجومَ ليله بالزهور التي تحفُّ الضريح أو النعش، لكنه فضّل أن يأتي بالمشبهين علىٰ حِدا (الليل والنجوم) علىٰ طريقة العطف، ثم يأتي بالمشبهين بهما (النعش والزهور).

قال محمود سامي البارودي:

مَـرَّتْ عَلَيْنَـا تَهَـادَى فِي صَـوَاحِبِهَا كَالبَـدْرِ فِي هَالَـةٍ حَفَّـتْ بِـهِ الشُّـهُبُ

كَـأَنَّ غُرَّتَهَـا مِـنْ تَحْـتِ طُرَّتِهَـا فَجْـرٌ بِجَانِحَـةِ الظَّلْمَـاءِ مُنْتَقِـبُ

فالبارودي في البيت الأول يشبه من يتغزل بها بالبدر، ويشبه رفيقاتها بالشهب، غير أنه أتىٰ بالمشبهين أوّلًا، ثم بالمشبهين بهما، وكذلك فعل في البيت الثاني، حيث شبه غُرَّتَها (وجهها) بالفجر، وشعرَها بالليلة الظّلماء.

قال إيليا أبو ماضي في وصف حبوب البُنِّ الفاخر:

كَـأَنَّ حُبُوبَهَـا خُضْـرًا وصُـفْرَا فُصُـوصُ زُمُـرُّدٍ وشُـذُورُ تِـبْرِ

حيث شبه الشاعرُ الحُبوب الخُضْرَ بفصوص الزمرد، وشبه الحبوب الصُّفْرَ بشذور الذهب، وطريقته في هذا التشبيه كانت الإتيان بالمشبهين أولًا، ثم المشبهين بهما.

ومن التشبيه الملفوف قول إيليا أبي ماضي:

كَـأَنَّ الفَضَـاءَ وَفِيـهِ الطُّيُـورُ بُحُـوُرٌ بِهَـا سُـفُنٌ سَـابِحَاتْ

الشاعر شبه الفضاء بالبحور، وشبه الطيور بالسفن السابحات، حيث أتىٰ بالمشبهين أوّلا علىٰ طريقة العطف، ثم بالمشبهين بهما.

قال معروف الرصافي في وصف روضة:

حَيْـثُ الغُصُـونُ مَـعَ النَّسِـيمِ مَوَائِـلٌ فَكَـأَنَّهُنَّ مَعَـاطِفٌ وخُصُـورُ

ذكر الشاعر المشبهين أولًا (الغصون والنسيم)، ثم المشبهين بهما (المعاطف والخصور).

وقال لله درُّهُ يصف جبلًا من جبال لبنان:

وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرَرٌ عَلَى تِيجَانِ

حيث شبه النجوم بالدرر، وشبه الجبال بالتّيجان، والملاحَظ أنّ الشاعر أتىٰ بالمشبهين علىٰ حِدَا (النجوم، والجبال)، ثم بالمشبهين بهما (الدّرر، والتيجان).

٢/ التَّشْبِيهُ المَفْرُوق: وهُوَ أنْ يَجْمَعَ الأدِيبُ كُلَّ مُشَبَّهٍ مَعَ مَا شبَّهَهُ بِه، أيْ أنَّهُ يَأْتِي بِمُشَبَّهٍ، ومُشَبَّهٍ بِه، ثُمَّ بِآخَرَ وَآخَر، وهَكَذَا[١]. «وسمّوا هذا مفروقا لأنَّ المتكلمَ فرّق بين التشبيهات، فجاء كلٌّ مستقلًّا عن صاحبه»[٢].

قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

الخَدُّ وَرْدٌ وَاللَّوَاحِظُ نَرْجِسٌ وَالشَّعْرُ آسٌ وَالمَعَاطِفُ بَانُ

شبه الشاعر الخد بالورد، وشبه العيون بالنرجس، وشبه الشَّعر بالآس، وشبه المعاطف بغصن البان، بحيث فصل بين التشبيهات الأربعة، أي أنه جمع بين كل مشبه وما شبهه به، حيث جمع المشبه الأول (الخد) مع المشبه به الأول (الورد)، وجمع المشبه الثاني (اللواحظ) مع المشبه به الثاني (النرجس)، وجمع المشبه الثالث (الشَّعر) مع المشبه به الثالث (الآس)، وجمع المشبه الرابع (المعاطف) مع المشبه به الرابع (غصن البان).

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة المكنّىٰ بأبي الفضل الوليد يصف ليلةً:

وَتَحْتِي مِنَ العُشْبِ النَّدِيِّ وِسَادَةٌ وَفَوْقِي مِنَ الدَّوْحِ العَلِيِّ سَتَائِرُ

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٣٦٧).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (ص ٥٢).

حيث شبه الشاعر العشب بالوسادة، وشبه الدوح بالستائر، وعلىٰ خلاف تشبيهاته السابقة، فصل الشاعر هذه المرة بين التشبيهين، أي أنه جمع بين كل مشبه وما شبهه به، حيث جمع المشبه الأول (العشب) مع المشبه به الأول (الوسادة)، كما جمع المشبه الثاني (الدوح) مع المشبه به الثاني (الستائر).

وقريب منه قول الشاعر اللبناني رشيد أيوب في وصف روضة:

فَلَا جَلِيسَ غَيْرَ زَهْرِ الرُّبَىٰ وَلَا أَنِيسَ غَيْرَ صَوْتِ الهَزَارِ

شبه الشاعر زهر الربىٰ بالجليس، وشبه صوت الهزار بالأنيس، فاصلًا بين التشبيهين، جامعًا كل مشبه وما شبهه به.

قال عبد الحميد الرافعي في وصف جمال اللغة العربية:

كُلُّ اللُّغَاتِ لَدَيْكِ يَا لُغَةَ الهُدَىٰ خَدَمٌ وَأَنْتِ مَلِيكَةُ الإِيوَانِ

حيث جمع الرافعي كل مشبه مع ما شبهه به، حيث جمع المشبه الأول (لغات العالم) مع المشبه به الأول (الخدم)، كما جمع المشبه الثاني (اللغة العربية) مع المشبه به الثاني (مليكة الإيوان)، فجاء التشبيهان مستقلّين.

وقال عبد الحميد الرافعي:

لِلشِّعْرِ مَمْلَكَةٌ زَهْرَاءُ لَيْسَ لَهَا غَيْرُ الفَصَاحَةِ مِنْ جُنْدٍ وَأَبْطَالِ

شبه الشاعرُ الشعرَ بالمملكة، وشبه الفصاحة بجندها الأبطال، والملاحظ أنه فصل بين التشبيهين: بحيث أتىٰ بالمشبه الأول: (الشعر) مرفوقًا بالمشبه به الأول (المملكة)، ثم أتىٰ بالمشبه الثاني (الفصاحة) رفقة المشبه به الثاني (الجند).

وقال الرافعي متغزلًا:

لَهَا مُقْلَتَا رِيمٍ وَقَدُّ أَرَاكَةٍ وَطَلْعَةُ شَمْسٍ، وَالهِلَالُ جَنِينُ

حيث فرق الشاعر بين التشبيهات الأربعة، وجمع المشبهات الأربعة:

(المقلتين، والقدّ، والطلعة والجبين)، مع المشبهات بها، وهي: (الريم، والأراكة، والشمس، والهلال).

قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي في تقريظ ديوان الرافعي:

فَكُلُّ بَيْتٍ كَأَنَّهُ فَلَكٌ تَدُورُ فِيهِ الكَوَاكِبُ الشُّهُبُ

فالشاعر شبه أبيات الرافعي بالأفلاك، والفلك هو المدار الذي تسبح فيه الكواكب الدرية، وشبه ألفاظ تلك الأبيات بالشهب الدراري، أي الكواكب الدرية المضيئة.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في تقريظ كتابٍ ومدح كاتبه:

كَأَنَّمَا هُوَ مُوسَى وَالكِتَابُ لَهُ كَانَ العَصَا وَفُؤَادُ الحَاسِدِ الحَجَرَا

مشبها الممدوح بموسىٰ عليه السلام، وكتابه بعصا موسىٰ، وفؤاد الحاسد بالحجر المنفجر.

وقال جعفر الحلي مفتخرا بشجاعة قومه:

وَإِذَا زَجَجْنَ سِهَامَهُمْ فَكَأَنَّهَا أَطْيَارُ حَتْفٍ وَالقُلُوبَ وُكُورُهَا

فالشاعر كما رأيت قد شبه سهام قومه بأطيار المنية، وشبه قلوب الأعداء بأوكار تلك الطيور، فاصلًا بين هذين التشبيهين البديعين.

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي في وصف قصيدة:

غُرَرٌ بَدَتْ كَالشُّهْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَزَغَتْ بِلَيْلٍ مِنْ سَوَادِ مِدَادِهَا

حيث شبه الشاعر ألفاظ القصيدة بالشهب، وشبه المداد الذي كتبت به بالليل، وأنت ترىٰ أن الشاعر قد جمع كل مشبه مع ما شبهه به.

قال بطرس كرامة في مدح أديب بليغ:

أَلْفَاظُهُ دُرَرٌ جَاءَتْ عَلَى غُرَرٍ مِنَ المَعَانِي لَهَا بَذْلُ النُّهَى ثَمَنَا



نقول: شبه الشاعر ألفاظ شعر صديقه بالدرر ومعانيَه بالغرر، والنهىٰ بالثمن المبذول، وذلك علىٰ نهج الجمع بين كل مشبه مع المشبه به خاصّته، أي الفصل بين التشبيهات الثلاثة.

قال مفدي زكريا يمدح أحد العلماء الوافدين من تونس، ومخاطبًا الشعب الجزائري:

وَافْتَحْ لَهُ تِلْكَ العُيُونَ نَوَادِيًا ... وَافْرُشْ لَهُ تِلْكَ القُلُوبَ وِطَاءَ

وَانْصُبْ لَهُ تِلْكَ الضُّلوعَ مَنَابِرًا ... يُلْقِي بِهَا لِلْعَالَمِينَ نِدَاءَ

شبه شاعرنا العيونَ بالنوادي، والقلوبَ بالوطاء (البساط)، والضلوعَ بالمنابر، جامعًا بين كل مشبه وما شبهه به.

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة مخاطبًا طلبة شمال إفريقيا المسلمين حين وفدوا إلىٰ الجزائر:

يَا فِتْيَةً طَلَعُوا كَالزَّهْرِ فِي وَسَطٍ ... كَالأُفْقِ جَالَتْ بِهِ الأكْدَارُ كَالسُّحُبِ

الملاحظ أن الشاعر كذلك قد جمع كل مشبه مع ما شبهه به، حيث جمع المشبه الأول (الفتية) مع المشبه به الأول (الزهر)، كما جمع المشبه الثاني (الوسط) مع المشبه به الثاني (الأفق)، وأخيرا جمع المشبه الثالث (الأكدار) مع المشبه به الثالث (السحب).

ومن هذا النوع من التشبيه قول أحمد شوقي:

وَلَمْ أَرَ كَالأَحْدَاثِ سَهْمًا إذَا جَرَتْ ... وَلَا كَاللَّيَالِي رَامِيًا يُبْعِدُ المَرْمَى

نقول قد جمع الشاعر كلّ مشبه مع ما شبهه به، بحيث جمع بين الأحداث والسهم، ثم جمع بين الليالي والرّامي، والأول منهما مشبه، والثاني مشبه به.

ومنه قول أحمد شوقي علىٰ لسان فارس في المعركة:

قَدْ جُنَّ تَحْتِي جَوَادِي فَهْوَ عَاصِفَةٌ ... وَجُنّ سَيْفِي بِكَفِّي فَهْوَ إعْصَارُ



ومن هذا النوع قول الشاعر القروي في وصف شريد:

يَـئِنُّ فَمَـا يَلْقَـى سِـوَى اليَـأْسِ حَوْلَـهُ طَبِيبًـا وَأشْـبَاحِ المَنِيَّـةِ عُـوَّدَا

شبه القرويّ يأس الشريد بالطبيب، وشبه أشباح المنية بالزوّار على سنة التشبيه المفروق.

وللشاعر القروي في الشكوى:

فَقَلْـبِي صَـارَ مُسْتَشْـفًى وَكُـلُّ جَـوَارِحِي مَـرْضَى

قال محمود غنيم مخاطبًا الرئيس جمال عبد الناصر:

إذَا كَانَـتْ عَـرُوسَ الشَّـرْقِ مِصْـرٌ فَأنْـتَ بِخَـدِّهَا الـوَرْدِيِّ خَـالُ

فالشاعر كما ترى قد أتى بالمشبه الأول (مصر) مصحوبا بالمشبه به الأول (عروس الشرق)، ثم أتى بالمشبه الثاني (الضمير أنت العائد على الرئيس) مصحوبًا بالمشبه به الثاني (الخال).

قال مصطفى صادق الرافعي في وصف بنات المدارس:

أرَاهُـنَّ كالألمَـاسِ فضـلًا، وإنَّمَـا مَدَارِسُـنَا هَـذِي لَهُـنَّ مَنَـاجِمُ

فالشاعر شبه البنات الصغار بالألماس، وشبه المدارس بالمناجم، لكنه فضّل التشبيه المفروق، وفصل بين التشبيهين: حيث أتى بالمشبه الأول: (البنات المعبر عنه بضمير الغائب) رفقة المشبه به الأول (الألماس)، ثم أتى بالمشبه الثاني (المدارس) رفقة المشبه به الثاني (المناجم).

قال معروف الرصافي في وصف الحرب:

وَالأُفُـقُ مُحْمَـرَّةٌ جَوَانِبُـهُ كَأَنَّمَـا الجَـوُّ مِلْـؤهُ لَهَـبُ

وَالمَـوْتُ كَـالكَبْشِ فِي جَوَانِبِـهِ يَرْعَـى نُفُوسًـا كَأنَّهَـا عُشُـبُ

جمع الشاعرُ كلّ مشبه مع ما شبهه به، حيث شبه الأفق باللهب، وشبه الموتَ بالكبش، والأنفسَ بالعشب علىٰ طريقة التشبيه المفروق.

ومن التشبيه المفروق أيضًا قول حافظ إبراهيم:

وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً ... لَهَا الحُبُّ جُنْدٌ والوَلَاءُ سَفِيرُ

فُؤَادِي لَهَا عَرْشٌ وأَنْتَ مَلِيكُهُ ... وَدُونَكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورُ

ومن هذا النوع في النثر قول ميخائيل نعيمة: «يَوْمَ نَادَىٰ مُنَادِي الحَرْب، نَادَتِ البَشَرِيَّةُ بِالهَزِيمَة، فَالعَدْلُ مِدْفَعٌ ثَرْثَار، وَالرَّأْفَةُ طَيَّارَةٌ تَزْرَعُ البَوَار، وَالحَقُّ دَبَّابَةٌ تَقْذِفُ النَّار، وَالحُبُّ سَيْفٌ فِي يَدِ البَغْضَاء، وَالصِّدْقُ عِلْكٌ فِي فَمِ الرِّيَاء، وَالمُرُوءَةُ نَعْلٌ لِلْخَسَاسَة، وَالطُّهْرُ خُلْخَالٌ لِلرَّجَاسَة، وَالحُرِيَّةُ طُعْمٌ لِلْغَوْغَاء، وَالإِيمَانُ مَطِيَّةٌ لِأَحَطِّ الرَّغَائِبِ والأَهْوَاء».

فالكاتب كما لاحظت قد جمع كل مشبه مع ما شبهه به، فالعدل مشبه، والمدفع مشبه به، والرأفة مشبه، والطيارة مشبه به، والحق مشبه، والدبابة مشبه به، والحب مشبه، والسيف مشبه به... وهكذا دواليك.

٣/ **تَشْبِيهُ التَّسْوِيَة**: وَهُوَ أَنْ يَتَعَدَّدَ المُشَبَّه، وَيَبْقَىٰ المُشَبَّهُ بِهِ وَاحِدًا[١]. «ويسمىٰ هذا النوع (التسوية) لأنّ المتكلم سوَّىٰ بين المشبهات، بحيث جعل لها مشبها به واحدًا»[٢].

قال محمود غنيم:

وَآمَنْتُ أَنَّ المَجْدَ وَالجَاهَ وَالعُلا ... سَرَابٌ كَذُوبٌ يَخْدَعُ النَّاسَ ظَاهِرُهْ

فالشاعر عَدَّدَ المشبه (المجد والجاه والعلا)، لكن المشبه به بقي واحدًا (السراب).

---

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٣٦٧).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها. فضل حسن عباس (ص ٥١).

وفي تشبيهٍ مقلوبٍ قال بطرس كرامة يصف كتابًا وصلهُ من صديق:

وَفِي لَفْظِهِ دُرٌّ حَكَاهُ مُقَصّرًا مِنَ الغَانَيَاتِ الثَّغْرُ يَفْتَرُّ والعِقْدُ

بحيث شبه الشاعر درر عقد الغانية و«دُرَر» ثغرها بدرر ألفاظ الشاعر علىٰ طريقة التشبيه المقلوب الذي سنناقشه لاحقًا، والملاحظ أن المشبه متعدد (الثغر والعقد)، والمشبه به واحد (ألفاظ الشاعر).

ومنه قول الشاعر اللبناني عمر الأنسيّ في تشبيه مقلوب كذلك:

مَهَاةٌ كَقَلْبِي قُرْطُهَا وَوِشَاحُهَا خَفُوقَانِ مِنْ دَلٍّ عَلَيْهَا وَمِنْ لَهَفِ

حيث شبه الشاعر القرط والوشاح بقلبه ووجه الشبه الاضطراب والخفقان. وبما أن المشبه متعددٌ والمشبهَ به واحدٌ فالتشبيه تشبيه تسوية.

ومنه قول الشاعر القروي في الحنين إلىٰ الوطن:

لَوْ قَضَمْتُ الرَّغِيفَ فِيهِ قَفَارًا فَالرِّضَى وَالسُّرُورُ نِعْمَ الإِدَامُ

مشبهًا الرضىٰ والسرور بالإدام. فالشاعر قد سوَّىٰ بين المشبهين، بحيث جعل لها مشبهًا به واحدًا.

ومنه قول أحمد شوقي في وصف الحبيب المصطفىٰ:

سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالجِرْمُ فِي فَلَكٍ وَالضَّوْءُ فِي عَلَمِ

فالشاعر قد عدد المشبه (سناؤه: رِفعته)، و(سناه: نوره)، بينما كان المشبه به واحدًا (الشمس).

ومنه قول أحمد شوقي في رثاء الأديب محمد المويلحي:

إنَّمَا السِّحْرُ والبَلَاغَةُ والحِكْ مَةُ بَيْتٌ، كِلاهُمَا مِصْرَاعَه

حيث سوّىٰ الشاعر بين المشبهات، (السحر والبلاغة والحكمة) من حيث جعل لها مشبها به واحدًا.

ومنه قول شوقي أيضًا:

المَجْدُ والشَّرَفُ الرَّفِيعُ صَحِيفَةٌ   جُعِلَتْ لَهَا الأَخْلَاقُ كَالعُنْوَانِ

معددًا شوقي المشبهَ (المجد والشرف) وموّحدًا المشبه به (الصحيفة).

ومنه قول معروف الرصافي في الرثاء:

وَالدَّمْعُ وَالشِّعْرُ مِمَّنْ قَدْ بَكَى بِهِمَا   كِلَاهُمَا حَكَيَا فِي يَوْمِهِ الدُّرَرَا

ومنه قول إسماعيل صبري:

إنَّمَا الأَرْضُ وَالفَضَاءُ كِتَابٌ   فَاقْرَأُوهُ مَعَاشِرَ الأَذْكِيَاءِ

فصبري قد شبه كما لاحظت الأرض والفضاء، وهو مشبه متعدد بالكتاب، وهو مشبه به واحد.

ومنه قول الشاعر محمد العيد آل خليفة عن بلاده الجزائر:

فَكُلُّ لَيَالِيهَا وَأَيَّامِهَا لَنَا   وَلَائِمُ لَمْ تَبْرَحْ تَلِيهَا وَلَائِمُ

وقوله:

العُمْرُ وَالإِنْسَانُ وَالدُّنْيَا هُمْ   كَالظِّلِّ فِي الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ

ومن أمثلته في النثر قول البشير الإبراهيمي: «يَمُرُّ الزَّمَنُ، ويَبْقَى اللِّسَانُ العَرَبِيُّ، والبَيَانُ العَرَبِيُّ، والشِّعْرُ العَرَبِيُّ رُسُلًا صَادِقِين».

٤/ **تَشْبِيهُ الجَمْعِ**: وهُوَ عَكْسُ تَشْبِيهِ التَّسْوِيَة، وذَلِكَ حِينَ يَتَعَدَّدُ المُشَبَّهُ بِه، وَيَبْقَى المُشَبَّهُ وَاحِدًا»[١]، ويسمى هذا النوع من التشبيه (الجمع) لأنّ المتكلمَ جمعَ مشبهاتٍ بها متعددة لمشبهٍ واحد»[٢].

---

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٣٦٨).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (ص ٥٠).



قال أحمد شوقي في أسرابِ الطائرات الحربية وهي تتضاءل كلّما حلّقتْ صُعودًا:

ذَهَبَتْ تَسْمُو فَكَانَتْ أعْقُبًا فَنُسُورًا فَصُقُورًا فَحَمَامَا

ماذا لاحظت هذه المرة؟ لا شك أن شوقي بعبقريته الخيالية قد اهتدىٰ إلىٰ تشبيه الطائرات بالعِقبانِ والنسورِ والصقورِ والحَمام. حيث أتىٰ بالمشبه به متعددًا، بينما ظل المشبه واحدًا.

قال محمود غنيم في وصف شمس الشتاء:

كَأنَّ شَمْسَ الشِّتَاء ظَبْيٌ مِنْ طَبْعِهِ الدَّلُّ والنِّفَارُ

أوْ وَجْهُ عَذْرَاءَ ذَاتِ خِدْرٍ تَظُنُّ أنَّ السُّفُورَ عَارُ

لعلك أدركت أنّ المشبه به متعدد: الظبي، ووجهُ العذراء، والمشبه واحد: شمسُ الشتاء.

ومن شواهد تشبيه الجمع قول الشاعر أحمد سحنون يصف الجزائر أيام الاحتلال:

وَغَدَتْ بِلَادُ الحُسْنِ كَالرَّوْضِ الَّذِي أَضْحَى جَدِيبًا مِنْ حُلَاهُ سَلِيبَا

أَوْ مِثْلُ حَسْنَاءٍ جَفَاهَا إلْفُهَا فَبَدَا مُحَيَّاهَا الجَمِيلُ كَئِيبَا

حيث شبه الشاعر بلاده الحبيبة بالروض تارة والحسناءِ تارة، وهكذا وَرَدَ المشبه واحدًا والمشبه به متعددًا.

ومنه قول خليل مطران مخاطبًا من يهوىٰ:

إذَا مَا تَرَدَّيْتِ البَيَاضَ لِتَنْجَلِي فَكَالشَّمْسِ يَجْلُوهَا الصَّبَاحُ لِتَسْطَعَا

وَإنْ تُؤْثِرِي سُودَ المَطَارِفِ مَلْبَسًا فَكَالبَدْرِ يَخْتَارُ اللَّيَالِيَ مَطْلَعَا

حيث المشبه واحد: الحسناء، والمشبه به متعدد: الشمس حين ترتدي حسناؤه البياض، والبدر حين ترتدي السواد.

ومنه قول حافظ إبراهيم:

خُلُقٌ كَضَوْءِ البَدْرِ أوْ كَالرَّوْضِ أوْ ... كَالزَّهْرِ، أوْ كَالخَمْرِ، أوْ كَالمَاءِ

ومنه قول حافظ إبراهيم:

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذَا أعْدَدْتَهَا ... أعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأعْرَاقِ

الأمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَهُ الحَيَا ... بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أيَّمَا إيرَاقِ

ومن شواهد هذا التشبيه أيضًا قول مفدي زكريا في وصف عملية إعدام شهيد:

قَامَ يَخْتَالُ كَالمَسِيحِ وَئِيدَا ... يَتَهَادَى نَشْوَانَ، يتْلُو النَّشِيدَا

بَاسِمَ الثَّغْرِ كَالمَلائِكِ أوْ كَالطِّـ ... ـفْلِ يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الجَدِيدَا

حَالِمًا كَالكَلِيمِ كَلَّمَهُ المَجْـ ... ـدُ فَشَدَّ الحِبَالَ يَبْغِي الصُّعُودَا

وَتَسَامَى كَالرُّوحِ فِي لَيْلَةِ القَدْ ... رِ سَلامًا يَشِعُّ فِي الكَوْنِ عِيدَا

ومنه قول الشاعر العراقي حيدر الحلي:

مِنْ لَفْظِهِ العَذْبِ إنْ شِئْتَ الْتَقِطْ دُرَرًا ... أوْ فَاقْتَطِفْ زَهَرًا، أَوْ فَاقْتَبِسْ حِكَمَا

ومنه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

أَنْتَ سِوَارُ المَجْدِ، بَلْ جَوْهَرَةٌ ... فِي العِقْدِ، بَلْ وَاسِطَةُ الوِشَاحِ

ومنه قول نزار قباني:

وَأَنَا كَالطِّفْلَةِ فِي يَدِهِ ... كَالرِّيشَةِ تَحْمِلُهَا النَّسَمَاتْ

ومنه قوله مخاطبًا (بيروت):

قُومِي مِنْ تَحْتِ المَوْجِ الأَزْرَقِ يَا (عِشْتَارْ)

قُومِي كَقَصِيدَةِ وَرْدٍ

أَوْ قُومِي كَقَصِيدَةِ نَارْ

لَا يُوجَدُ قَبْلَكِ شَيْءٌ.. بَعْدَكِ شَيْءٌ.. مِثْلَكِ شَيْءٌ

أَنْتِ خُلَاصَاتُ الأَعْمَارْ

يَا حَقْلَ اللُّؤْلُؤِ

يَا مِينَاءَ العِشْقِ

وَيَا طَاوُوسَ المَاءْ

قُومِي مِنْ أَجْلِ الحُبِّ، وَمِنْ أَجْلِ الشُّعَرَاءْ.

ومنه قوله:

وَأَنْتَظِرُ الصَّوْتَ..

صَوْتَكَ يَهْمِي عَلَيْ

كَصَوْتِ نَبِيْ

كَصَوْتِ ارْتِطَامِ النُّجُومِ

كَصَوْتِ سُقُوطِ الحُلَيْ

ومنه في النثر قول الأديب والناقد اللبناني مارون عبّود: «الناقدُ النَّزيهُ كالصَّقيل الماهر، يبدو جوهرُ السيف تحت أنمله شيئا فشيئا، أو كالمرشدِ الأمين يجذبك إلىٰ متحفٍ مليءٍ بعرائس الفنون».





التطبيق

حدد المشبه والمشبه به، ونوع التشبيه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمد توفيق علي في قصيدته الخالدة (مصر العروس):

تِيجَانُهَا كُثْبَانُها، وَبِسَاطُهَا جَنَّاتُها، وَالصَّوْلَجَانُ نَخِيلُ

وَمِنَ الشُّطُوطِ زَبَرْجَدٌ وَمِنَ السُّهُو لِ زُمُرُّدٌ وَمِنَ النُّضَارِ حُقُولُ

أَبَدًا أَزَاهِرُهَا تَضُوعُ وَوِرْقُهَا تَشْدُو وَمُثْمِرَةُ الغُصُونِ تَمِيلُ

فَكَأَنَّمَا مِنْ كُلِّ غُصْنَيْ دَوْحَةٍ يَتَعَانَقَانِ (بُثَيْنَةٌ وَجَمِيلُ)

٢- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

وَعَلَى ذُؤَابَتِهَا نَثَرْتُ مَدَامِعِي حِينًا كَتَنْثِيرِ النُّجُومِ عَلَى الدُّجَى

٣- قال ناصيف اليازجي في المدح:

كَالبَحْرِ مُنْدَفِقًا وَالصُّبْحِ مُنْبَثِقًا وَالسَّهْمِ مُنْطَلِقًا وَالغَيْثِ مُنْسَكِبَا

٤- وقال اليازجي ردًا على رسالة أخوية:

فَسُطُورُهُ وطُرُوسُهُ فِي حُسْنِهَا حَاكَتْ سَمَاءً زُيِّنَتْ بِكَوَاكِبِ

٥- قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في وصف الخمر:

كَأَنَّ أَقْدَاحَهَا الأَقْمَارُ سَاطِعَةً وَنُورَهَا مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ مُنْسَبِكُ

٦- قال محمد العيد آل خليفة في وصف جسر قسنطينة الجزائري:

فَهَوَاؤُهُ كَالبَحْرِ وَهْوَ بِعَرْضِهِ كَسَفِينَةٍ أَرْسَتْ عَلَيْهِ رِحَالَا

٧- وقال محمد العيد آل خليفة مخاطبا الدهر:

فَكَأَنَّ هَذَا الهَمَّ مِنْكَ جَهَنَّمُ وَكَأَنَّ هَذَا الشَّيْبَ مِنْكَ وَقُودُ

٨- قال الشاعر السوري أمين الجندي مادحًا:

قَيْسُ الفَصَاحَةِ حَسَّانُ البَرَاعَةِ مِقْدَادُ الشَّجَاعَةِ مَعْنُ الجُودِ إنْ نَفَحَا

٩- قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

وَفَتْ لِي وَكَانَتْ كَالسَّمَوْأل بِالوَفَا وَكَانَتْ عُهُودِي عِنْدَهَا أَدْرُعَ الكِنْدِي

١٠- قال الشاعر الجزائري رمضان حمّود:

إنَّمَا قَلْبِي ورُوحِي وفَمِي آلَةٌ تَسْعَى لِرَفْعِ الضَّرَرِ

١١- قال محمود غنيم في وصف الأعداء:

كَانُوا نَعَامًا إذا نَارُ الوَغَى اتَّقَدَتْ لكنهُمْ إذْ يَسُودُ السِّلْمُ فُرْسَانُ

١٢- وقال محمود غنيم في مدح شاعرة:

دُرَرٌ خَارِجَةٌ مِنْ دُرَرٍ تِلْكَ لَمْ تُثقَبْ، وَذِي لَمْ تُثقبِ

١٣- قال أحمد شوقي في العلم والأخلاق:

هُمَا كالسَّيْفِ، لا تَنْصِفْهُ يَفسُدْ عَلَيْكَ، وخُذْهُ مُكْتَمِلًا سَوِيّا

١٤- وقال شوقي:

فَمَا المَالُ والعَيْشُ إلّا كَطَيْفِ خَيَالٍ سَرَى طَارِقًا في مَنَامِ

١٥- قال محمود سامي البارودي:

كَأنَّ اهتِزَازَ القُرْطِ فِي صَفْحِ جِيدِهَا سَنَا كَوْكَبٍ فِي مَطْلَعِ الفَجْرِ لَائِحُ

١٦- وقال البارودي:

كَالوَرْدِ خَدًّا وَالبَنَفْسَجِ طُرَّةً وَالغُصْنِ قَدًّا وَالغَزَالَةِ مَلْفَتَا

١٧- قال مصطفىٰ صادق الرافعي في غرض الوصف:

وَمَا خِلْتُ هَذَا الكَوْنَ إلَّا كَوَجْنَةٍ ... عَلَيْهَا الدُّجَى فِيمَا أشَبِّهُهُ خَالُ

١٨- وقال الرافعي في وصف البدر والكواكب:

كَأَنَّكَ يَا بَدْرَ الكَوَاكِبِ بَيْنَهَا ... فَتَاةٌ مَشَتْ بَيْنَ الأزَاهِرِ تَقْطِفُ

١٩- قال علي الجندي:

مُلْكٌ رأيتُ الصَّبرَ أسَّ بِنَائِهِ ... وَالعِلْمَ رُكْنًا، وَالخِلالَ دِعَامَا

٢٠- قال علي الجارم:

الشِّعْرُ أنْشُودَةُ الفَنّانِ يُرْسِلُهَا ... إلَى القُلُوبِ، فَتَحْيَا بَعْدَ إقْفَارِ

الشِّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائسَةً ... وَدَمْعَةُ الطَّلِّ فِي أجْفَانِ أزْهَارِ



حل التطبيق

المثال	المشبه	المشبه به	نوع التشبيه
١	الكثبان - البساط - النخيل	التيجان - الجنات - الصولجان	تشبيه مفروق
١	الشطوط - السهول - الحقول	الزبرجد - الزمرد - والنضار	تشبيه مفروق
١	غصنا الدوحة	جميل - بثينة	تشبيه مفروق
٢	الدموع - الذؤابة	النجوم - الدجىٰ	تشبيه ملفوف
٣	الممدوح	البحر والصبح والسهم والغيث	تشبيه جمع
٤	السطور - الطروس	الكواكب - السماء	تشبيه ملفوف
٥	الأقداح - الخمر	الأقمار - الشمس	تشبيه مفروق
٦	الهواء - الجسر	البحر - السفينة	تشبيه مفروق
٧	الهم - الشيب	جهنم - وقود	تشبيه مفروق
٨	الممدوح	قيس - حسَّان - المقداد - مَعْن	تشبيه جمع
٩	المحبوبة - العهود	السموأل - أدرع الكندي	تشبيه مفروق
١٠	القلب - الروح - الفم	الآلة	تشبيه تسوية
١١	الأعداء	النعام - الفرسان	تشبيه جمع
١٢	ألفاظ الأديبة وفمها	الدرر	تشبيه تسوية
١٣	العلم - الأخلاق	السيف	تشبيه تسوية
١٤	المال - العيش	الطيف	تشبيه تسوية
١٥	القرط - الجيد	الكوكب - الفجر	تشبيه ملفوف
١٦	الخد و الطرة والقد والملفت	الورد والبنفسج والغصن والغزالة	تشبيه مفروق
١٧	الكون - الدجىٰ	الوجنة - الخال	تشبيه ملفوف
١٨	البدر - الكواكب	الفتاة - الأزهار	تشبيه ملفوف
١٩	الصبر - العلم - الخِلال	الأسّ - الركن - الدّعام	تشبيه مفروق
٢٠	الشعر	الأنشودة - الهمس - الدمعة	تشبيه جمع



تمرين

حدّد نوع كل تشبيه ممّا يأتي:

قال الكاتب محمد المويلحي يصف مأدبة عشاء: «وَقَامَ الأَمِيرُ يَمْشِي أَمَامَ الصُّفُوفِ فِي خُيَلَائِه، مِشْيَةَ القَائِدِ يَوْمَ بَلَائِه، وَفَتَحَ البَابَ وَلَا فَتْح سَعْدٍ لِلْقَادِسِيَّة، وَالمُعْتَصِمِ لِعَمُّورِيَّة، وَمُحَمَّدٍ لِلْقُسْطَنْطِينِيَّة، وَدَخَلَتْ فِي إِثْرِهِ صُفُوفُ الجُمُوع، وَهُمْ فِي سُكُونٍ وَخُشُوع، دُخُولَ التُّقَاةِ لِلصَّلَاة، وَالعُفَاةِ لِلصِّلَات، ثُمَّ مَا لَبِثُوا أَنْ هَجَمُوا عَلَىٰ المَائِدَةِ هُجُومَ الفَوَارِسِ البَوَاسِل، عَلَىٰ الحُصُونِ وَالمَعَاقِل، لَا بَلْ هُجُومَ الأُسُودِ الضَّارِيَة، عَلَىٰ الأَشْلَاء الدَّامِيَة، وَالذِّئَابِ الخَاوِيَة، عَلَىٰ الشِّيَاهِ الرَّاعِيَة، وَاشْتَدَّ الزِّحَام، وَزَلَّتِ الأَقْدَام، وَضَلَّتِ المَذَاهِب، وَاصْطَكَّتِ المَنَاكِب، وَشَخَصَتِ الأَحْدَاق، وَامْتَدَّتِ الأَعْنَاق، وَتَحَرَّكَتِ الأَشْدَاق، وَتَقَارَعَتِ الأَطْبَاق، وَتَصَاوَلَتِ الأَيْدِي بِالمُدَىٰ، كَالظُّبَىٰ فِي الوَغَىٰ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق، وَاشْتَدَّ الهَوْلُ وَضَاقَ الخِنَاق، ثُمَّ انْجَلَتِ المَعْمَعَةُ عَنْ شُهَدَاءِ التَّخَم، وَأُسَرَاءِ البَشَم، وَقَتْلَىٰ الطَّعَام، وَصَرْعَىٰ المُدَام».

قال جبران خليل جبران معلّقا علىٰ الشاعر الجيّد، والشاعر المقلّد: «أَمَّا المُقَلِّدُ فَمُقَلِّدٌ حَتَّىٰ فِي حُبِّهِ وَغَزَلِهِ وَتَشْبِيهِه، فَإِنْ ذَكَرَ وَجْهَ حَبِيبَتِهِ وَعُنُقَهَا، قَال: بَدْرٌ، وَغَزَال، وإِنْ خَطَرَ عَلَىٰ بَالِهِ شَعْرُهَا، وقَدُّهَا، وَلَحْظُهَا قَال: لَيْلٌ، وَغُصْنُ بَانٍ، وَسِهَام، وإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ بَيَانِيَّةٍ قَال: حَبِيبَتِي تَسْتَمْطِرُ لُؤْلُؤَ الدَّمْعِ مِنْ نَرْجِسِ العُيُون، لِتَسْقِيَ وَرْدَ الخُدُود، وتَعُضُّ عَلَىٰ عُنَّابِ أَنَامِلِهَا بِبَرَدِ أَسْنَانِهَا».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «وما الآرَاءُ السَّامِيَةُ والأفْكَارُ النَّاضِجَةُ التي رَفَعَتْ شَأْنَ المَدَنِيَّةِ الحَدِيثَةِ إلَّا أبْخِرَةُ الأدْمِغَةِ بِنِيرَانِ الهُمُوم».

قال أبو القاسم الشابي:

عَذْبَةٌ أنْتِ كَالطُّفُولَةِ كَالأحْلام ... كَاللَّحْنِ، كَالصَّبَاحِ الجَدِيدِ

كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ، كَاللَّيْلَةِ القَمْرَاء ... كَالوَرْدِ، كَابْتِسَامِ الوَلِيدِ

قال محمد توفيق علي في وصف الليل والكواكب:

أَهَذِي الدُّجَى أَغْصَانُ رَوْضٍ وَأَدْوَاحُ ... عَلَيْهَا النُّجُومُ الزُّهْرُ وَرْدٌ وَتُفَّاحُ؟

أمِ اللَّيْلُ بَحْرٌ وَالنُّجُومُ لآلِئٌ ... أَمِ اللَّيْلُ دَنٌّ وَالكَوَاكِبُ أَقْدَاحُ؟

قال بدر شاكر السياب يصف ريحًا خفيفة:

وَتَرَاعَشَ العُشْبُ النَّضِيرُ وَمَاؤُهُ ... مِثْلَ ارْتِعَاشِ كَوَاكِبِ الظَّلْمَاءِ

أَوْ كَالشِّرَاعِ تَجَاذَبَتْهُ نَسَائِمٌ ... أَوْ كَالفُؤَادِ مُفَاجَأً بِلِقَاءِ

قال أمير الشعراء أحمد شوقي في الوصف:

ولَقَدْ تَمُرُّ عَلَى الغَدِيرِ تَخَالُهُ ... وَالنَّبْتَ مِرْآةً زَهَتْ بِإطَارِ

حُلْوَ التَّسَلْسُلِ مَوْجُهُ وخَرِيرُهُ ... كَأَنَامِلٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ

وقال شوقي مادحًا ومفتخرًا:

وَكَأَنَّهُ فِي الفَتْحِ عَمُّورِيَّةٌ ... وكَأَنَّنِي فِيهِ أَبُو تَمَّامِ

قال شاعر لبنان إلياس عبد الله طعمة:

قِوَامُكِ مِنْ رِمَاحِ أَبِي فِرَاسِ ... وَثَغْرُكِ مِنْ كُؤوسِ أَبِي نُوَاسِ

وَطَرْفُكِ أَشْبَهَ السَّفَّاحَ لَمَّا ... طَلَعْتِ عَلَيَّ سَوْدَاءَ اللِّبَاسِ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي راثيا:

فَكُنْتَ نُوحًا وَكَانَ الفُلْكُ نَعْشَكَ وَال ... طُّوفَانُ فَائِرَ دَمْعٍ أَغْرَقَ الأُمَمَ

قال خليل ناصيف اليازجي:

قَالَتْ أَلَا صِفْ مَعْطِفِي وَلَوَاحِظِي ... فَأَجَبْتُ ذَا بَانٌ وَذِي ظَبْيَاتُهُ

وَصِفِ الخُدُودَ مَعَ العُيُونِ فَقُلْتُ ذِي ... قَدَحُ المُدَامِ بَدَا وَتِلْكَ سُقَاتُهُ

وَصِفِ الحَوَاجِبَ وَالعُيُونَ فَقُلْتُ ذِي ... سَهْمٌ وَهَاتِيكَ القِسِيُّ رُمَاتُهُ

وقال خليل ناصيف اليازجي:

فَتَبَدَّتْ كَأَنَّهَا بَدْرُ تَمٍّ ... إِنَّمَا الأَرْضُ أُفْقُهُ لَا السَّمَاءُ

وَتَثَنَّتْ كَأَنَّهَا غُصْنُ بَانٍ ... لَيْسَ مَاءٌ يَسْقِيهِ لَكِنْ بَهَاءُ

قال الشاعر السوري بطرس كرامة:

مَهَاةٌ لَهَا رَوْضُ الحُشَاشَةِ مَرْتَعًا ... وَشَمْسٌ غَدَا قَلْبُ المُحِبِّ لَهَا أُفْقَا

قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

مَلِيكَةُ حُسْنٍ تَحْتَ رَايَاتِ شَعْرِها ... نُجُومُ الدَّرَارِي بَدْرُهَا قَائِدُ الجُنْدِ

قال خليل مطران:

عَاجَتْ أَصِيلًا بِالرِّيَاضِ تَطُوفُهَا ... كَمَلِيكَةٍ طَافَتْ مَعَاهِدَ حُكْمِهَا

قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون في شأن الأصدقاء:

وَإِنَّ حَيَاتِي لَا تَطِيبُ بِدُونِهِمْ ... فَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ كَالشَّخْصِ وَالظِّلِّ

وقال أحمد سحنون:

الدُّنْيَا بِلَا شِعْرٍ كَزَهْرٍ بِلَا ... عِطْرٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا عِفَّهْ

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في الغزل:

عَيْنَاكِ مِحْبَرَتَا شَيْخٍ بِصَوْمَعَةٍ ... أَوْ وَمْضَتَانِ عَلَى خَيْطَيْنِ مِنْ مَطَرِ

وقال أيضًا:

وَأَفْهَمُ كَيْفَ تُحْرِجُهَا الصَّبَايَا ... كَسُنْبُلَةٍ تُحَاصِرُهَا الحُقُولُ

قال الشاعر القروي يصف الشَّيب:

كَأَنَّ الشُّعُورَ السُّودَ أَعْصُرُ ظُلْمَةٍ ... بَدَا بَيْنَهَا عَصْرٌ أَغَرُّ مَجِيدُ

كَأَنَّ سَوَادَ الفَوْدِ حَيْرَةُ جَاهِلٍ ... تَصَدَّى لَهَا رَأْيٌ أَجَلُّ سَدِيدُ

تَجَلَّتْ عَلَى عَرْشِ الشَّبَابِ كَسَيِّدٍ ... حَوَالَيْهِ مِنْ سُودِ الشُّعُورِ عَبِيدُ

قال نزار قباني:

سَكَنَ الحُزْنُ كَالعَصَافِيرِ قَلْبِي ... فَالأَسَى خَمْرَةٌ وقَلْبِي الإِنَاءُ

قال معروف الرصافي في وصف روضة:

مَثَلَتْ بِهَا الأَغْصَانُ وَهْيَ مَنَابِرٌ ... وَتَلَتْ بِهَا الخُطَبَاءُ وَهْيَ طُيُورُ

وقال الرصافي في غرض الوصف:

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيقِ وَحَوْلَهُ ... فِي الرَّوْضِ زَهْرُ اليَاسَمِينِ يَمُورُ

شَمْعٌ تَوَقَّدَ فِي زُجَاجٍ أَحْمَرٍ ... فَغَدَا حَوَالَيْهِ الفَرَاشُ يَدُورُ

وقال في وصف أحد جبال لبنان:

كَأَنَّ جِبَالَ (المَتْنِ) حَدْبَةُ عَابِدٍ ... هَوَى سَاجِدًا شُكْرًا وَبَيْرُوتَ رَأْسُهُ

قال بشارة الخوري في الغزل:

فَكَأَنّ القُلُوبَ بَعْضُ عَبِيدٍ ... وَكَأَنَّ النُّفُوسَ بَعْضُ إِمَاءِ

قال مصطفى صادق الرافعي:

كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْبَرٌ أَحْدَقَتْ بِهِ ... ظُنُونِي وَهَذَا الحُبُّ فِيهِ خَطِيبُ

وَأَبْكِي بِعَيْنٍ لَيْسَ تُمْسِكُ عَبْرَة ... كَأَنَّ عُيُونَ العَاشِقِينَ ثُقُوبُ

وَرَثَّ فُؤَادِي فَهُوَ لا يَحْمِلُ الهَوَى ... كَأَنَّ دَبِيبَ الشَّوْقِ فِيهِ وُثُوبُ

قال إيليا أبو ماضي:

وَقَفَتْ تُحِيطُ بِهَا الزُّهُورُ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تُحِيطُ بِهِ الكَوَاكِبُ فِي الفَضَا

وَمَشَتْ تَحُفُّ بِهَا الغُصُونُ كَأَنَّهَا ... مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ الجُنُودُ إِذَا مَشَى

قال إلياس فرحات:

وَمَا العُمْرُ إلّا دَمْعَةٌ وَابْتِسَامَةٌ ... وَمَا زَادَ عَنْ هَذِي وَتِلْكَ فُضُولُ





التشبيهُ التَّمْثِيلِيّ

التَّشْبِيهُ غَيْرُ التَّمْثِيلِيّ: هُوَ مَا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ وَاحِدًا مُفْرَدًا، أيْ صِفَةً وَاحِدَة[١].

التَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِيّ: هُوَ مَا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ مُتَعَدِّدًا، مُرَكَّبًا مِنْ جُمْلَةٍ مِنَ الصِّفَات، يَصْعُبُ فَصْلُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْض، ولا يَتِمُّ التَّشْبِيهُ إلاّ بِهَا مُجْتَمِعَة، وهَذَا التَّعَدُّدُ يُكَوِّنُ لَنَا صُورَةً، أوْ هَيْئَةً مَا. وبعبارة مفصلّة نقول: هُوَ «مَا كَانَ وَجْهُهُ مُنْتَزَعًا مِنْ مُتَعَدِّد: أَمْرَيْنِ أوْ أكْثَر، بِأَنْ يَكُونَ لِكُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ كَيْفِيَّةٌ حَاصِلَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ شَيْئَيْن، أوْ أَشْيَاءَ قَدْ تَضَامَّتْ وتَلاءَمَتْ، حَتَّىٰ صَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا، فَيَعْمَدُ الشَّاعِرُ إلَىٰ أَجْزَاءِ الطَّرَفِ المُشَبَّه، فَيُشَبِّهُهَا مَعَ الهَيْئَةِ الحَاصِلَةِ مِنْ تَرْكِيبِهَا بِالطَّرَفِ الآخَر، وهَكَذَا»[٢].

شواهد التشبيه التمثيلي:

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة يصف أسطولًا بحريًّا:

فَأَعْظِمْ بِشَعْبٍ مُسْتَقِلٍّ سَفِينُهُ ... يَتِيهُ دَلَالًا بَيْنَ مَرْسًى وَغَمْرَةِ

فُرَادَى وَأَزْوَاجًا يَسِيرُ كَأَنَّهُ ... عَصَائِبُ طَيْرٍ فِي البُحُورِ المُحِيطَةِ

يا له من تصوير حيٍّ يسافر بك إلىٰ مشهدين في البحر بديعين ساحرين:

المشهد الأول (المشبه): أسطولٌ من السفن البحرية العظيمة يثير الرَّوعَ والرَّوعة، يختالُ دلالًا، ويتيهُ عزًّا بين ميناء البحر ولجته.. هنا سفينةٌ تغدو

(١) علوم البلاغة الدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محي الدين ديب (ص ١٧٠).

(٢) فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني (ص ١١).

وتروح في مشهد يرتعُ فيه الجمال، وهناك أسراب من البواخر تتجاذب في منظر يخشع له الجلال.

المشهد المُقابل (المشبه به): أسرابٌ من النوارس، أو عصائبُ من القطارس، ترسم في تفرّدها أو تجمعها لوحة فنّية بين سطح الماء وصفحة السماء، فهنا منظر نورس يخط بجناحيه آية بيِّنَةً من آيات الحسن والإبداع، وهناك أسراب منها تصمِّمُ أعظم مشهد من مشاهد العظمة والوقار.

لعلك أدركت أن الشَّاعر قد عمدَ إِلَىٰ أَجزاءِ الطَّرَفِ المشبّه المتضامَّة والمتلائمة، فشبَّهَها مع الهيْئةِ الحاصلةِ مِنْ تركيبِها بالطَّرفِ الآخر.

وقال إلياس عبد الله طعمة:

إِذَا افْــتَرَّ ثَغْــرُ الخَــوْدِ أَوْ طَرْفُهَــا رَنَــا ... تَطَــايَرَ قَلْبِي مِــنْ هُنَــاكَ وَمِــنْ هُنَــا

كَمَــا سَــرَحَتْ فِي حَقْــلِ لُبْنَــانَ نَحْلَــةٌ ... وَفِي فَمِهَــا مِــنْ زَهْــرِهِ أَطْيَــبُ المُــنَى

شبه الشاعر قلبه الذي يتطاير حين ترنو الحبيبة «بِنَرْجِسِ» الطرف، أو تفْترُّ «بِشَقَائِقِ» الثغرِ عن «السَّوْسَنِ» و«النِّسْرِين»، نقول شبه هذا القلب بنحلةٍ تحلّق وترعىٰ الرحيق في حقل بديع من حقول لبنان، يعجُّ بأنواع الأزهار وألوان الورود، والحقلُ يحنو عليها ويحشو فمها بأطيبَ ممَّا تَمَنَّتْ. فالشاعر كما تلاحظ لم يشبه القلب بالنحلة إلا من خلال تمثيل مشهدين متقابلين يجمع بينهما غيرُ وجه شبه.

ومن نماذج التشبيه التمثيلي قول الشاعر العراقي حيدر الحلي:

أَهْيَــفُ كَــمْ تَعَطَّفَــتْ قَامَتُــهُ ... وَهْــوَ لأَلْحَــانِ الغِنَــا يُــرَدِّدُ

تَعَطُّــفَ البَانَــةِ يُثْنِيهَــا الصَّــبَا ... وَفَوْقَهَــا قُمْرِيَّــةٌ تُغَــرِّدُ

لعلك لاحظت أن الشاعر أقام مقارنة بين مشهدين متماثلين:

المشهد الأول (المشبه): مشهدُ صبيةٍ حسناء، ليِّنةِ الأعطاف، ميَّاسةِ القوام،

تُرنِّحُ صهباءُ الدَّلال قامتَها الهيفاء، وهي تُهدي للسامعين أعذب ما يُسمَع من إنشاد، وأطرب ما يُمتِعُ من غناء.

المشهد الثاني (المشبه به): غصنٌ من الخيزران ميَّاد، ممشوقُ القوام، تثنيه نسائمُ الصَّبا، فتميله ذات اليمين، وذات الشمال، ومن فوق غصن الخيزران، ورقاءُ هادلةٌ، تُتحف الآذان، بأرقِّ التغاريد، وأجمل الألحان.

فالمشبه كما رأيت قد تركّبَ من عدة عناصر، فغدا صورة متكاملة ومتَّحدة، وكذلك المشبه به، تألّفَ من عدة أجزاء، فغدا صورة مركَّبة ومتماسكة الأجزاء.

وقريب من هذا التمثيل قول الشاعر المصري محمد توفيق علي مشبّهًا نهر النيل بالمرآة:

وَكَـمْ غُصْـنٍ قَـدِ ارْتَسَـمَتْ حُـلَاهُ ... عَلَيْــهِ يَهُــزُّهُ رَوْحُ الشَّــمَالِ

كَمَـا ارْتَسَـمَتْ عَلَـى المِـرْآةِ خَـوْدٌ ... يُــرَنِّحُ عِطْفَهَــا خَمْــرُ الــدَّلَالِ

في البيتين مشهدان متفقان يجمع بينهما أكثر من وجه شبه، تلتقي هذه الأوجه الصغيرة لتكوّن في نهاية المطاف وجهًا كبيرًا واحدًا، «تمامًا مثلما تصُبُّ الرَّوافد الصغيرة في النّهر الكبير، ومثلما تأْخُذ النّغماتُ بأَذْرُعِ بعضها، لتشكّل السِّيمْفُونِيَّةَ الأجمل»:

المشهد الأول: غصن غضٌّ نَدِيّ، تهزُّه ريحُ الشمال هزًّا لطيفًا، فيتمايل عُجبا، وترتسم صورته المتحركة علىٰ صفحة النهر، فإذا النهرُ يفصّل ملامح ذلك الجمال.

المشهد المقابل: امرأة حسناء يرنّح قدَّها الرشيق خمرُ الدَّلال، تنظر في المرآة، فتنبضُ لها المرآة بكل آية من آيات الحسن.

فالشاعر في الوقت الذي شبه فيه نهر النيل بالمرآة قد قابل بين مشبه متعدد

(الغصن في حالات متعددة)، ومشبه به متعدد (الحسناء في حالات متعددة) بوجه شبه جامعٍ بين أجزاء صورتي المشبه والمشبه به.

ومن بدائع التشبيه التمثيلي قول عبد الله فكري:

تَجُولُ الأَمَانِي حُوَّمًا حَوْلَ بَابِهِ   كَمَا حَلَّقَتْ طَيْرُ صَوَادٍ عَلَى نَهْرِ

فَتَغْدُو خِمَاصًا طَاوِيَاتٍ وَتَنْثَنِي   وَهُنّ بِطَانٌ مِنْ نَوَالٍ وَمِنْ بِرِّ

لو تأملتَ هذا التمثيل جيدا لقلت إن الشاعر لم يشبه الأماني أو الأحلام بالطير تشبيهًا مستقلًا، ولم يفعل ذلك أيضًا في تشبيه ممدوحه بالنهر العذب، إن (فكري) لم يُرِدِ التشبيهين مستقلين أو منفردين، إنه يرىٰ أن تشبيهه بشقَّيْه ليس أكثر من تشبيه واحد، كان وجه الشبه فيه منتزعًا من مُرَكَّب[1]، فكما يذهب الناس - محلّقة بهم أحلامُهم - إلىٰ الممدوح سائلين عطاءه، راجين نواله، جيوبهم خاوية، وبطونهم فارغة، ثم يغادرونه، فلا ينظر في قفا محروم منهم، كذلك الطير حين تغدو إلىٰ النهر خماصًا خفافًا، وتروح بطانًا مثقلات. وهذا ما يوافق ما أوردناه في التعريف: مَا كَانَ وَجْهُهُ مُنْتَزَعًا مِنْ مُتَعَدِّد: أَمْرَيْنِ أَوْ أَكْثَر، بِأَنْ يَكُونَ لِكُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ كَيْفِيَّةٌ حَاصِلَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ شَيْئَيْن، أَوْ أَشْيَاءَ قَدْ تَضَامَّتْ وتَلَاءَمَتْ، حَتَّىٰ صَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا، فَيَعْمَدُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ أَجْزَاءِ الطَّرَفِ المُشَبَّه، فَيُشَبِّهُهَا مَعَ الهَيْئَةِ الحَاصِلَةِ مِنْ تَرْكِيبِهَا بِالطَّرَفِ الآخَر.

ومن شواهد التشبيه التمثيلي قول الشاعر أحمد شوقي يصف حوض ماء:

حَفَّتْ بِهِ الأَشْجَارُ وَهْيَ نَوَاضِرٌ   وَتَلَفَّعَتْ لِلْحُسْنِ ثَوْبًا أَخْضَرَا

فَكَأَنَّهُ المِرْآةُ وَهْيَ عَرَائِسٌ   يَنْظُرْنَ أَيَّتُهُنَّ أَجْمَلُ مَنْظَرَا

---

(١) يرىٰ الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه (البلاغة العربية في ثوبها الجديد. علم البيان) أن لفظة (متعدِّد) تعني غيرَ ما تعنيه كلمة (مركَّب)، لذلك فإنه من الأَوْلىٰ أن نحلَّ كلمة (مركَّب) محل كلمة (متعدد)، لأن (المركب) جزءٌ واحدٌ لا يتجزأ، بينما المتعدد يمكن تجزئته وتفصيله.

هل يا ترىٰ سنكون علىٰ صواب لو قلنا إن أمير الشعراء قد شبه حوض الماء بالمرآة، ثم شبه الأشجار بالعرائس؟ الأكيد أن هذا ليس صحيحًا، إن شوقي لا يريد التشبيهين منفردين، فالمشبه ليس الحوض وحده، ولا الأشجار وحدها، وإنما الصورة الكلية للمشهد، كما أن المشبه به ليس المرآة علىٰ انفرادها، ولا العرائس علىٰ انفرادها، وإنما الصورة ككلّ، نقول إن التشبيه هنا واحد، وليس تشبيهين، ولكنه ليس تشبيهًا عاديًّا، وإنما هو ما نطلق عليه اسم (التشبيه التمثيلي)، ذلك أن وجه الشبه كما رأيت في المشهد ليس شيئًا واحدًا، وإنما هو مركب من عدة أشياء.

ومنه قوله:

جَرَىٰ بِي الهَوَى جَرْيَ الرِّيَاح بِزَوْرَقٍ عَلَى البَحْرِ يَسْرِي فِي مَهَبِّ الزَّعَازِعِ

المشهد الأول: شاعر أعياه حظه وخاب أمله، وأزفت نهايته، وقد عبثت به يد الهوىٰ في ليل غرامه المظلم.

المشهد المقابل: زورق يصارع علىٰ البقاء، في ليلة منطفئة الأضواء، وسط بحر يثور، تطغىٰ أمواجه وتمُور، ويتطاير ماؤه ويندفع، فيوزّع الرعب والهلع. فتارة يسحب الزورق المسكين إلىٰ الأعماق، وطورًا يقذفه في الهواء.

إذن فوجه الشبه كما لاحظت ليس شيئًا واحدًا، بل صورة مقتطفة من مركب.

ومن خوالد التشبيه التمثيلي قول أحمد شوقي في تشبيه الإنسان بالدّهر:

هُوَ الدَّهْرُ مِيلادٌ، فَشُغْلٌ، فَمَأْتَمٌ فَذِكْرٌ، كَمَا أبْقَى الصَّدَى ذَاهِبَ

شبّه شوقي الإنسانَ بالصّوت، وشبّه ذِكْره بعد موته بالصّدىٰ، (والصّدىٰ هو ما يَرِدُ علىٰ المُصَوِّت شبيهًا بصوته)، وممّا يلاحظ علىٰ هذا التشبيه أنّ وجه الشبه فيه مركب، لا مفرد، فبين المشبه (الإنسان)، والمشبه به (الصوت) أوجه شبه متعددة، ومرتبطة بعضها ببعض أشدّ الارتباط، مثلها كمثل البنيان المتراصّ

يشدّ بعضها بعضا، فالإنسان حين يقطع في حياته سلسلة من الأطوار، والمراحل: من الميلاد، إلىٰ حياة العمل، إلىٰ الممات، إلىٰ الذِّكْر، هذا الإنسان إنما يشبه في حياته (حياة) الصوت بدءًا من مرحلة الموجات الصوتية المتتالية والمتعاقبة، إلىٰ مرحلة الصدىٰ المتتابعة هي الأخرىٰ.

ومن التشبيهات التمثيلية التي لامست عتبات الإبداع قول عبد الحميد الرافعي:

شَاعَتْ مَآثِرُ فَضْلِهِ كَالمِسْكِ مَا   كَتَمَتْ شَذَاهُ حَوَاسِدٌ إلَّا فَشَا

نقول: شبه الشاعر مآثر ممدوحه بالمسك، ولكننا نسأل: الأجل عبير المسك ونفحته الزكية اهتدىٰ الشاعر إلىٰ هذا التشبيه؟ طبعًا لا، إنما الشاعر نسج مقارنة بين مناقب ممدوحه وبين شذا المسك، فقال إن مآثر الممدوح مهما كُتمتْ شاعت، تمامًا كرائحة المسك متىٰ حُبستْ ذاعتْ. إذن فوجه الشبه بين الممدوح والمسك ليس الرائحة فحسب، وإنما هي الرائحة في أحوال عدة.

تمامًا هذا ما أراده محمود غنيم حين أنشد في حفل تكريم الأديب توفيق الحكيم:

إنَّ المَوَاهِبَ مِثْلُ الطِّيبِ لَوْ حُبِسَتْ   فِي قُمْقُمٍ لَرَأيْنَا رِيحَهَا غَلَبَا

ومن التشبيه التمثيلي قول الشاعر اللبناني عمر الأنسي في صفة بعض الناس:

بَنَوا الدُّنْيَا عُلُوًّا وطَمَعًا وغَدْرًا   فَلَسْتَ تَرَى بِهِمْ أَحَدًا عَفِيفَا

كَحِيتَانِ البِحَارِ تَجُورُ ظُلْمًا   فَيَفْتَرِسُ القَوِيُّ بِهَا الضَّعِيفَا

شبه الشاعر طائفة من الناس في وظلمهم وطغيانهم وطمعهم وغدرهم بحيتان البحر يفترس فيها القوي منها الضعيف، وتأكل كبارها صغارها، إنه عالم البحار فإما أن تأكل الحيتانُ أو تؤكل، فإذا كان هذا منطق البحار وحيتانها



فليست الدنيا وسكانها بأفضل منها حالًا، فالأقوياء فيها يجورون علىٰ الضعفاء، والأغنياء يستغلون الفقراء، والمستبدون يبغون علىٰ المستضعفين، تلك هي الحقيقة، وأمّا الحقوق في هذه الدنيا فالتلفظ به مجازٌ لا غير. لعلك لاحظت أن الشاعر نظر إلىٰ المشهد بمجامع خياله، لقد نظر إليه نظرة كلية مركبة، بحيث لم يكن وجه الشبه مفردًا، بل كان شبكة متضافرة ومتآلفة من أوجه الشبه.

ومن روائع التشبيه التمثيلي قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في مدح الشفيع:

تَتَقَاصَـــرُ الأَمْثَـــالُ دُونَ مَقَامِـــهِ فَمَقَامُـــهُ فَـــوْقَ السُّـــهَا وَالفَرْقَـــدِ

كَتَقَاصُـــرِ المِشْـــكَاةِ فِي تَمْثِيلِهَـــا لِلنُّـــورِ، وَالفَـــانِي نَقِـــيضُ السَّـــرْمَدِي

فمحمدٌ ﷺ علمٌ يرفرف في الجوزاء، وسماءٌ ما طاولتْها سماء، أنّىٰ له مثيل أو شبيه، ومن رَامَ أنْ يجد له في الأعلام مثيلا، فذلك كمن يشبّه الخالدَ بالبائد، أو كمن يقارن في وضح الصَّباح نورَ الشمس بضوء مصباح، فذِكْره خالدٌ خلودَ الشمس في الانبلاج، وغيرُهُ فانٍ فناءَ الزيت في السِّراج... تصوير تشبيهي تتلاحم وتتضافر فيه أوجه الشبه: (الرِّفعة، والعظمة، والنُّور، والخلود) في وحدة عضوية يتعذّر فصل بعضها عن بعض.

ومن بدائع التشبيه التمثيلي قول خليل مطران:

أَضَـــاءَ رَجَـــاءٌ فِي دُجَى الـــرَّأيِ كَـــاذِبٌ فَـــأَوْحَى إِلَى قَلْـــبِي السُّـــرُورَ فَأَنْشَـــدَا

كَمَـــا غُـــشَّ بِالمِصْـــبَاحِ قُمْـــرِيُّ حُجْـــرَةٍ تَوَهَّمَـــهُ ضَـــوْءَ الصَّـــبَاحِ فَغَـــرَّدَا

الشاعر كما تلاحظ لم يشبه شيئًا بشيء، بل شبه صُورةً بصورة، أو هيئة بهيئة، أو مشهدًا بمشهد، فهو قد شبه حالهُ، وقد فَتَنَهُ برقٌ من الأملِ كاذب، أوحىٰ إلىٰ قلبه السّرور، فنشر البهجة، وبعث الانشراح إلىٰ قلبه، فشدا الفؤادُ



وترنَّم، نقول شبه هذه الحال بحال قُمْريّ منزلٍ توهَّمَ ضوءَ المصباح نُورَ صَبَاح، فترنَّمَ والليلُ مُدْلَهِمٌّ.

مشهد القُمْرِيِّ هذا يُشْبِهُ مشهد دِيَكَةِ (باريس) التي حدّث عنها محمد المويلحي حين وصف أحياءها في الليل: «والقَوْمُ فِي ازْدِحَامٍ واقْتِحَام، واصْطِدَامٍ والْتِحَام، مُتَدَفِّقِينَ فِي سَيْرِهِمْ تَدَفُّقَ السَّيْل، تَحْتَ أَضْوَاءٍ مَحَتْ آيَةَ اللَّيْل، يُخْشَىٰ فِيهَا عَلَىٰ الأَبْصَارِ أَنْ تَعْشُوَ مِنْ شِدَّةِ الأَنْوَار، ورُبَّمَا انْخَدَعَتْ بِهَا الدِّيَكَة، فَأَخَذَتْ فِي الصِّيَاح، إيذَانًا بِانْبِلَاجِ الصَّبَاح».

ومن نماذج التشبيه التمثيلي البليغة قول خليل مطران في رثاء أمين فكري:

هَوَى بَيْنَ أَيْدِينَا وقَدْ وَدَّتِ المُنَى ... لَوْ أَنَّ لِفَضْلٍ سَاعِدًا فَهْوَ نَاشِلُهْ

كَمَا سَقَطَتْ فِي البَحْرِ دُرَّةُ بَاخِلٍ ... أَحَاقَ بِهِ لُجٌّ مِنَ اليَأْسِ شَامِلُهْ

فَرَاحَ يُعِيدُ الطَّرْفَ لَا هُوَ صَابِرٌ ... ولَا هُوَ يَدْرِي أَيَّ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ

يُقَطِّرُ فَوْقَ الأَرْضِ سَائِلَ دَمْعِهِ ... ولَا يُدْرِكُ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ سَائِلُهْ ولَا يُدْرِكُ

مشهدان متقابلان يعجّان بالحركيّة والأحداث: فهنا مشهد الشاعر وقومِه، وقد شيَّعُوا رجُلًا عظيمًا، وضيَّعُوا فاضلًا كريمًا، ذهبتْ نفوسُهم عليه حسرات، وفاضت العيون بالعَبَرات، فالقلوب قد بلغت الحناجر، وجفَّت الدموع في المحاجر، واليأس قد استبدّ، والحزن قد اشتدّ، أنزلوا (الشَّهْدَ) في الثَّرىٰ، وعادوا إلىٰ منازلهم والحزنُ قاتلُهم، وفي المقابل هنالك مشهد بخيلِ قومٍ، خسر دُرَّتَهُ الفريدة في الماء، وانقطع في قلبه حبل الرجاء، وقد نال منه الجزع أيَّ نَيل، وسال دمعُه أيّ سَيل، وعاد إلىٰ بيته والألمُ يعصر فؤاده... كأنك أمام لوحة فنيّة أبدع في رسمها أمهر الفنانين، ففي اللوحة المرسومة تأخذ المشهد كلَّه بمجامع عينيك، وفي هذه اللوحة التشبيهية كانت الأحداث متوالية، والوقائع متتالية، في سلسلة يتعذر فيها فصل حلقة عن بقية الحلقات.

ومن التشبيه التمثيلي أيضًا قول الشاعر القروي مفاخرًا بالنساء العربيّات في الحرب:

وِنِسَاؤهُمْ، لَوْ تَشْهَدُونَ نِسَاءَهُمْ فِي الحَرْبِ حَامِلَةً عَلَى الشُّجْعَانِ
كَالمَاءِ أعْذَبُ مَا يَكُونُ، وإنَّهُ لَأَشَدُّ مَا يَسْطُو عَلَى النِّيرَانِ

لقد شبه الشاعر حرائر العرب - علىٰ لطافة جنسهنّ - حين يُظهرن الشجاعة في النزال، والبسالة في القتال، يصرعن الأبطال، ويقهرن الرجال، بصورة الماء العذب الزلال، يُروي ظمأ العطشان، ويقهر جُند النيران، ولاحظ كيف أنّ وجه الشبه ليس مفردًا، بل مشهدًا مركبًا من عدة لقطات متصلة يصعب فصلها عن بعضها البعض.

وقال القروي في الغزل:

يَزْدَادُ تَوْرِيدُ خَدَّيْهَا إذَا لُحِظَتْ كَمَا تَزِيدُ زُهُورُ الأَرْضِ بِالمَطَرِ

حيث شبه الشاعرُ خدَّ المحبوب بالزَّهر في حالات مختلفة: فخدُّه زهرةٌ نضرةٌ في بستان وجهها، تزدادُ تورُّدًا، وشذىٰ، وفتنة، ونضارة، كلّما سقطتْ عليها أشعةُ العيون، مثلما الغيث إذا سقط علىٰ بستان الزهور يزيدها كمالًا، وجمالا، وبهاءً، وكثرة.

ومن نماذج التشبيه التمثيلي في النثر قول أحمد أمين: «إنَّ الأدِيبَ عِنْدَنا مَثَلُهُ كَمَثَلِ المُحَاضِرِ فِي الرَّادْيُو، يَتكَلَّمُ وَحْدَه، ولا يَشْعُرُ بِمَا يَجْرِي وَرَاءَ حُجْرَتِه، ولَا يَسْمَعُ تَصْفِيقًا، ولا يُحِسُّ ضِيقا، ولَيْسَ أَمَامَهُ عُيُونٌ يَقْرأُ فِي نَظَرَاتِهَا عَلَامَاتِ اسْتِحْسَانٍ أوِ اسْتِهْجَان، فَهُوَ فِي طَرِيقِهِ مَعَ غَيْرِ مُرْشِد، ومِنْ غَيْرِ مُشَجِّع، وبِذَلِكَ ضَعُفَ الإنْتَاجُ الأدَبِيّ».

تشبيه تمثيلي، بل دعني أقول: شبكة تشبيهٍ تمثيلية، ضفرتها أنامل الكاتب بإتقان: شاهد كيف شبه أحمد أمين الأديبَ العربيَّ بالمُحاضِر في إذاعة الراديو،

يتكلم وحده، ولا يعي بما يجري خلف حجرة التسجيل، وكذلك الأديب، معزولٌ ومنفيّ عن أبناء جنسه، لا ينْظم قصيدته سوىٰ لطِرْسِه، ولا يروي قصته إلا لنفسه، والمحاضرُ لا يسمع تصفيق المعجبين، ولا ضيق المتذمرين، وكذلك حال الأديب، الجمهورُ أبعد ما يكون عن أدبه، والجمهورُ كما هو معلوم بُوصلة الأديب التي يعرف من خلالها الأديبُ موضع رجليه، وليس أمام المحاضر في الراديو عيونٌ تُقرأ في نظراتها علائمُ الاستحسان، أو قرائن الاستهجان، والحال نفسها عند الأديب العربيّ، يكتب أدبه فلا ينهض قادحٌ يفضَح معايب أدبه، ولا مادح يُبيِّن محاسنه، والنقد كما تعلم مرآة الأدب، من خلالها يعرف الأديبُ ملامحَ وجه أدبِه. لعلك أدركت أنّ الكاتب في العرض الممتع جعل من أوجه الشبه وَحدة كلية لا تقبل القسمة، أو التجزئة.

ومن شواهد التشبيه التمثيلي قول نزار قباني: «الوَطَنُ العَرَبِيُّ يَنْتَظِرُ الشِّعْرَ كَمَا تَنْتَظِرُ الحُلْوَةُ عَلَىٰ النَّافِذَةِ فَارِسَ الأحْلام، يَأْتِي عَلَىٰ صَهْوَةِ جَوَادِهِ، حَامِلا لَهَا قَوارِيرَ العِطْر، وأطْوَاقَ اليَاسَمِينِ، ومَكَاتِيبَ الغَرَام».

لوحتان متقابلتان، تضم كل واحدة منهما ألوانا كثيفة وزاهية ومتناسقة من أوجه الشبه، فالكاتب قد شبَّهَ الوطنَ العربيَّ في حال ظَمَئِه، وشوقه للشعر الممتاز، وطُول القرون العجاف، منتظرًا من نافذةِ القدرِ أمراء البيان، وفرسان اللسان، مُمْتَطِينَ أقلامهم، حاملين قلائدَ القصائد، يفوح منها عبق الفن، نقول: شبّه هذا الوطن بالحسناء في شوقها، وسُهدها، وامتداد ليلها، منتظرة فارس أحلامها، معتليًا صهوةَ فرسِه البيضاء، حاملًا معه أطواقَ الياسمين، ورسائلَ المحبّين. صورةٌ تشبيهية، بل نسيج تشبيهي، تضافرت فيه كوكبة من الصفات الجامعة بين المشبه، والمشبه به.

ومنه قول نزار قبّاني أيضًا: «التَّجْدِيدُ لَيْسَ انْقِلَابًا عَسْكَرِيًّا، فالشِّعْرُ نَهْرٌ عَظِيم، وليْسَ في العَالَمِ نَهْرٌ لَهُ مَصَبّ، ولَيْسَ لَهُ مَنْبَع».

فالكاتب قد شبّه الشِّعر بالنهر، ومثلما كان النهر العظيم يتدفق من قديم الزمان، إلىٰ نهاية الأكوان، من الأزل، إلىٰ الأبد، ويتّصل مصبُّه بمنبعه وأصله، فنهرُ الشعرِ لا يمكن أن ننكر أصوله، ومنابعه، مهما قطع في مسيرة التجديد أشواطا، فالشعر لا يمكن أن نطهّره، أو نصفيَّه، أو ننتقمَ من شعراء عصوره البائدة، مثلما ينتقم الانقلابيون ممّن انقلبوا عليهم، وهكذا يظهر جليًا أنّ وجه الشبه بين الشعرِ والنهرِ ليس صفة واحدة، بل مركّبًا من مجموعة من العناصر المتداخلة تداخلًا عضويًا، والتي يتعذّر فصلها عن بعضها البعض.

وغير بعيد عن هذا المعنىٰ قول توفيق الحكيم حين شبه الحياة بالنهر: «الحَيَاةُ مِثْلُ نَهْرٍ لا نَعْرِفُ مِنْهُ المَنْبَعَ ولا المَصَبّ، البَعْضُ يَكْتَفِي مِنْهُ بِاللَّعِبِ عِنْدَ الشَّطّ، والبَعْضُ يَسْبَحُ بِالقُرْبِ مِنْ شَطِّ النَّهْر، والبَعْضُ يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِك، ولا يَكْفِيه، بَلْ يُحَاوِلُ أَنْ يَصْعَدَ فِي مَنَابِعِهِ بَاحِثًا مُرْتَادًا».

ومن التشبيه التمثيلي الذي وفق فيه توفيق الحكيم أيّما توفيق قوله: «الدُّنْيَا حَلَقَات، كُلُّ جِيل يَجِبُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَىٰ الجِيلِ الَّذِي يَلِيه، إِذَا تَمَّ ذَلِكَ فِي أُمَّةٍ فَقَدْ صَحَّ كَيَانُهَا واسْتَقَام، شَأْنُ الجِسْمِ السَّلِيم، بِسِلْسِلَتِهِ الفَقرِيَّةِ المُتَمَاسِكَة، وإِذَا لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ فَنَحْنُ أَمَامَ كَائِنٍ سَقِيم، انْفَصَلَتْ حَلَقَاتُ وُجُودِه، وانْفَصَمَ عَمُودُ ظَهْرِه، ولَمْ يَعُدْ يَصْلُحُ لِلْبَقَاء».

فالكاتب قد شبه كيان الأمة المتماسكة بالجسد السليم، لكن وجه الشبه ليس مفردًا، بل صورة مركبة، فمثلما كان الجسم السليم يقوم، ويستقيم بسلسلته الفقرية المتماسكة، فكذلك الأمة يصحّ كيانها بتماسك، واتصال أجيالها، فكلُّ جيل بالنسبة للأمة هو بمثابة الفقرة الواحدة في سلسلة العمود الفقري للجسم، فإنْ حدث انفصال بين الأجيال نكون أمام أمة منفصلة الحلقات، منهارة الأركان، مهددة بالزوال، كالجسم المهدد بالفناء حين يكون مكسور الظهر، بسبب شللٍ في عموده الفقريّ.



ومنه قولُ الأديب الجزائري محمد البشير الإبراهيمي: «إنّ الأُخُوَّةَ مُنْذُ فَقَدْنَاهَا لمْ نَجِدْ أَنْفُسَنَا، وكَأَنَّنَا حَبَّاتٌ انْقَطَعَ سِلْكُهَا فَانْتَثَرَتْ، فَأَصْبَحَتْ كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهَا في كَفِّ لاَقِط».

فأمير البيان بعبقريته الخيالية يشبه الإخوان بحبّات اللؤلؤ، ويشبه الأخوّة بالسلك الذي يجمع تلك اللآلئ، لتُشكّل عقدا فريدا في جماله، وحال الإخوان في افتراق كلمتهم، وتنافر ودّهم، وتبدُّدِ شملهم، أمام أعين عدوّهم، كحالِ عقد اللؤلؤ حين ينقطع سلكه، ويتناثر لؤلؤه، فتتعدىٰ عليه الأيادي بالجمع، فتغدو كلُّ حبّة في كفّ طامع، أو جيب جامِع.

ومن جميل ما جادت به أقلام الكُتّاب في هذا النوع من التشبيه قول ميخائيل نُعيمة: «كِبَارُ النُّفُوسِ كالنَّحْل، وصِغَارُ النُّفُوسِ كالذُّبَاب، فَبَيْنَمَا تَعِيشُ النّحْلَةُ مَعَ الأَزْهَار، تَعِيشُ الذُّبَابَةُ مَعَ الأَقْذَار، ثُمّ تَعُودُ النّحْلَةُ، فَتُقَدِّمُ جَنَاهَا إلىٰ النَّاسِ شَهْدًا شَهِيّا، أمَّا الذُّبَابَةُ فلا تَنْقُلُ إلىٰ النَّاسِ غَيْرَ سُمُومٍ قَاتِلَة».

لاحظ كيف شبه الكاتبُ كبارَ النفوس بالنحل، يعيش مع الأزهار، والرياحين، يمتصّ الرّحيق، فيَخْرُجُ من بطونها شرابٌ فيه شفاء للناس، وكيف شبه صغار النفوس بالذباب الذي يعيش في الأقذار، وينقل الأخطار، ولعلّك أدركت أنّ وجه الشبه ليس مفردًا، بل صورة مركبة من عدة أشياء.

ومن التشبيه التمثيلي الذي أبدع فيه المنفلوطي قوله: «إنَّ المَدَنِيَّةَ الحَدِيثَةَ مَا دَخَلتْ أُورُبَا إلَّا بَعْدَ أَنْ زَحْزَحَتِ المَسِيحِيَّةَ مِنْهَا، لِتَحْتَلَّ مَحَلَّهَا، كَالمَاءِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ الكَأْسَ إلَّا بَعْدَ أَنْ يَطْرُدَ مِنْهُ الهَوَاء، لِأَنَّهُ لَا يَتَّسِعُ لَهُمَا».

وأجمل منه قوله: «فَإِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ مِرْآةً تَكْذِبُ فِي تَمْثِيلِ الصُّورَةِ المَاثِلَةِ أَمَامَهَا، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ بَيَانًا يَخْتَلِفُ فِي وَصْفِهِ عَنْ وَصْفِ نَفْسِ صَاحِبِه».

وللمنفلوطي في الأخلاق: «مَثَلُ الْمُتَعَلِّم غَيْرِ الْمُتَأَدِّب، كَمَثَلِ شَجَرَةٍ عَارِيَة، لا تُورِقُ ولا تُثْمِر، قَدِ انْتَصَبَتْ للنَّاسِ فِي مُلْتَقَىٰ الطُّرُق، تَعْتَرِضُ الرَّائِح، وتَصُدُّ سَبِيلَ الغَادِي، فَلَا النَّاسُ بِظِلِّهَا يَسْتَظِلُّون، وَلَا هُمْ مِنْ شَرِّهَا نَاجُون».

بلاغة التشبيه التمثيلي:

التشبيه التّمثيلي أبلغ من غيره، لما فيه من التّفصيل الذي يحتاج إلىٰ إمعان الفكر، وتدقيق النظر، وهو أعظم أثرًا في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النّفوس لها.

والتشبيه التمثيلي أبلغ أنواع التشبيه، لما فيه من تجسيد وتشخيص للأمور المعنوية، لأن المحسوس أيسر فهما، وأسهل إدراكا من المعقول، وبما أنّ النفس في الأصل كانت صفحة بيضاء، خالية من المعارف كما يدّعي فلاسفة المذهب الحسيّ، وبما أنّ كل معارفها التي اكتسبتها إنما تسربت إليها عن طريق نوافذ الحواس قبل إعمال العقل، «فليس هذا التأثير الذي ينفح به التمثيل، والذي يعمل عمل السحر في كياننا، فيهزّه من الأعماق، قد جاء اعتباطًا، أو هو ممّا يقع فلتات، بل له علل وأسباب متينة الصّلة بالنفوس الإنسانية، فإذا استأذن عليها فتحتْ له أبوابها علىٰ مصاريعها، وتلقّته بالقبول والبشاشة والارتياح، كما تتلقىٰ شيئًا سارًّا مبهجًا، يلذّها موقعه، ويخفّ عليها محمله، فالنفس إذا عرضنا عليها المعاني العقلية في صورة ما يُدْرَكُ بالحس، ويفهم بالطبع لم نفاجئها بشيء غريب تزهد فيه، وتنبو عنه، بل نكون قد عرضنا عليها شيئًا يمتّ لها بألفة قديمة، ومودة سابقة، لا تنكر قرابته، فتهشّ له، وتبشّ به، وتفتح له أحضانها كما يلتقي حبيبان بعد طول الفراق»[1].

(١) فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني (ص ٢٢، ٢٣).

ويقول العلّامة بديع الزمان النّورسي: «إن في التشبيه التّمثيلي سرًّا لطيفًا، وحكمة عالية، إذ به يصير الوهم مغلوبًا للعقل، والخيال مجبورًا للانقياد للفكر، وبه يتحول الغائب حاضرًا، والمعقول محسوسًا، والمعنىٰ مجسّمًا، وبه يُجعل المتفرّق مجموعًا، والمختلط ممتزجًا، والمختلف متَّحدًا والمنقطع متّصلًا»[١].



(١) جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم عبد الرحمان بن الطاهر بوزنون.

تطبيق

اشرح التشبيهات التمثيلية الواردة في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمد توفيق علي في وصف الشفيع وصحابته الأطهار:

يَسِيرُونَ حَوْلَ المُصْطَفَى وَكَأَنَّهُ وَحَاشَاهُ بَدْرٌ حُفَّ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

٢- قال علي الجارم مادحًا:

قَدْ كَانَ كَالفَلَكِ الدَّؤوبِ نَشَاطُهُ لا يَسْتَرِيحُ الدَّهْرَ مِنْ دَوْرَاتِهِ

فَإِذَا تَرَاءَى سَاكِنًا فَلأَنَّهُ فِي أَسْرَعِ الأَحْوَالِ مِنْ حَرَكَاتِهِ

٣- وقال الجارم متغزلًا:

سَتَرَتْ مَلاحَتَهَا المُلاءَةُ مِثْلَمَا سَتَرَ الغَمَامُ البَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ

يَدْنُو الجَمَالُ بِهَا فَيَحْجُبُهَا التُّقَى كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

٤- وللجارم في وصف اللغة العربية والألفاظ الدخيلة:

نَطِيرُ لِلَّفْظِ نَسْتَجْدِيهِ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مِنَّا عَلَى كَثَبِ

كَمُهْرِقِ المَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ حِينَ بَدَا لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضٍ كَذِبِ

٥- قال الشاعر القروي:

تَرَاهُ صَحِيحَ الوُدِّ وهُوَ سَقِيمُهُ كَمَا تُكْسِبُ الحُمَّى الخُدُودَ تَوَرُّدَا

٦- قال محمد العيد آل خليفة واصفًا حال الناس في هذا الزمان:

ويَذْهَبُ سَعْيُ النَّاسِ فِيهِ مَذَاهِبًا لِكُلِّ ابْنِ أُنْثَى مِنْهُمْ فَوْقَهُ أَمْرُ

كَسِرْبٍ مِنَ الأَغْنَامِ أَخْطَأَتِ الحِمَى فَضَلَّتْ سَوَاءَ القَصْدِ والجَوُّ مُغْبَرُّ

٧- قال معروف الرصافي:

هُوَ الدَّهْرُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الغَيِّ أَهْلُهُ كَمَا اللَّيْلُ لَمْ يَأمَنْ مِنَ الشَّرِّ حَاطِبُهْ

٨- وقال الرصافي واصفًا شجاعة قومه في القتال:

أَخْلَوْا مَنَازِلَهُمْ لِلْكَرِّ ثَانِيَةً كَالأُسْدِ تَرْتَدُّ خَلْفًا ثُمَّ تَقْتَحِمُ

٩- وله في مناسبة أخرى:

وكَيْفَ هَزَمْنَاهُمْ فَوَلَّوْا كَأَنَّنَا وإيَّاهُمْ أَسْدُ الشَّرَى تَطْرُدُ الحُمْرَا

١٠- وقال الرصافي في وصف الأعداء:

فَأَصْبَحَ الذُّلُّ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَشْيَ الأَمِيرِ وهُمْ مِنْ حَوْلِهِ خَدَمُ

١١- وقال في الحكمة:

مَا أَقْبَحَ الجَهْلَ يُبْدِي عَيْبَ صَاحِبِهِ لِلنَّاظِرِين وعَنْ عَيْنَيْهِ يُخْفِيهِ

كَذَلِكَ الثُّومُ لَمْ يَشْمَمْهُ آكِلُهُ وَالنَّاسُ تَشْتَمُّ نَتْنَ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

١٢- قال مصطفى صادق الرافعي:

حُسِدْتُ، ولَكِنِّي عَلَوْتُ، ونُكِّسُوا فَلَمْ يرَ غَيْرَ الظِّلِّ مَنْ هُوَ حَاسِدُ

كَنَجْمِ السَّمَا نُورًا وعِزًّا ومَنْعَةً وفِي الأَرْضِ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ المَرَاصِدُ

١٣- قال محمود غنيم:

عَلَى الأَرْضِ نَنْمُو نَمُوَّ النَّبَاتِ ويَلْقُطُنَا المَوْتُ حَبًّا حَصِيدَا

١٤- قال خليل مطران:

وَكَمْ عَاشِقٍ يَسْلُو رَزَايَاهُ بِالهَوَى وقَدْ يَجْتَلِي وَجْهَ النَّعِيمِ تَوَهُّمَا

كَسَالِكِ وَعْرٍ رَاقَهُ حُسْنُ كَوْكَبٍ فَأَرْجُلُهُ تُدْمَى وَعَيْنَاهُ فِي السَّمَا

١٥- وقال متحدثًا عن هواه:

وكَمْ عَاتَبْتُ فِيهِ النَّفْسَ لَوْمًا ... فَإنْ عُوتِبْتُ رَاعَنِي المَلَامُ

كَجُرْحٍ قَدْ أُلَطِّفُهُ بِلَمْسِي ... وَإنْ هُوَ مَسَّهُ غَيْرِي أُضَامُ



حل التطبيق

١- اللهم صلِّ وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد... تشبيه تمثيلي خالدٌ، شبه فيه الشاعر رسولنا الكريم بالبدر، وشبه صحابته الكرام بالأنجم الزهر، وذلك عن طريق التمثيل، فلو تأملتَ الكلامَ جيدا لتبيّن لك أن الشاعر لم يشبه المصطفىٰ بالبدر تشبيها مستقلا، ولم يشبه الصحابة بالنجوم تشبيها مستقلًا، فالشاعر لم يرد التشبيهين مستقلين أو منفردين، إنه يرىٰ أن تشبيهه بشقيه ليس أكثر من تشبيه واحد، كان وجه الشبه فيه صورة مقتطفة من مركب، (الرفعة والعظمة والتآلف والسناء والاهتداء).

٢- صورة بارعة وخيال لافت، فالشاعر شبه ممدوحه في جده واجتهاده وسعيه بالفَلك في نشاطه وحركته ودورانه، ليس هذا فحسب، فأحيانا يتراءىٰ الممدوح ساكنا، لا لعجز به، بل تلك أقصىٰ حدود الحيوية والخفة والنشاط، مَثله في ذلك مَثَلُ الكواكب تراها العين ثابتة وهي في حقيقتها دائمة الحركة والدوران. ونوع التشبيه تمثيلي لأن الشاعر جعل من أوجه الشبه وحدة كلية لا تقبل القسمة، أو التجزئة.

٣- شبه الشاعر في هذا البيت من يتغزل بها ببدر التمام، في الوقت الذي شبه لباسها بكتل الغمام التي تستر البدر، وهذا تمثيلٌ أوَّل، غير أن جمالها ليس سافرًا، بل محجوبًا بلباس التقوىٰ، مَثلها في هذا مثلُ غزلان مكة تغري الصياد، ولكن اقتناصها محرم... قافلة من الصور الزاهية المتآلفة والمتوالدة، تجعلك توقن أن الشاعر نظر إلىٰ المشاهد نظرات كلية مركبة، إذن ففي البيتين تشبيهان تمثيليان، ووجه الشبه في كل منهما صورة مقتطفة من مركب.

٤- شبه الشاعر في هذا البيت حال اللسان العربي وقد غزته الألفاظ الأعجمية الدخيلة من مختلف اللغات، في حين كانت الألفاظ العربية كمِثل الدرر في البحر غلاءً وحُسنًا وكثرة، نقول شبه تلك الحال بحال إنسان هائم في الصحراء، ليس يملك سوىٰ بقية من قطرات ماء، لكنه أروىٰ بها عطش الرمال حين فتنهُ برقُ غمامة ليس بها حبة مطر. والتشبيه كما لم يخف عليك هو تشبيه تمثيلي، ووجه الشبه ليس مفردًا، بل صورة مقتطفة من عديدِ صفات.

٥- شبه القرويُّ مهجوّه حين ينافق، ويغالط، ويخون المودة والصداقة بالحمّىٰ، يكون ظاهرها جمالًا، وباطنها سقاما، كسراب يحسبه الظمآن للوفاءِ ماءً، فوجه الشبه كما ترىٰ ليس مفردًا، بل صورة مقتطفة من عديدِ صفات.

٦- شبه محمد العيد حال الناس وقد ضلت بهم سبيلهم، واشتبكت عليهم مسالكهم، واشتدت حيرتهم بسرب من الأغنام في سطوة العجاج جفتها رعاتُها، فتفرقت وأخطأت الحمىٰ. فالملاحظ أن الشاعر لم يشبه شيئًا بشيء، بل شبه حالًا بحال، أو هيئة بهيئة.

٧- شبه معروف الرصافي حال البشر في هذا الزمان وهم تحت رحمة الظلم والضَّلال بحال الحطّاب وسط الليل الحالك، لم يسلم من المخاطر والأهوال. فالتشبيه تمثيلي لأن الشاعر شبه حالًا بحال أو مشهدًا بمشهد.

٨- شبه الشاعر مشهد قومه عند الانسحاب من الحرب بالأسود التي لا ترتد إلىٰ الخلف إلا بغية الهجوم الذي تشنه علىٰ فرائسها، فهذا التشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه ليس صفة واحدة، بل عدة أشياء متضامة مع بعضها البعض.

٩- لم يشبه الشاعر قومه بالأسود علىٰ حِدَةٍ، والأعداء بالحُمر الوحشية علىٰ حِدَة، فالمشبه في البيت ليس قوم الشاعر علىٰ انفرادهم ولا الأعداء علىٰ انفرادهم، وإنما الصورة الكلية للمشهد، كما أن المشبه به ليس الأسود وحدها،

ولا الحُمر الوحشية وحدها، وإنما الصورة ككل. نقول إن التشبيه هنا واحد، لا ثلاثة تشبيهات، إنه تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه صورة منتزعة من مركب.

١٠- إن الرصافي في هذا البيت كذلك يريدُ أكثرَ من تشبيه الذل بالأمير، والأعداء بالخدم، ذلك أنه لا يريد أن يشبه ذل الأعداء بالأمير علىٰ انفراده أولًا، ثم أن يشبه الأعداء بالخدم ثانيًا، وإنما نظر الشاعر إلىٰ المشهد نظرة كلية مركبة، فالصورة التي بين يديك ليست تشبيهين اثنين، وإنما هي تشبيه تمثيلي، كونه صورة مركبة، ووجه الشبه فيها منتزع من مجموعة أشياء متلاحمة.

١١- شبه الشاعر حال الإنسان الجاهل حين يتعامىٰ عن عيوبه وفضائحه، في حين يفشيها الجهلُ ويفضحها في أعين للناظرين، نقول شبه الشاعر تلك الحال بالثوم الذي يعجز آكله عن اشتمام ريحه، ولكن الناس تشتمها من فمه. والتشبيه الذي بين أيدينا هو تشبيه تمثيلي كذلك كون الشاعر أجراهُ في الهيئات أو الحالات.

١٢- شبه الرافعي نفسه بالنجم في العلو والنور والعزة والمنعة، فما تحتويه نفسه من حقائق تبدو كظلال في أعين حاسديه، شأنه في ذلك شأن الثريا، تستطيع أن تدركها أبصار الناس من الثرىٰ، وهي في السماء. والملاحظ أن وجه الشبه ليس صفة واحدة، بل مركّبًا من مجموعة من العناصر المتداخلة تداخلًا عضويًّا، والتي يتعذّر فصلها عن بعضها البعض.

١٣- شبه محمود غنيم البشرَ بالنبات في حالات عدة: فهم في ميلادهم أشبه بالبذور التي تُزرع في الأرض بعد الحرث، وفي نموهم أشبه بنمو ذلك النبات، وفي مماتهم يُلقون في الثرىٰ كما يلقِي السنابلَ منجلُ الحصّاد. فبين المشبه (الإنسان)، والمشبه به (النبات) أوجه شبه متعددة، ومرتبطة بعضُها ببعض أشدّ الارتباط.

١٤- شبه خليل مطران الإنسانَ العاشق، وقد فُتن بوردة من ورود الروض، أو قمر من أقمار الأرض، فاكتوى بسعير جحيمه، وقد أنساه النارَ ما رأى من جنة الحبيبِ ونعيمه، نقول شبه ذلك بإنسان يجتاز مسلكًا وعرًا، عيناه في الأفلاك، ورجلاه في الأشواك، صورةٌ تشبيهية، بل نسيج تشبيهي، تضافرت فيه كوكبة من الصفات الجامعة بين المشبه، والمشبه به.

١٥- شبه الشاعر هواهُ بالجراح الدامية، ولو تأملت قولهُ لأدركتَ أنّ وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ليس صفة واحدة، بل صورة منتزعة من متعدد، فالشاعر يقبل أن يلوم نفسه ويعاتبها ويؤنبها في ذلك الهوى، ولكنه لا يستطيع أن يتقبل الملامة والتأنيب من الناس، حالهُ في ذلك حالُ الجرح، إذا لمستْهُ يدُ المجروح تكون كالنسيم لطفا، في حين إذا امتدت إليه أيادي الناس تزيده آلامًا وعذابًا.





التمرين الأول

ميّز التشبيه التمثيلي من غيره في النماذج الآتية:

كتب أحمد حسن الزيات في (وحي الرسالة): «وُلِدَتْ (مَي زِيَادَة)، وَعَاشَتْ، ثُمَّ مَاتَتْ، كَمَا يُولَدُ النَّهْرُ مِنْ قَطْرِ السَّمَاء، فَتُرَبِّيهِ الطَّبِيعَةُ فِي اليَنَابِيعِ الهَادِئَةِ الفَسِيحَة، ثُمَّ تَبْعَثُهُ بِرِسَالَةِ الحَيَاةِ إِلَىٰ حَوْضِه، فَيَشُقُّ بِالجَهْدِ وَالصَّبْرِ طَرِيقَهُ المُوحِشَةَ فِي صُخُورِ الجَبَل، وَقِفَارِ الأَرْض، وأُصُولِ الغَاب، ثُمَّ يُلْقَىٰ عَلَىٰ شَاطِئِ الوَادِي، ثُمَّ يَأْخُذُ الوَادِي مَجْرَاهُ بَيْنَ الحُقُولِ النَّاضِرَة، وَالمُدُنِ العَامِرَة، شَادِيًا بِالجَمَالِ وَالحُبِّ، حَتَّىٰ يَذْهَبَ فِي عُبَابِ البَحْر، كَمَا تَذْهَبُ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي فَضَاءِ اللَّانِهَايَة».

قال ميخائيل نعيمة: «إنَّ مَثَلَ الَّذِينَ يُهَنْدِسُونَ عَالَمَ الإنْسَانِ فِي مَعْزَلٍ عَنْ سَائِرِ العَوَالِم، هُوَ مَثَلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الفِئْرَان، اسْتَوْطَنَتْ مَخْزَنًا مِنْ مَخَازِنِ سَفِينَةٍ فِي بَحْر، ثُمَّ رَاحَتْ تَتَسَابَقُ وتَتَقَاتَلُ وتَتَنَاهَشُ عَلَىٰ مَا فِي المَخْزَنِ مِنْ مَأْكَلٍ ومَشْرَب، وإِذَا أَعْيَاهَا القِتَال، رَاحَتْ تَعْقِدُ المُؤْتَمَرَاتِ لاقْتِسَام مَا فِي المَخْزَن، ولِتَقْرِيرِ الاتِّجَاهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَّخِذَهُ السَّفِينَة، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْسِبَ أَقَلَّ حِسَابٍ لِرُكَّابِ السَّفِينَة، وحَاجَاتِهِمْ إِلَىٰ مَا فِي مَخَازِنِهَا، ولَا لِرُبَّانِ السَّفِينَة، ويَدِهِ الَّتِي عَلَىٰ الدَّفَّة، ومَشِيئَتِهِ الَّتِي مِنْ خَلْفِ يَدِه».

قال محمد المويلحي في وصف قصور السلاطين: «حَوَّلْنَا النَّظَرَ إِلَىٰ أَعَالِي الشُّرَف، وجَوَانِبِ الغُرَف، فَرَأَيْنَا مِنْ بَيْنِهَا مَقَاصِيرَ عَلَيْهَا رَقَائِقُ السَّتَائِر، تَشِفُّ عَنْ لَوَامِعِ اللآلِئِ والجَوَاهِر، فِي نُحُورِ الحُور، مِنْ مَكْنُونَاتِ القُصُور، ورَبَّاتِ

الخُدُور، يَكْشِفْنَ عَنِ الطُّرَر، تُضِيءُ بِالغُرَر، ضَوْءَ اللَّيْلِ تَحْتَ القَمَر، ويَتَرَاءَيْنَ تَرَائِيَ الكَوَاكِبِ والنُّجُوم، مِنْ خِلَالِ السُّحُبِ والغُيُوم».

قال المنفلوطي: «إنَّ الأمَّةَ الشَّرْقِيَّةَ فِي مَوْفِقٍ مِنْ أَحْرَجِ مَوَاقِفِها، ومَسْلَكٍ مِنْ أَضَلِّ مَسَالِكِها، وإنَّ حَوَادِثَ الدَّهْرِ وعَادِيَاتِ الأَيَّام قَدْ مَلَكَتْ عَلَيْهَا سَبِيلَهَا، والْتَفَّتْ حَوْلَهَا الْتِفَافَ الحَيَّةِ بِالعُنُق، وأَحَاطَتْ بِهَا إحَاطَةَ القَيْدِ بِاليَدِ والرِّجْل، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَحَاطَتِ النَّارُ بَيْتَهُ مِنْ كُلِّ جَانِب، وعَلِقَتْ بِسُقُوفِهِ وجُدْرَانِه، ونَوَافِذِهِ وأَبْوَابِه، فَمَا هُوَ بِنَاجٍ، إنْ أَرَادَ نَجَاةً، ولا بِبَاقٍ إنْ أَرَادَ بَقَاءً. بَلْ مَثَلُهَا كَمَثَلِ آخَرَ ضَلَّ بِهِ سَبِيلُه، واشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُهُ فِي لَيْلَةٍ دَاجِيَةٍ مُدْلَهِمَّة، قَدْ غَابَتْ كَوَاكِبُها، واسْتَتَرَتْ نُجُومُها، فَوَقَفَ وَقْفَةَ الحَائِرِ المُضْطَرِب، يَسْمَعُ العُوَاءَ والزَّئِير، والضَّجِيجَ والصَّفِير، فَلَا يَعْلَمُ أَيَزْدَادُ ضَلَالًا، أمْ يُحْجِمُ فَلَا يَجِدُ مَجَالا، أَمْ يَقِفُ فَيُصْبِحُ فَرِيسَةَ المُفْتَرِس، ولُقْمَةَ المُزْدَرِد؟».

قال محمد البشير الإبراهيمي: «قَضِيَّةُ القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ لَيْسَتْ مَيْدَانَ سِلَاحٍ أَوْ حَرْب، وإنَّمَا هِيَ مَيْدَانُ عَقْلٍ وفِكْر، والأدِيبُ فِي مَيْدَانِ الفِكْرِ كَالقَائِدِ بَيْنَ يَدَيْ المَعْرَكَة، يُوَجِّهُهَا بِخِبْرَتِهِ، ويُدِيرُهَا بِحِكْمَتِه، ويَقُودُهَا بِمَوَاهِبِهِ ومَعْرِفَتِهِ إِلَىٰ النَّصْرِ المُبِين».

قال أحمد أمين: «إنَّ مَثَلَنَا نَحْنُ الغَيُورِينَ عَلَىٰ الأَدَبِ مَثَلُ الطَّبِيبِ الَّذِي يَرَىٰ المَرِيضَ العَزِيزَ عَلَيْه، فَلَا يَمْنَعُهُ حُبُّهُ وإشْفَاقُهُ مِنْ تَشْخِيصِ المَرَضِ كَمَا يَدْعُو إلَيْهِ العِلْمُ ويَدْعُو إلَيْهِ الحَقّ، ويَذْكُرُ فِي صَرَاحَةٍ خَطَرَ المَرَض، وإنْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَذُوبُ حَسَرَات، ويَصِفُ العِلَاجَ وقَلْبُهُ يَبْتَهِلُ إلَىٰ اللهِ بِالنَّجَاح، ومَثَلُ بَعْضِ الكُتَّابِ مَثَلُ العَجَائِز، يَدْخُلْنَ عَلَىٰ المَرِيض، فَلَا هَمَّ لَهُنَّ إلَّا أَنْ يَكْذِبْنَ ويَقُلْنَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ وَجْهَك! ومَا أَجْوَدَ صِحَّتَك! ومَا أَبْيَنَ العَافِيَةَ عَلَيْك! ونَحْوَ هَذَا مِنْ

مَعْسُولِ الكَلَامِ الَّذِي لَا يُفِيد، وقَدْ يَحْمِلُ المَرِيضَ عَلَىٰ الاسْتِنَامَةِ لِقَوْلِهِنّ، وعَدَمِ الأَخْذِ بِوَسَائِلِ الاسْتِشْفَاءِ الصَّحِيح».

وقال أحمد أمين: «إِنَّ الصِّعَابَ فِي الحَيَاةِ أُمُورٌ نِسْبِيَّة، فَبَيْنَمَا النَّفْسُ العَظِيمَةُ تَزْدَادُ عَظَمَةً بِمُغَالَبَةِ الصِّعَاب، إِذَا بِالنُّفُوسِ الهَزِيلَةِ تَزْدَادُ سَقَمًا بِالفِرَارِ مِنْهَا، وإِنَّمَا الصِّعَابُ كَالكَلْبِ العَقُور، إِذَا رَآكَ خِفْتَ مِنْه وعَدَوْت، نَبَحَكَ وَعَدَا وَرَاءَك، وإِذَا رَآكَ تَهْزَأُ بِه، ولَا تُعِيرُهُ اهْتِمَامًا، وتَبْرُقُ لَهُ عَيْنُك، أَفْسَحَ الطَّرِيقَ لَك، وانْكَمَشَ فِي جِلْدِهِ مِنْك».

قال نزار قباني: «إِنَّ دِمَشْقَ تتكَمَّشُ بِي كَمَا يَتكَمَّش الرَّضِيعُ بِثَدْيِ أُمِّه، إِنَّها تَسْكُنُنِي كَمَا يَسْكُنُ الجَمَالُ وَجْهَ امْرَأَةٍ حَسْنَاء، مَزْرُوعَةٌ بِي دِمَشْقُ كَمَا الحَلَقُ الإِسْبَانِيُّ مَزْرُوعٌ في آذَانِ الإِسْبَانيَّات، مُسْتَوْطِنَةٌ في صَوْتِي، وفي حِبْرِي، وفي دَفَاتِرِي، كَمَا يَسْتَوْطِنُ السُّكَّرُ في شَرَايِينِ العُنْقُود».





التمرين الثاني

ميّز بين التشبيه التمثيلي، وغير التمثيلي، واشرح وجه الشبه في النماذج الآتية:

قال محمود غنيم في وصف الطائرة:

زَوْرَقٌ شَــقَّ فِي الهَــوَاءِ طَرِيقًــا ... فَكَــأَنَّ الهَــوَاءَ صَــارَ عُبَابَــا

وقال في وصف آلة (الراديو):

كَأَنَّمَــا كُــلُّ أُذْنٍ أُذْنُ (سَــارِيَةٍ) ... وَكُــلُّ نَــاءٍ يُنَــادِي نَائِيًــا (عُمَــرُ)[1]

تَطْــوِي الفِيَــافِيَ طَيًّــا وَهْــيَ جَاثِمَــةٌ ... كَأَنَّهَا الشَّــمْسُ إِذْ تَسْــرِي أَوِ القَمَــرُ[2]

وقال في وصف الشعب العربي:

قَــدْ كَــانَ مَاضِــيهِ بِالأَمْجَــادِ مُحْتَشِــدًا ... وَمَــا تَخَلَّــى عَــنِ الأَمْجَــادِ حَاضِــرُهْ

كَــالكَرْمِ طَــابَ جَــنًى فِي كَــفِّ قَاطِعِــهِ ... وَزَادَ مِــنْ طِيبِــهِ فِي الــدَّنِّ عَاصِــرُهْ

وقال محمود غنيم واصفًا الجداول والأشجار على حافّتها في الريف المصري:

مَالَتْ عَلَى المَاءِ الغُصُونُ كَمَا انْحَنَتْ ... أُمٌّ تُقَبِّــلُ طِفْلَهَــا المَحْبُوبَــا

---

(١) يشير الشاعر إلى ما يُروى عن سيدنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع قائده سارية حين نادى الأول الثاني وهو في بعض غزواته على بُعْدِ ما بينهما، وقد أحاط به الأعداء من كل جانب قائلا: «يا سارية الجبل»، فسمع سارية نداء عمر، فالتجأ إلى الجبل فنجا.

(٢) يشبهها بالشمس والقمر من حيث طيهما الأرض، وهما ثابتان في رأي العين.

قال الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد واصفًا:

وكَمْ شَاقَنِي قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ قَدْ بَدَا ... إِلَى أَنْ غَدَا فِي الجَوِّ قُرْصًا مِنَ الشَّهْدِ

فَبَشَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَهَشَّتْ كَطِفْلَةٍ ... رَأَتْ أُمَّهَا تَحْنُو وَتَكْشِفُ عَنْ نَهْدِ

وقال أبو الفضل الوليد:

أرَى البَدْرَ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ طَالِعًا ... وَكَمْ أَطْلَعَتْهُ لِي ذُرًى وَثُلُوجُ

كَمَا أَشْرَقَتْ مِنْ قصرها ذاتُ عفةٍ ... على روضةٍ فيها الربيعُ نسيجُ

قال خليل ناصيف اليازجي:

أَصْبَحْتُ ذَا كَبِدٍ بِالنَّارِ مُحْرَقَةٍ ... وَجْدًا وَعَيْنٍ طَمَتْ بِالمَدْمَعِ الجَارِي

كَأَنَّنِي الفُلْكُ فِي بَحْرِ الغَرَامِ جَرَى ... وَلَا يَسِيرُ دُونَ المَاءِ وَالنَّارِ

قال إيليا أبو ماضي متغزلًا:

وَقَفَتْ تُحِيطُ بِهَا الزُّهُورُ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تُحِيطُ بِهِ الكَوَاكِبُ فِي الفَضَا

ومَشَتْ تَحُفُّ بِهَا الغُصُونُ كَأَنَّهَا ... مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ الجُنُودُ إذَا مَشَى

وقال إيليا أبو ماضي في رثاء أبيه:

شَخِصْتُ بِرُوحِي حَائِرًا مُتَطَلِّعًا ... إِلَى مَا وَرَاءَ البَحْرِ أَدْنُو وأَسْتَدْنِي

كَذَاتِ جَنَاحٍ أَدْرَكَ السَّيْلُ عُشَّهَا ... فَطَارَتْ عَلَى رَوْعٍ تَحُومُ عَلَى الوَكْنِ

وقال أبو ماضي في وصف فتىً مُحِبّ:

شَكَا فَحَرَّكَ بِالشَّكْوَى عَوَاطِفَهَا ... كَمَا تُحَرِّكُ كَفُّ العَازِفِ الوَتَرَا

قال الشاعر السوري أمين الجندي مادحًا:

تَاللهِ مَا فَعَلَتْ أَيْدِي الرُّمَاةِ بِهِمْ ... إِلَّا كَمَا تَفْعَلُ النِّيرَانُ بِالحَطَبِ



قال بدر شاكر السياب يصف نهرًا:

وعَلى جَوَانِبِهِ النَّضِيرَةِ غَادَةٌ تَرْمِيهِ بِالحَجَرِ الصَّغِيرِ وَتَرْجُمُ

فَإِذَا تَرَاقَصَتِ الدَّوَائِرُ فَوْقَهُ مِثْلَ المَبَاسِمِ خِلْتَهُ يَتَبَسَّمُ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في كرم الممدوح:

تُقْرِي الوُفُودَ وَلَمْ تُنْقِصْكَ كَثْرَتُهُمْ كَالبَحْرِ بَاقٍ وَكُلٌّ مِنْهُ يَغْتَرِفُ

وله في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل):

يَزْدَادُ بِشْرًا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ أَلَمٍ كَالمِسْكِ يَزْدَادُ طِيبًا كُلَّمَا سُحِقَا

وقال جعفر الحلي:

يَهُزُّ أَعْطَافَهُ عِنْدَ النَّدَى طَرَبًا كَمَا يَهُزُّ النَّسِيمُ اليَانِعَ النَّضِرَا

قال أحمد سحنون يصف بسالة الشعب الجزائري في مقاومة الاحتلال الفرنسي:

مَا حَاوَلَتْهُ فِرَنْسَا مِنْ إبَادَتِهِمْ آلَ إلَى ضِدِّهِ مِنْ وَفْرَةِ العَدَدِ

وَالزَّرْعُ تَدْفَعُهُ إنْ رُحْتَ تَقْطَعُهُ إلَى نُمُوٍّ سَرِيعٍ مِنْهُ مُطَّرِدِ

قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي:

مَاءُ الحَيَاةِ بِخَدِّهَا مُتَمَوِّجٌ كَتَمَوُّجِ الأَنْوَارِ بِالمِشْكَاةِ

قال خليل مطران في وصف شعر أحمد شوقي:

مَا زَالَ خَلَّاقًا لِكُلِّ خَرِيدَةٍ تُصْبِي الحَلِيمَ بِرَوْعَةٍ وبَهَاءِ(١)

كَالبَحْرِ يُهْدِي كُلَّ يَوْمٍ دُرَّةً أَزْهَى سَنًى مِنْ أُخْتِهَا الحَسْنَاءِ

---

(١) الخريدة: اللؤلؤة.

وقال مطران في رثاء الأديب نجيب الحدّاد:

نَظْمٌ تَزِيدُ بِهِ الحَقِيقَةَ رَوْنَقًا ... وتُعِيدُ مُبْتَذَلَ الأُمُورِ غَرِيبَا
كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ نُورُهَا فِي حَمْأَةٍ ... فَيُحِيلُ قَاتِمَ لَوْنِهَا تَذْهِيبَا(١)

قال حافظ إبراهيم مخاطبًا إمبراطور ألمانيا:

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الإلَهِ تَوَرُّعًا ... وزَعَمْتَ أنّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ
وكَذَلِكَ القَصَّابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ ... والنَّصْلُ فِي عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

وقال حافظ إبراهيم:

أَنَا كَالمَنْجَمِ تِبْرٌ وثَرًى ... فَاطْرَحُوا تُرْبِي وصُونُوا ذَهَبِي

ولحافظ إبراهيم في تشبيهِ ممدوحِهِ بعمرَ بنِ الخطَّاب:

كَأَنَّمَا أنْتَ تَجْرِي فِي طَرِيقَتِهِ ... عَدْلًا وحِلْمًا وإيقَاعًا بِمَنْ أشِرَا

وله أيضًا:

يَبْذُلُ المَعْرُوفَ فِي السِّرِّ كَمَا ... يَرْقُبُ العَاشِقُ إغْفَاءَ الرَّقِيبِ

قال الشاعر المصري علي الجندي في غرض المديح:

طَلَعْتَ عَلَيْنَا مِثْلَمَا لَاحَ كَوْكَبٌ ... لِمُدَّلِجٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ
وكُنْتَ لَنَا كَالغَيْثِ سَحَّ بِمُجْدِبٍ ... فَأَعْشَبَ فِيهِ النَّبْتُ واخْضَرَّ جَانِبُهْ

وقال الجندي في شأن المعلم:

يَعْمُرُ الأوْقَاتَ بِالبَحْثِ فَلَا ... يَطْعَمُ الرَّاحَةَ بَيْنَ الطَّاعِمِينْ
كَذُبَالٍ بَاتَ يَفْنَى زَيْتُهُ ... وهْوَ يُهْدِي نُورَهُ لِلْحَائِرِينْ

---

(١) حمأة: الماء الممتزج بالطين.

قال الشاعر المصري إسماعيل صبري مادحًا:

وَلا زَالَ بِالتَّوْفِيقِ بَدْرُكَ زَاهِيًا كَمَا يَزْدَهِي دُرُّ البُحُورِ فِي النَّحْرِ

قال معروف الرصافي عن حال الأمة العربية:

ومَا نَحْنُ إلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قُيُودُهُ وأُلْقِيَ حَيًّا شِبْلُهُ فِي فَمِ الذِّئْبِ

يَرَى الشِّبْلَ مَأكُولًا فَيَزْأَرُ مُوثَقًا ويَضْرِبُ كَفَّيْهِ عَلَى الأَرْضِ لِلْوَثْبِ

فَلَا يَسْتَطِيعُ الوَثْبَ إلَّا تَمَطِّيًا وزَأْرًا وإنْشَابَ المَخَالِبِ بِالتُّرْبِ

قال الشاعر المصري الكبير علي الجارم:

دَنَا كَالشَّمْسِ حِينَ دَنَتْ شُعَاعًا وحَلَّقَ مِثْلَهَا فِي الأُفْقِ بُعْدَا

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

إنْ ضِقْتَ بِالعُسْرِ فَلَا تَبْتَئِسْ فَرُبَّمَا دَلَّ عَلَى ضِدِّهِ

كَالبَرْقِ يَحْكِي فِي سَنَاهُ اللَّظَى وقَدْ يَكُونُ الغَيْثُ مِنْ بَعْدِهِ

وقال الرافعي في الغزل:

فَمَا زَالَ يَهْدِي نَاظِرِي نُورُ وَجْهِهَا كَمَا نَظَرَ المَلَّاحُ فِي نَجْمَةِ القُطْبِ

قال إلياس فرحات في وصف حياته بالمهجر:

يَمْشِي الأَسَى فِي دَاخِلِي مُتَغَلْغِلًا بَيْنَ العُرُوقِ كَمِبْضَعِ الجَرَّاحِ

وقال أنيسُ وحشتِهِ شفيق المعلوف في أمّه، وقد تركها في لبنان وحيدةً كسيرة بعد هجرته إلىٰ (أمريكا):

فَمَا نَضَبَتْ لِعَيْنَيْهَا دُمُوعٌ كَأَنَّ لِعَيْنَيْهَا فِي البَحْرِ عِرْقَا

قال الشاعر القروي:

والمَوْتُ مَا عَفَّ عَنْ عَبْدٍ ولَا مَلِكٍ كَالنَّهْرِ يَجْتَرِفُ الأَقْذَارَ والذَّهَبَا

قال الشاعر الجزائري أبو القاسم خمار:

فِي فِلَسْطِينَ.. عَزِيمَةٌ مَكْبُوتَةٌ ... كَاللَّيْثِ تَزْأَرُ دَاخِلَ الأَغْوَارِ

والمَغْرِبُ العَرَبِيُّ مُنْدَلِعٌ كَمَا ... يَتَفَجَّرُ البُرْكَانُ بَعْدَ حِصَارِ

قال كبير شعرائنا أحمد شوقي مادحًا:

اللهُ سَخَّرَ لِلْكِنَانَةِ خَازِنًا ... أَخَذَ الأَمَانَ لَهَا مِنَ الأَعْوَامِ

فَكَأَنَّ عَهْدَكَ عَهْدُ يُوسُفَ: كُلُّهُ ... ظِلٌّ وسُنْبُلَةٌ وقَطْرُ غَمَامِ

وكَأَنَّ مَالَ المُودِعِينَ وزَرْعَهُمْ ... فِي رَاحَتَيْكَ وَدَائِعُ الأَيْتَامِ

وقال أحمد شوقي:

ومَنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فَيَغْتَرِرْ ... يَمُتْ كَقَتِيلِ الغِيدِ بِالبَسَمَاتِ





التَّشْبِيهُ الضِّمْنِيّ

تَعْرِيفُ التَّشْبِيهِ الضِّمْنِيّ: «هُوَ تَشْبِيهٌ لا يُوضَعُ فِيهِ المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ المَعْرُوفَة، بَلْ يُلْمَحُ المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِه، ويُفْهَمَانِ مِنَ المَعْنَىٰ»[1]، فإذَا أَوْرَدَ الأَدِيبُ المُشَبَّهَ فِي صُورَةٍ، أَوْ حُكْمٍ قَدْ يُنْكِرُهُ المُتَلَقِّي أو المُسْتَمِع، احْتَاجَ فِي إِمْكَانِ هَذَا الحُكْمِ وقَبُولِهِ إِلَىٰ قِيَاسِهِ بِنَظِيرٍ لَهُ مَنْطِقِيٍّ (مُسَلَّمٍ بِه، وبَدِيهِيّ)، وَذَلِكَ بِالتَّلْمِيح، لَا بالتَّصْرِيح، أَيْ أَنَّ الأَدِيبَ عِنْدَ لُجُوئِهِ إِلَىٰ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ إِقَامَةَ حُجَّةٍ أَوْ دَلِيلٍ أو بُرْهَانٍ عَلَىٰ الحُكْمِ المُرَادِ إِسْنَادُهُ إِلَىٰ المُشَبَّه، وذَلِكَ البُرْهَانُ يَكُونُ مِنَ المُسَلَّمَات، أو البَدِيهِيَّات الَّتِي لا جِدَالَ فِيهَا. «ومَهْمَا يَكُنْ فَالتَّشْبِيهُ الضِّمْنِيّ لَا يَرِدُ عَلَىٰ صُوَرِ التَّشْبِيهَاتِ المَعْرُوفَةِ غَالِبًا، بَلْ يُلْحَظُ فِي تَضَاعِيفِ الكَلَام، وفِيهِ يَقَعُ المُشَبَّهُ بِهِ دَائِمًا دَلِيلًا عَلَىٰ إِمْكَانِ المُشَبَّه».[2]

شواهد التشبيه الضمني:

قال خليل مطران في الشكوىٰ:

فَلَا غَرَّكُمْ مِنِّي ابْتِسَامٌ بِلِمَّتِي ... فَرُبَّ ابْتِسَامٍ لَاحَ وَهْوَ شُبُوبُ

أَلَيْسَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ أَشْبَهَ بِالنَّدَى ... عَلَى أَنَّهَا جَمْرٌ ذَكَا وَلَهِيبُ؟

اللِّمةُ هي شَعر الرأس المُجاوزُ شحمة الأذن، وقد عبَّر الشاعر عن الشيب الذي غزا هذه المنطقة من شعره بالابتسام، يقول: لا يغرَّنَّكم مني هذا الابتسام،

---

(١) معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة (ص ٣٥٨).

(٢) فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول (ص ٢١٩).

فليس ما ترونه ابتساما في الحقيقة، ولكنْ ما ذاك سوىٰ طليعةِ جيشٍ من الشيب بألويته البيضاء، في طريقه إلىٰ غزو شعري إنذارًا بالفناء، وقد عقد الشاعرُ مقارنة بين ذلك (الابتسام) وبين منظر النجوم المتلألئة، الشبيهة بالندىٰ في الإضاءة، لكن النجوم في الحقيقة - يقول الشاعر - ما هي سوىٰ أجرامٍ سماوية شديدة الحرارة والالتهاب. نقول إن الشاعر قد شبه الشيب بالنجوم، لكنه ليس تشبيها بالنسق المعروف، بل هو تشبيه ضمني فُهم من سياق الكلام.

قال معروف الرصافي:

وَمَـا اتَّقَـدَتْ نَـارُ الحَمِيَّـةِ مِـنْكُمُ لِفَقْـدِ اتِّحَـادٍ، فَاسْـتَطَالَ خُمُودُهَـا

ولَـوْلَا اتِّحَـادُ العُنْصُـرَيْنِ لَمَـا غَـدَا مِنَ النَّارِ يَذْكُو- لَوْ عَلِمْـتُمْ - وَقُودُهَـا

يقول الرصافي إن نار حميّتكم لم تتقد لأنكم لم تتحدوا، وكذلك اشتعال النار لا يحصل إلا باتحاد العنصرين: الأوكسجين، والكربون. ولو نحن أمعنا النظر لوجدنا أن الرصافي أصدر حكما في البيت الأول توقع إنكاره، فأردفه بدليل علمي لا ينكره عاقل، وذلك من أجل أن يُحلّ الإقرارَ محلَّ الإنكار. فكأنّي بالرصافي يقول لمخاطبيه: إن أنكرتم عليّ ما أقول، فإنّي آتيكم بدليل لا يجادل فيه إلّا من أوتي من العلم حظًّا قليلًا.

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم وهو يشكر وزيرًا زارهُ في منزله:

لَا غَـرْوَ إنْ أشْـرَقَ فِي مَـنْزِلِي فِي لَيْلَـةِ القَـدْرِ مُحَيَّـا الـوَزِيرْ

فَالبَـدْرُ فِي أعْلَـى مَدَارَاتِـهِ لِلْعَـيْنِ يَبْـدُو وَجْهُـهُ فِي الغَـدِيرْ

توقع الشاعر في البيت الأول أن ينكر الناس زيارة الوزير لمنزله، فكان لزامًا عليه أن يقابل هذا الإنكار بالحجة التي تزيل الشك في نفوس الناس، فقال: لا تعجبوا أيها الناس إنْ رأيتم الوزير يزور بيتي المتواضع، فالبدر برغم سموِّه

وسنائه قد يهبط من علياء سمائه، فتتمكن العيون من رؤيته علىٰ صفحة الغدير، نقول إن البيت الأول ليس أكثر من حكم قابل للإنكار، بينما البيت الثاني هو الدليل علىٰ إمكان تحقيق ذلك الحكم.

وأنشد حافظ إبراهيم:

فَالْيَوْمَ قَرِّي يَا كِنَانَةُ واهْدَئِي ... حَرَمُ الكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ بِمُبَاحِ

مَنْ ذَا يُغِيرُ عَلَى الأُسُودِ بِغَابِهَا ... أَوْ مَنْ يَعُومُ بِمَسْبَحِ التِّمْسَاحِ؟

الشاعرُ يدخلُ كعادته حَرَمَ الإبداع، ويشبه شعبَ مصر العظيم بالأُسُود تارة، وبالتمساح تارة أخرىٰ، لكن، هل سمعتَه يذكُر ذلك صراحة؟ لا، بل نلاحظ أنّ الشاعر فضّل التشبيهَ المكسوف علىٰ التشبيه المكشوف، ليترك للعقل حسنة اكتشافه، نقول إذن إن البيت الثاني ليس سوىٰ دليل وتعليل قوّىٰ به الشاعر حُكمه الذي أصدره في البيت الأول.

ولك أن تقرأ معي قول الشاعر عمر الأنسي في وصف فضائل ممدوحِيه:

رِجَالٌ لا يُقَاسُ بِهِمْ سِوَاهُم ... وَمَنْ يَقِسِ البِحَارَ عَلَى السَّوَاقِي؟[1]

فالشاعر يشبه لك ممدوحِيه بالبحار، ويشبه غيرهم بالسواقي، ولكنه كما لاحظت لم يوظف التشبيه بنمطيته الكلاسيكية، بل فضّل أنْ يسلك مسلكا يجمع فيه بين الإمتاع والإقناع، وهو مسلك التعليل عن طريق القياس، ليقدم قياسه في عجز البيت كدليل يثبت به ما ادّعاه في صدر البيت.

ومن نماذجه قول محمد توفيق علي معلِّقًا علىٰ صورة فوتوغرافية للمحبوبة:

إنْ كُنْتُ لَمْ أَرَشَخْصَ (رِيمَ) فَرَسْمَهَا ... وَالشَّمْسُ تَعْكِسُ نُورَهَا الأَقْمَارُ

شبه الشاعر حسناءه بالشمس، كما شبه صورتها الفوتوغرافية بالقمر، لكن

(١) الصواب (يقيس)، لأن (مَن) هنا استفهامية لا شرطية.

بالتلميح، لا التصريح... تشبيهٌ حسنٌ وبديع، زاده انتقابُه حُسنًا كما يزيد الحسناءَ حُسْنًا نقابُ.

ومن مختارات التشبيه الضمني قول الشاعر إسماعيل صبري في المديح:

فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ رَامَ حَصْرَ صِفَاتِهِ: رُوَيْدَكَ يَا هَذَا أَلِلْقَطْرِ مِنْ حَصْرِ؟

عرفتَ في الدرس الأول من دروس التشبيه أنواعَه وصورَه المختلفة، والسؤال المطروح: هل ترىٰ تشبيها عاديا في البيت السابق؟ نقول: ظاهر العبارة ليس فيه أبدا ما يدل علىٰ التشبيه، لكن لو أمعنا النظر لوجدنا أنّ الشاعر يلمّح بتشبيه ممدوحه بالقطر، أو المطر، فالشاعر إنما عقد مقارنة بين صفات ممدوحه التي لا يمكن حصرها أبدا، وبين حبّات المطر المنهمر من السماء التي لا يمكن إحصاؤها بأي حال من الأحوال. نقول إن صبري قد شبه فعلا ممدوحَه بالقطر، ولكنَّ تشبيهه كان تشبيها ضمنيا فُهِمَ من تضاعيف الكلام.

وشبيهٌ به ما جاء علىٰ لسان شاعر لبنان عبد الحميد الرافعي:

جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحْصَى وَهَلْ حُصِرَتْ يَوْمًا نُجُومُ سَمَاءٍ ذَاتِ أَبْرَاجِ؟

فالرافعي يقرُّ أن مناقب الممدوح أجلُّ من أن تحصىٰ ولو بَرىٰ المُحصي نباتَ الأرض أقلاما، فشبهها بنجوم السماء ذات البروج، رغم أنّ ظاهر العبارة ليس فيه ما يدلّ علىٰ التشبيه، لذا نقول إنّ الشاعر قد أوحىٰ بذلك إيحاءً، معتمدا علىٰ التشبيه الملحوظ، لا الملفوظ.

وقريب منه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

جَلَّتْ مَزَايَاهُ عَنْ عَدٍّ يُحِيطُ بِهَا وَهَلْ يُطَاقُ لِنَجْمِ الأُفْقِ تَعْدِيدُ؟

وقال إسماعيل صبري في مدح الخديوي إسماعيل:

فَلَا تَعْجَبُوا إِنْ هَامَ مِثْلِي بِمَدْحِهِ فَمَا مُنْكَرٌ فِي الرَّوْضِ صَدْحُ حَمَام



في هذا البيت يشبه لك (صبري) شعرَه بغناء الحمام، ويشبه مُلْكَ إسماعيل بالروض، لكن من الناحية الصُّورية نرىٰ أنّ البيت يخلو من هذا التشبيه، وإنما نحن مَن استنتجنا هذا التشبيه استنتاجا، فما الذي حدث بالضبط؟ الواقع أنَّ الشاعر أصدر حُكما في الشطر الأول، وهو عشقه وهيامه بمديح الملك، وقد اعترف في الشطر الثاني بإمكانية إنكاره من طرف المستمع، ولكي يضع الإقرار مكان الإنكار لجأ إلىٰ حجة لا ينكرها، بل يسلِّم بها أكثرُ الناس، اللهم مَنْ فَقَدَ بعضَ حواسه: وهي حجة صدْح الحمام في الروض أو الجِنان.

وقريب منه قول عبد الحميد الرافعي مخاطبًا لائمهُ في حب من يهوىٰ:

نَهَيْـــتَ فُـــؤادِي أنْ يَهِـــيمَ بِقَـــدِّهَا ... فَهَلَّا نَهَيْتَ الطَّيْرَأَنْ يَعْشَقَ الغُصْنَا

شبه الشاعر فؤاده بالطير، وشبه قدَّ المحبوبة بالغصن، لكنَّ الشاعر لم يعمد إلىٰ أركان التشبيه المعروفة، بل آثر التشبيه الضمنيّ، لِما له من تأثير في النفس، فالرافعي حين أنكر عاذله هُيامه بقدِّ المحبوبة كان لزامًا عليه أن يقويَّ حكمه، فقاسَهُ بأمر مُسلّم به، ولا نزاع فيه، وهو عشق الأطيار للأغصان. حقًّا صدق من قال: «إن التشبيه الضمني يسلب الألباب بقوة بيانه، ويخلب العقول بضوء برهانه».

وهذا الشاعر المصري الكبير محمود غُنيم يقول في شأن المرأة:

فَـلَا تَقُـلْ هِـذِهِ أُنْـثَى وإنْ ضَـعُفَتْ ... أَمَــا تُــدَبِّرُ مُلْــكَ النَّحْــلِ أُنْثَــاهُ؟

أصدر الشاعرُ حُكْمًا توقّع إنكارَه من طرف المستمع، وهذا الحُكم هو حِكمةُ المرأة في بناء المجتمع، وتدبير بعض شؤونه، وحين عرف الشاعرُ أنّ حُكمه بحاجة إلىٰ دليل وبرهان أوحىٰ إليه خيالُه بالدليل (ملكة النحل)، لكأنَّ الشاعر يقول لمخاطبه: إنْ كنتَ في ريبٍ ممَّا أقول فانظرْ إلىٰ ملكة النحل، فهي أنثىٰ، ولكنّ كفاءتها لا نظير لها في تدبير شؤون مملكتها. إذن فالتشبيه الضمني

لا يعدو أن يكون قضية أوردها الشاعرُ، يظهر بُطلانها بادئ النظر، فيأتي التشبيه برهانا علىٰ صدقها، وجوازًا لوقوعها.

وخذ قول غُنيم في قصيدة (معجزة السَّدّ العالي):

حَجَرُ السَّدِّ زِينَةُ الوَطَنِ المَحْـ بُوبِ، والدُّرُّ حِلْيَةُ الغَانِيَاتِ

كيف تكون الأحجار زينة الوطن؟ ألا يحمل هذا الحُكم قسطا من الغرابة؟ لكن، أما ترىٰ أنّ الدُّرَّ وهو معدود في الأحجار زينةُ المرأة الحسناء؟ نقول إن الشاعر شبه أحجار السَّدِّ العالي بالدّرر، وشبه (مصر) بالغانية، لكنه لم يذكر ذلك صراحة وعلنا، بل فضل واختار التشبيه الضمني، ولعله أصاب الاختيار.

واسمع إلىٰ قوله أيضا في حادثة العدوان الثلاثي علىٰ (مصر):

هُمُو حَسِبُوا مِصْرَ صَيْدًا سَمِينًا وَقَدْ تَقْنِصُ الأُسْدُ صَيَّادَهَا

لعلك أدركت أنّ الشاعر في هذا الموقف يشبه أبطال مصر بالأسود، ويشبه دول العدوان بصيّادٍ مندفع مغرور، لم يحسب للأسود حسابا، فأصبح من النَّادمين. ومن الملاحظ أنّ الشاعر في هذه المرة أيضا يختار التشبيه الضمني لما يمتاز به من إمتاع وإقناع.

ومن بديع التشبيه الضمني قول معروف الرصافي في وصف محبوبته:

فَكَانَتْ لَهَا سُودُ الجَلَابِيبِ حِلْيَةً وَلَا عَجَبٌ أَنَّ الدُّجَى مِنْ حِلَى البَدْرِ

معروفٌ أن السَّوَادَ لونُ الحِداد، أمّا أن يكون حِلية وزينة فذلك حُكمٌ عند أهل الذوق غريب، نقول إن الرصافي بهذا الحكم قد فتح باب الجدل علىٰ مَصَارِيعِه، لكن لا عجب - يقول الرصافي - فالليل الدّاجي حِلية البدر المنير، الحاصلُ أنّ الشاعر شبه وجه الحسناء بالبدر، وشبه لباسها الأسود بالدُّجىٰ، ولكن بالتلميح لا بالتصريح، وما قصة البدر والليل سوىٰ قياسٍ لحكمٍ توقَّعَ الشاعرُ رَدَّهُ وإنكارَه.

واستمع إلىٰ بيتين من أجمل ما خطّته أقلام علىٰ قراطيس أنشدهما البارودي في مدح الخديوي عباس:

لا غَـرْوَ أَنْ جَمَـعَ المَحَامِـدَ يَافِعًـا ... وَسَـمَا بِهِمَّتِـهِ عَلَـى نُظَرَائِـهِ

كيف يمكن لصبيٍّ أن يجمع الفضائل والمحامد قاطبة، ويسمو علىٰ أتْرابه وأقرانه؟ ألا يجدُ حكمٌ مُمَاثِلٌ عشراتِ الأسباب لإنكاره؟ أليس ذلك بعسيرٍ علىٰ مَن كان في مقتبل العمر؟ لكنّ هذا الحكمَ المجرّد ليس كلّ ما في جعبة الشاعر، إنه يريد الآن أن يعلل لك حُكمه كي تقرّ عينك، ويأتيك ببرهان يزيل كل الشُّبهات، فيقول لك بكلّ إيجاز وإعجاز:

فَـالعَيْنُ وَهْـيَ صَـغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَـا ... تَسَـعُ الفَضَـاءَ بِأَرْضِـهِ وسَـمَائِهِ

ألَمْ ترَ - يقول البارودي - أنّ العين علىٰ صغر حجمها قادرة علىٰ احتواء الفضاء، بما فيه من أرض وسماء؟ إذن فتشبيه البارودي للممدوح - وهو غلام حَدَثُ السنّ - بالعينِ لم يكن تشبيها صريحا، بل ضمنيا فُهم من سياق الكلام.

ومن أبرعِ نماذج التشبيه الضمني قول محمود سامي البارودي في قصيدة قصيرة بعث بها إلىٰ صديقه الشاعر الأمير شكيب أرسلان:

فَهَاكَهَـا تُحْفَـةً مِـنِّي وإنْ صَـغُرَتْ ... فَالـدُّرُّ وهْـوَ صَـغِيرٌ حَلْـيُ أَجْيَـادِ

البارودي يعتقد جازمًا أنه قد أتْحَفَ صديقهُ وأميرَه بقصيدة عظيمة، حَلَبَ فيها دَرَّ اللِّسان، وجَلَبَ فيها دُرَّ البيان، ومن أجل أنْ يثبت أنّ عدد أبياتها لا يعيبها مطلقا، لجأ إلىٰ دليل لا يجادل فيه أكثرُ الناس، وهو أن الدُّرَّةَ - علىٰ صغر حجمها - هي أجمل ما تتحلىٰ به نُحُورُ الحُور، فالنتيجة أنّ الشاعر شبه قصيدته بالدرة الصغيرة الثمينة، لكنه كان تشبيها مخفيا فهم من سياق المعنىٰ.

فكان هذا ردَّ الأمير شكيب أرسلان علىٰ البارودي وهو في منفاه:

إنْ يَحْجِبُـوكَ فَمَـا ضَـرَّ النُّجُـومَ دُجًى ... وَلَا زَرَى السَّـيْفَ يَوْمًـا طَـيُّ أَغْمَـادِ

يقول الأمير: لا بأس عليك بالمنفىٰ، فبلاء المنفىٰ لا يزيد الرجل إلا بأسًا وإباء، وعلل ذلك بقوله إن الظلام لا يزيد النجوم إلا بهاء، كما أن الأغماد لا تسيء إلىٰ الأسياف، فهي مكانها الطبيعي قبل تجريدها في وجوه الأعداء. أرأيت كيف لجأ الشاعر إلىٰ أسلوب يوحي فيه بالتشبيه دون أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة؟

وقريب من هذا المعنىٰ ما أنشده علي الجارم في نفي أحمد شوقي:

أَسَــرُوه لِيَحْبِسُــوا صــوتهُ العَــا لِي، فَنَــادَى بِصَــوْتِهِ الخَافِقَــانِ

احْبِسُــوا السَّـيْلَ إنْ قَـدِرْتُمْ وسُـدُّوا إنْ أَرَدْتُــمْ مَنَافِــذَ البُرْكَــانِ

ومن التشبيه الضمني قول البارودي ردًا علىٰ الذين اتهموه بتقليد ومحاكاة الشعراء العباسيّين:

تَكَلَّمْتُ كَالمَاضِينَ قَبْلِي بِمَا جَرَتْ بِــهِ عَــادَةُ الإنْسَــانِ أنْ يَتَكَلَّمَــا

فَــلَا يَعْتَمِــدْنِي بِالإسَــاءَةِ غَافِــلٌ فَــلَا بُــدَّ لابْــنِ الأيْــكِ أنْ يَتَرَنَّمَــا

أراد البارودي أن يبرهن أنه مطبوع علىٰ قول الشعر، وأن الشعر مركوز في نفسه، فشبه نفسه بالبلبل في عجز البيت الثاني تشبيها خفيًا، وكما البلبلُ مفطورٌ ومجبُولٌ علىٰ التّرنم، فهو مثله، كلاهما مطبوع علىٰ الغناء، لكنك إنْ أمعنت النظر تجدِ المشبه به ليس مرتبطا بالمشبه ارتباطا لفظيا، فالشاعر قد آثر الارتباط المعنوي علىٰ الرابط اللفظي، وهذا هو سرُّ التشبيه الضمني.

ومن تشبيهاته الضمنية التي زَانَتْ ديوانَه قوله في الحكمة:

فَإِنْ يَكُـنْ سَـاءَهُمْ فَضْـلِي فَـلَا عَجَـبٌ فَالشَّـمْسُ وَهِـيَ ضِـيَاءٌ آفَـةُ المُقَـلِ

وقوله لله درّه:

فَالنَّــاسُ أَشْــبَاهٌ وشَــتَّى بَيْــنَهُمْ تَــدْنُو الجُسُــومُ وتَبْعُـدُ الأخْــلَاقُ

فَاعْرِفْهُمْ واحْذَرْ تَشَابَهَ أَمْرِهِمْ   لَا تَسْتَوِي الأَغْلَالُ والأَطْوَاقُ

ومن التشبيه الضمني قول مصطفىٰ صادق الرّافعي في الغزل:

تَرَقْرَقَ حُسْنُهَا فِيهَا فَمَالَتْ   وفِي الطَّاوُوس طَبْعُ الاخْتِيَال

لقد شبه الرافعي من يتغزل بها بالطاووس، ووجه الشبه الكِبر والاختيال، لكنه لم يذكر ذلك مباشرة علىٰ سُنَّةِ التشبيه المعتادة، فكأنه يقول: إذا كان الاختيال من طباع الطاووس، لا أحد ينكره، أو يجادل فيه، فلماذا أنكره عليها؟

ومن شواهد التشبيه الضمني قول الشاعر القرويّ:

اغْضِبْ صَدِيقَكَ تَسْتَطْلِعْ سَرِيرَتَه   للسِّرِّ نافذتَان: السُّكْرُ والغَضَبُ

حُكمك أيها الشاعر الحكيم يحتاج إلىٰ دليل... هنا يردُّ علينا القروي:

مَا صَرَّحَ الحوْضُ عمَّا في قَرَارَتِهِ   مِنْ رَاسِبِ الطِّينِ إلّا وَهْوَ مُضْطَرِبُ

أليس مثالُ الحوض المضطرب الذي يكشف اضطرابُه عن رواسب الطين دليلاً طبيعيّا قوّىٰ به الشاعر حكمه؟ وكأنّي بالشاعر يقول لنا: من أنكر حكمي عليه أوّلًا أن ينكر دليلي إن استطاع. إنه تشبيه ضمني ساقه الشاعر مَسَاق حُجّةٍ أثبتَ بها ما أراد إثباته.

وللقرويّ أيضًا في أصالة العربيّ:

لا تُنْكِرُوهَا فالدَّمُ العَرَبِيُّ قَدْ   جَلَّتْ أصَالَتُهُ عَنِ النُّكْرَانِ

إنَّ البُزَاةَ وإنْ تَنَاثَرَ رِيشُهَا   لَمْ تُحْصَ فِي الحَشَرَاتِ والدِّيدَانِ

شبه الشاعرُ الإنسان العربيّ بالبازيّ، لكن دون الاعتماد علىٰ أركان التشبيه المألوفة، فلقد عرض في البيت الأول فكرةً كَثُرَ في عصرنا مَنْ ينكرها، وهي أصالة الدّم العربي، ثم أتىٰ بعدها في البيت الثاني بأمر يعرفه جميع النّاس، ويسلّمون به دون جدال، وهو أنّ البازيّ يبقىٰ بازيّا وإنْ تناثر ريشه، (مبدأ عقليّ لا ينكره عاقل

يسمّيه أهلُ المنطق بمبدأ الهُويّة)، فكأنّي بالشاعر يقول لمخاطبيه: إن أنكرتم عليّ ما أقول، فإنّي آتيكم بمثيل لا يجادل فيه إلّا من أوتي من الفطنة قليلًا.

ومنه أيضًا قول علي الجارم:

خُوضُوا الصِّعَابَ ولا تَمَلُّوا إنَّمَا ... نَيْلُ المُنَى بِالصَّبْرِ والإلْحَاحِ

قَدْ يُنْجِدُ اللُّجُّ الغَرِيقَ بِقَذْفِهِ ... حَيًّا فَيَلْقَى المَوْتَ فِي الضَّحْضَاحِ

يقول: إنّ علىٰ الإنسان أنْ يركب كلَّ صعب، ولا يرهبَ أي خطب، وقد احتاج شاعرنا إلىٰ تعليل موقفه، فقاسه بالغريق الذي قد يسعفه تلاطم الأمواج حين تقذفه حيّا إلىٰ شاطئ النجاة، بينما قد يلقىٰ حتفه في الماء اليسير القليل.

وشبيه به قول خليل ناصيف اليازجي:

لَا تَطْلُبَنَّ مَا هَانَ فِي الدُّنْيَا وَرُمْ ... مَا كَانَ صَعْبًا بِاقْتِحَامٍ مَعَاوِصِ

فَالبَحْرُ يَقْذِفُ بِالرِّمَالِ وَإِنَّمَا ... أَبْقَى اللَّآلِئَ ضِمْنَهُ لِلْغَائِصِ

ومن التشبيه الضمني قول نزار قباني:

إنَّ اغْتِصَابَ الأرضِ لا يُخِيفُنَا

فالرِّيشُ قدْ يَسْقُطُ منْ أجْنِحَةِ النُّسُورْ

والعَطَشُ الطَّوِيلُ لا يُخِيفُنَا

فالمَاءُ يَبْقَى دَائِمًا في بَاطِنِ الصُّخُورْ

الشاعر يشبه في السطرين الأول والثاني الشعب العربي بالنسور، ثم يشبهه بالصخور في السطرين الثالث والرابع، غير أنه في السطرين الأول والثالث قد عرض حُكمين ليس من السهل الاقتناع بهما لدىٰ بعضهم، فهما في نظر البعض محضُ ادّعاء، لذلك نجد الشاعر قد أتىٰ الحجة والبيّنة، فقدّم المشبه به في السطرين الثاني والرابع كحجة، أو كبرهان لما عرض له من أحكام.



وقد يرد التشبيه الضمني في النثر، وأروع مثال له قول الأديب أحمد حسن الزيات في وصف بلاغة الرسول ﷺ: «إِنَّ بَلَاغَةَ الرَّسُولِ مِنْ صُنْعِ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنْ صُنْعِ اللهِ تَضِيقُ مَوَازِينُ الإِنْسَانِ عَنْ وَزْنِه، وَتَقْصُرُ مَقَايِيسُهُ عَنْ قِيَاسِه، فَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ كُنْهَه، وَإِنَّمَا نُدْرِكُ أَثَرَه، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِنْشَاءَه، وَإِنَّمَا نَعْلَمُ خَبَرَه. هَلْ يُدْرِكُ المَرْءُ مِنْ آثَارِ الشَّمْسِ غَيْرَ الضَّوْءِ وَالحَرَارَة؟ وَهَلْ يَعْلَمُ مِنْ أَسْرَارِ الرَّوْضِ غَيْرَ العِطْرِ وَالنَّضَارَة؟ وَهَلْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَغْوَارِ البَحْرِ غَيْرَ الشُّعُورِ بِالجَلَالَةِ وَالرَّوْعَة؟».

تشبيه جليل ورائع، غير أن الأديب كما لاحظت قد شبه نبيَّنا الكريمَ بالشمس، وبالروض، وبالبحر، ولكن بالتلميح لا بالتصريح، فالمشبه به أتىٰ به الكاتب ليكون دليلًا وبرهانا لما أراد أن يقرره.

ومنه قول السيد أحمد الهاشمي في رسالة شوقٍ بعث بها إلىٰ صديقه: «كِتَابِي لَدَيْك، يَصِفُ شَوْقِي إِلَيْك، فَمُذْ فَارَقْتَنِي فَرَّقْتَ بَيْنَ أُنْسِي ونَفْسِي، بَلْ بَيْنَ رُوحِي وجِسْمِي، ولا تَعْجَبْ إِذَا كُنْتُ أَغْدُو وَأَرُوح، فالطَّيْرُ يَمْشِي مِنَ الأَلَمِ وَهُوَ مَذْبُوح»(١).

الكاتب قد شبه نفسه - وهي علىٰ ما هي عليه من شوق وحنين - بالطير المذبوح، لكنه سلكَ في تشبيهه مسلكًا آخر غير المسلك المعروف، فهو قد أصدر حكمًا توقّع أن ينكره عليه المتلقي، فلم يكن أمامه إلا الإتيان بالبرهان، فكان مثال الطير المذبوح برهانًا ودليلًا علىٰ ذلك الحكم.

ومنه في النثر أيضًا قول مصطفىٰ صادق الرافعي: «الشَّبَابُ هو القُوَّة، فالشَّمْسُ لا تَمْلأُ النَّهارَ في آخِرِهِ كَمَا تَمْلأُهُ في أَوَّلِه».

فالكاتب يقارن بين حالين (الشباب والشمس) الحالة الثانية منهما لا جدال

---

(١) جواهر الأدب السيد أحمد الهاشمي (ج١ ص ٥٦).

فيها، فالشمس في بداية النهار تملأ الأرض نورا، وكذلك الشباب هو بداية العمر الحقيقي، وهو المرحلة الأكثر نشاطًا وفعالية، والتشبيه كما ترىٰ خفيّ، وضمنيّ، لم يأتِ علىٰ نسق التشبيه المعهود، مِنْ ذكر المشبه بإزاء المشبه به. إنّ الشاعر يريد إقامة حكم، فألحقه، وقاسه بظاهرة طبيعية لا جدال فيها، علىٰ سبيل البرهان، والحجة.

ومن أمثلته النثرية البديعة قول الأديب المصري أحمد أمين: «سَبَبُ قُصُورِ الشِّعْرِ الجَاهِلِيّ فِي بَابِ الوَصْفِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ فِي هَذِهِ البِيئَةِ طَبِيعَةٌ قَاسِيَة، لَا رَحِيمَة، وطَبِيعَةٌ فَقِيرَة، لا غَنِيَّة: حَرٌّ مُهْلِك، وبَرْدٌ قَارِس، وصَحْرَاءُ مُجْدِبَة، وأَرْضٌ شَحِيحَة، وجِبَالٌ جَرْدَاء، وأَرْضٌ صَمَّاء، ورِمَالٌ لَا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَاء، فَكَيْفَ تُوحِي هَذِهِ الطَّبِيعَةُ بِالتَّغَنِّي بِالجَمَال؟ إنَّ الطَّائِرَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الغُصُونَ النَّاضِرَة، والأزْهَارَ اليَانِعَة، لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَعِيش، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُغَنِّي».

بلاغة التشبيه الضمني:

التشبيه الضمني نوعٌ من التفنّن في أساليب التعبير، والنّزوع إلىٰ الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان علىٰ الحكم المُراد إسناده إلىٰ المشبه، فيلجأ الأديب إلىٰ أسلوب يُوحِي بالتشبيه، من غير أن يصرّح به في صورة من صُوَرِهِ المعروفة، رغبةً منه في إخفاء معالم التشبيه، لأنّ التشبيه كلما خفي ودقّ كان أبلغ وألصق بالنفس، ذلك لأنَّهُ يُشْبِعُ عندها حُبَّ التطلُّع إلىٰ الجديد، وشغفها به. وتكمن جماليته في إمكان الحكم المسند إلىٰ المشبه، وكأنه بذلك في مقام البرهان العقلي، والقدرة علىٰ ربط العلاقات، والجمع بين أشياء أبعد ما تكون عن التقارب والتآلف، حيث تتعانق المعاني الذهنية، والحالات الشعورية في نظم بديع، فيكون لذلك أثر بالغ في فنيّة التعبير وجماله. وبعبارة وجيزة نقول: إن التشبيه الضمني يجمع بين حرارة الإمتاع، ووضوح الإقناع.

التطبيق

اشرح التشبيهات الضمنية الواردة في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال أحمد شوقي في (نهج البردة):

ذُكِرْتَ بِاليُتْمِ فِي القُرْآنِ تَكْرِمَةً ... وقِيمَةُ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ فِي اليُتْمِ

٢- قال حافظ إبراهيم في شعراء لبنان الذين انتشروا وانتثروا في بلاد أمريكا:

مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ قَدْ نُثِرُوا ... فَالشُّهْبُ مَنْثُورَةٌ مُذْ كَانَتِ الشُّهُبُ

٣- قال محمود غنيم:

وقَبْلَ النُّجْحِ إِخْفَاقٌ وثَانٍ ... وأَوّلُ مِشْيَةِ الطِّفْلِ العِثَارُ

٤- وقال محمود غنيم في السياسة:

والشَّعْبُ يُصْلِحُهُ أَبْنَاءُ جِلْدَتِهِ ... هَيْهَاتَ يَأْسُو جِرَاحَ الشَّاءِ ذُؤْبَانُ

٥- وقال يهجو:

قَدْ بَاتَ يَهْجُونِي، ومِنِّي شِعرُهُ ... وأنَا الَّذِي أَلْهَمْتُهُ إِلْهَامَا

أَرَأَيْتَ تِلْمِيذًا يَعُقُّ مُعَلِّمًا؟ ... وذُبَابَةً قَدْ هَاجَمَتْ ضِرْغَامَا؟

٦- قال خليل مطران:

ولَكِنْ أَرَى أَنَّ المَذَاهِبَ ضِقْنَ بِي ... وأَنَّ مَمَاتِي قَدْ غَدَا مُتَحَتِّمَا

إِذَا اشْتَدَّ غَلْيٌ فِي إِنَاءٍ فَمَا الَّذِي ... يُعَابُ عَلَيْهِ إِنْ وَهَى وتَحَطَّمَا؟

٧- قال محمود سامي البارودي:

فَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشَؤُكُمْ ... فَالحُوتُ فِي اليَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ البَلَلِ



٨- قال علي الجارم في المدح:

آيَـاتُ نُبْلِـكَ فِي شَـبَابِك سُـبَّقٌ ... لِلْمَجْـدِ لَـمْ يُشْـقَقْ لَهُـنَّ غُبَـارُ

يَبْـدُو شَـذَا الرَّيْحَـانِ أوَّلَ غَرْسِـهِ ... ويَبِـينُ قَـدْرُ الـدُّرِّ وهْـيَ صِـغَارُ

٩- وقال علي الجارم في رثاء قاسم أمين:

قَـدْ نَكِرْنَـاهُ حِـينَ قَـامَ يُنَـادِي ... وفَهِمْنَـا مَعْنَـاهُ يَـوْمَ احْتِسَـابِهْ

يُعْـرَفُ الـوَرْدُ حِينَمَـا يَنْقَضِـي الصَّيـ ... ـفُ، ويُبْكَـى النُّبُـوغُ بَعْـدَ ذَهَابِـهْ

كَـمْ نَـدَبْنَا الشَّـبَابَ حِـينَ تَـوَلَّى ... وشُـغِفْنَا بِالبَـدْرِ بَعْـدَ احْتِجَابِـهْ

١٠- وقال أيضًا:

لَا تَرْهَبُـوا القَـوْمَ فِي مَـالٍ وفِي عَـدَدٍ ... إنَّ الفَقَـاقِيعَ تَطْفُـو ثُـمَّ يَمْضِـينَا

١١- وقال الجارم في وصف نِعَم ممدوحه عليه:

حَاوَلْتُ تَصْوِيرَهَا جَهْدِي فَمَا اتَّسَعَتْ ... لِـبَعْضِ ذَلِـكَ أَلْـوَاحِي وأَلْـوَانِي

والبَحْـرُ تُبْصِـرُ جُـزْءًا حَـوْلَ سَـاحِلِهِ ... ولَـيْسَ فِي دَرْكِـهِ طَـوْقٌ لإنْسَـانِ

١٢- قال ناصيف اليازجي:

إنْ كُنْـتُ قَصَّـرْتُ فِي مَـدْحِي لَـهُ سَـلَفًا ... فَـالقَطْرُ يَـأْتِي قَلِـيلًا أوَّلَ المَطَـرِ

١٣- وقال ناصيف اليازجي مادحًا أحد إخوانه:

طَـارَتْ إلَيْـهِ قَوَافِينَـا فَقُلْـتُ لَهَـا: ... لَا يَرْتَـعُ الطَّـيْرُ إلَّا فِي البَسَـاتِينِ

١٤- وكتب إليه صديقه محمد عاقل أفندي من مصر:

قَـدْ حَـلَّ بَـيْرُوتَ لَكِـنْ مِصْـرُ تَعْرِفُـهُ ... وكَيْـفَ تُنْكِـرُ أَرْضٌ طَلْعَـةَ القَمَـرِ؟

١٥- قال مصطفى صادق الرافعي:

يَظُـنُّ عِـدَاهُ أنَّ فِي النَّـاس مِثْلَـهُ ... فَيَا وَيْحَهُمْ: شَمْسُ الضُّحَى مَا نَظِيرُهَا؟

١٦- وللرافعي أيضًا:

وإنْ عِبْتَ قَلْبِي بِالهَوَى وهْوَ طَبْعُهُ فَعِبْ قُرْصَ هَذِي الشَّمْسِ بِاللَّمَعَانِ

١٧- قال الشاعر المصري علي الجندي:

دُونَ الأَمَانِيِّ آلامٌ مُبَرِّحَةٌ وإبْرَةُ النَّحْلِ يُنْسِي وَخْزَهَا العَسَلُ

والنَّارُ للتِّبْرِ تَمْحِيصٌ وتَصْفِيَةٌ وفِي مَهَبِّ العَوَادِي يَثْبُتُ الرَّجُلُ

١٨- وقال علي الجندي في السياسة:

قَالُوا: مُعَاهَدَةٌ فَقُلْتُ: سَلَاسِلٌ يَلْهُو بِحُلْوِ رَنِينِهَا المَأْسُورُ

ومَتَى اطْمَأَنَّتْ لِلْعُقَابِ حَمَامَةٌ؟ ومَتَى تَآخَى البَازُ والعُصْفُورُ؟

١٩- قال نزار قباني:

وكَيْفَ أَهْرُبُ مِنْهُ إنَّهُ قَدَرِي؟ هَلْ يمْلِكُ النَّهْرُ تَغْيِيرًا لِمَجْرَاهُ؟

٢٠- قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

سَيَعْقُبُ هَذَا العُبُوسَ ابْتِسَامٌ فَمَا لانْحِرَافِ الطَّرِيقِ دَوَام





حل التطبيق

١- شبه أحمد شوقي النبي الأكرم ﷺ باللؤلؤ المكنون في صفة اليتم والانفراد، فهو يتيم، وقيمة اللؤلؤ أن يكون يتيمًا، ألا يقال عند تعظيم الشيء: كالدرة اليتيمة؟ ولكن لو تأملت البيت جيدًا لوجدت أن شوقي لم يشبه النبي ﷺ باللؤلؤ صراحة، بل أتىٰ بجملة مستقلة، وضمّنها هذا المعنىٰ.

٢- شبه حافظ إبراهيم شعراء المهجر بالشهب، ووجه الشبه كما هو واضح التناثر واللمعان والسمو، غير أنه لم يقل صراحة: إنهم كالشهب، بل أصدر في البداية حكمًا مجردًا، وهو نفي العيب عنهم حين انتثروا، ثم أردفهُ بدليل الشهب المنثورة منذ الأزل.

٣- أصدر محمود غنيم حكمًا في صدر البيت توقع إنكارَه من طرف المستمع وهذا الحكم هو كثرة الإخفاقات قبل النجاح، فكان لزامًا عليه أن يأتي بدليل يقوي به حكمه، فاهتدىٰ إلىٰ فكرة مفادُها أن الطفل لا بد له أن يتعثر مرارًا ويسقط تكرارًا قبل أن يتعلم المشي.

٤- إن عبارة المثال الرابع في ظاهرها لا تتضمن أي تشبيه، لكن لو أمعنا النظر لوجدنا أنّ الشاعر يلمّح بتشبيه الأجانب بالذئاب وتشبيه الشعب بالأغنام الجريحة، فهو إذن تشبيه ضمني فهم من سياق الكلام.

٥- شبه محمود غنيم نفسه بالمعلم تارة، وبالضرغام تارة أخرىٰ، وشبه من يهجوه بالتلميذ الصغير تارة، وبالذبابة تارة أخرىٰ، لكننا لم نسمعه يذكر ذلك صراحة، بل نلاحظ أنّ الشاعر فضّل التشبيهَ المخفي علىٰ التشبيه المرئي.

٦- يقول خليل مطران بأن سبل الحياة قد ضاقت به، وبأنه عليه أن يواجه القدر المحتوم، فلجأ إلىٰ عقد مقارنة بين نفسه وبين إناء من الماء وُضع فوق النار إلىٰ درجة الغليان، فما هي إلا تهشم الإناء وتحطم بفعل الحرارة العالية، نستنتج أن الشاعر قد شبه حياته فعلًا بإناء الماء، لكنه كان تشبيهًا ضمنيًا لم يصرح به الشاعر.

٧- خاطب البارودي قومه بقوله: لا تخشوا العذاب الذي يصبه عليكم من تخرجون عليهم من الطغاة الظالمين، والغاصبين المستبدين، فقد نشأتم في النكال والعذاب، مثلكم في هذا مثلُ الحوت، لا يرهب البحر، ولا يباليه، لأنه (ابن البحر)، والناشئ فيه. نستنتج أن البارودي يشبه قومه بالحوت، لكن من الناحية الشكلية نرىٰ أن البيت يخلو من هذا التشبيه، فالبارودي أصدر في الشطر الأول موقفًا أو حكمًا توقع إنكاره، فكان لزامًا عليه أن يقابل هذا الإنكار بالحجة التي تزيل الشك في نفوس قومه، فجاء عجزُ البيت دليلا وحجة قوّىٰ بها موقفه.

٨- يدّعي علي الجارم أن ممدوحه الملك فاروق قد ضمّ أطراف الفخر، وجمع حواشي المجد، وحاز آفاق الكمال، ونال أوسمة النبل وهو لا يزال فتىٰ يافعا صغيرا! ولكنه حكمٌ من السهل جدًا إنكاره؟ لكن الشاعر يريد الآن أن يعلل لك حُكمه، ويأتيك بالبرهان الذي يمحو الشكوك، فيقول: أفلا تنظرون إلىٰ الريحان؟ ألا يسطع شذاه أول غرسه؟ ثم انظروا إلىٰ الدرر الفريدة، ألا يظهر قدرها وتبينُ قيمتها رغم حجمها الضئيل؟ نستنتج أنّ الشاعر شبه ممدوحه بالدرر الصغيرة الثمينة، كما شبهه بالريحان، فكانا تشبيهين ضمنيين فُهما من سياق الكلام.

٩- في هذه الأبيات شبه الشاعر علي الجارم الأديب قاسم أمين بالورد، كما شبهه بالشباب، وبالبدر، لكن من الناحية الشكلية نرىٰ أن الأبيات تخلو من

هذه التشبيهات، فالشاعر لم يصرح بها، بل أوردها ضمنيًا في سياق كلامه.

١٠- يشبه علي الجارم في هذا البيت الأعداءَ بالفقاقيع، ووجه الشبه سرعة الزوال، فمثلما تزول الفقاقيع في الهواء سريعًا كذلك سرعان ما تتبدد أجنادُ العدو، لكنَّ الشاعر لم يوظف هذا التشبيه بطريقته المعهودة، بل فضّل أنْ يسلك مسلك التعليل عن طريق القياس، فقدم قياسه كدليل يثبت به حكمه.

١١- أصدر علي الجارم في هذا البيت حكمًا توقع إنكاره من طرف المستمع، وهو عدم قدرة وصفه وتصويره علىٰ الإلمام بنِعم الممدوح، فلجأ إلىٰ حكم غير قابل للجدال، وهو إدراك العين لمنظر البحر، فالعين قادرة علىٰ إدراك جزء منه فقط، وهو الجزء الذي حول ساحله، لكنها عاجزة عن إدراك البحر ككل، لكنك لو أمعنت النظر تجدِ المشبه به (البحر) ليس مرتبطا بالمشبه (الممدوح) ارتباطًا لفظيًّا.

١٢- في هذا البيت يعترف ناصيف اليازجي بقصوره وعجزه عن وصف الثناء الذي يستحقه الممدوح، فماذا فعل؟ لقد شبه ثناءه ومدحه بحبات القطر التي تسبق المطر، لكن دون الاعتماد علىٰ أركان التشبيه المألوفة، فالشاعر في الشطر الثاني قدم الدليل علىٰ إمكانِ الحكمِ الذي أصدره في الشطر الأول.

١٣- شبه ناصيف اليازجي شعره بالبلبل، وشبه الممدوح بالروض أو البستان، لكن هذا ما فهمناه نحن من سياق كلامه، كأني بالشاعر يقول: لا تنكروا حكمي فلديَّ الدليل، وهو صداح البلابل في الرياض والبساتين.

١٤- شبه الشاعر محمد عاقل صديقه الشاعر ناصيف اليازجي بالقمر، لكنه لم يذكر ذلك صراحة، وإنما عقد مقارنة بين شهرة الشاعر التي طارت في الآفاق، فسمع به كل إنسان أينما سكن، وبين طلعة القمر يراها كل من علىٰ الأرض أينما حلّ.

١٥- لا شك أنك مدركٌ أن الرافعي يشبه ضمنيًا ممدوحه بالشمس، فمثلما لا نظير للشمس في هذا الوجود، كذلك لا كُفء للممدوح فيمن هو موجود.

١٦- يقول الرافعي إن أنكرتم علىٰ قلبي هذا الهوىٰ، فأنكروا علىٰ الشمس لمعانها وإشراقها، فما دام اللمعان من طبيعة الشمس، لا أحد ينكره، فلماذا تنكرون علىٰ قلبي الهوىٰ، والهوىٰ من طبع الإنسان؟

١٧- شبه علي الجندي في البيت الأول الأمانيَ بالعسل، وشبه الآلام التي تعترضها بإبر النحل، ولكن ليس بطريقة مباشرة، أي ليس علىٰ نمطية التشبيه المعروفة، فصدر البيت ما هو سوىٰ حكم يفتقر إلىٰ البرهان، وعجز البيت هو الحجة أو الدليل الذي يحتاجه ذلك الحكم.

وفي البيت الموالي أصدر حكما في الشطر الثاني أسبقَ حجته ودليله في الشطر الأول، فقد شبه خطوب الزمان وعوادي الدهر التي يثبُت ويصبر لها الإنسان بالنار التي تصفي الذهب من الشوائب، لكنه لم يذكر ذلك التشبيهَ صراحة وعلنا، بل فضل واختار التشبيه الضمني.

١٨- شبه الشاعر في البيت الأول المعاهدات التي تعقدها دول الغرب مع الدول العربية بالسلاسل والأغلال التي يلهو السجين بصوتها ورنينها، وهو تشبيه بليغ وضع فيه الشاعرُ المشبهَ بإزاء المشبه به، أما في صدر البيت الثاني فقد شبه الشاعرُ دول الاحتلال في الغرب بالعِقبان، وشبه الدول المستضعفة بالحمام، وفي عجز البيت شبه الدولَ الغربية بطائر الباز، وهو من الطيور الجارحة التي تفترس الطيور الصغيرة، وشبه الشعوب المغلوبة علىٰ أمرها بالعصافير، لكنّ الشاعر في البيت الثاني لم يوظف التشبيه بنسقه المعهود، أي أنه لم يضع المشبه بإزاء المشبه به، بل أخفىٰ التشبيه، والتشبيه كلما خفيَ كان أبلغ في نفس السامع.

١٩- الشاعر يرىٰ نفسه مسيّرًا في هواه لا مخيّرًا، فهو محكوم عليه بهذا الهوىٰ كما النهر محكوم عليه بالجريان، ولكن الشاعر أخفىٰ هذا التشبيه، وتحجّج بحجة النهر، لأنها حجة بديهية، ومسلّمة طبيعية لا نزاع فيها.

٢٠- أصدر الشاعر حكمًا في الشطر الأول مفاده أن العبوس مصيره الزوال، وأن صبح الابتسام سيعقب حتمًا ليل العبوس، لكن الشاعر عرف أن هذا الحكم يحتاج إلىٰ دليل يقويه، فأتىٰ في الشطر الثاني بالدليل، وهو دليل انحراف الطريق الذي لا يدوم.





تمرين

حدّد التشبيه الضمنيّ، واشرحه فيما يأتي:

قال محمود غنيم في رثاء الموسيقار (داود حسني):

إنَّ الحَيَاةَ بِلَا لَحْنٍ وَلَا طَرَبٍ ... دَاءٌ نُقَاسِيهِ، بَلْ مَوْتٌ نُعَانِيهِ

الطَّيْرُ يَسْجَعُ إنْ هَاجَتْ بَلَابِلُهُ ... وَالرَّكْبُ يَحْدُوهُ فِي البَيْدَاءِ حَادِيهِ

وَالوَحْشُ يَأْنَسُ بِالأَنْغَامِ نَافِرُهُ ... وَالخِلُّ إنْ صَدَّ، بِالأَلْحَانِ تُصْبِيهِ(١)

وقال محمود غنيم:

قَالُوا: عَجِبْنَا مَا لِشِعْرِكَ نَائِحًا ... فِي العِيدِ؟ مَا هَذَا بِشَدْوِ مُعَيِّدِ

مَا حِيلَةُ العُصْفُورِ قَصُّوا رِيشَهُ ... وَرَمَوْهُ فِي قَفَصٍ وَقَالُوا غَرِّدِ؟

وقال محمود غنيم في (مضيفة طائرة):

قَالَ جَارِي: أتِلْكَ فِي الجَوِّ تَقْضِي ... عُمْرَهَا بَيْنَ جَيْئَةٍ وذَهَابِ؟

قُلْتُ: هَلْ تَحْسِبُ العَصَافِيرَ يَوْمًا ... لِرُكُوبِ الهَوَاءِ أَيَّ حِسَابِ؟

قَدْ بَلَغْنَا عَدْنًا، وتِلْكَ لَعَمْرِي ... هِيَ إحْدَى الكَوَاعِبِ الأَتْرَابِ

قال نزار قباني:

حَبْلُ الفَجِيعَةِ مُلْتَفٌّ عَلَى عُنُقِي ... مَنْ ذَا يُعَاتِبُ مَشْنُوقًا إذَا اضْطَرَبَا؟

وقال نزار قباني:

وإذا قَسَوْتُ علَى العُرُوبَةِ مَرَّةً ... فَلَقَدْ تَضِيقُ بِكُحْلِهَا الأَهْدَابُ

---

(١) تُصْبِيه: تُمِيلُه.

ولنزار أيضًا:

قَــدَرٌ عَلَيْنَــا أَنْ نَكُــونَ مَعًــا يَــا حُلْــوَتِي، رَغْــمَ الَّــذِي كَانَــا

إنَّ الحَدِيقَــةَ لَا خَيَــارَ لَهَــا إنْ أَطْلَعَــتْ وَرَقًــا وأَغْصَــانَا

قال الشاعر السوري أمين الجندي مادحًا ومعبِّرًا عن تقصيره في المدح:

أَنَـا لَسْـتُ بِالمُحْصِـي ثَنَـاكَ وَإِنَّمَـا أَوْصَـافُكَ الحُسْـنَى تَلِـذُّ لِـذَاكِرِ

وَمَـنِ الَّـذِي لِلْبَحْـرِ يُهْـدِي الـدُّرَّ أَوْ لِلشَّـمْسِ يَكْسُـو ثَـوْبَ نُـورٍ بَـاهِرِ؟

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي فيمن لا يكون أهلًا للخير والمعروف:

وأنْـتَ إنْ لَـمْ تَكُـنْ أَهْـلًا لِفَضْـلِهِمْ فَالغَيْثُ يَسْقِي الرُّبَى خُضْرًا وَأَيْبَاسَا

قال الشاعر الكبير محمد توفيق علي مخاطبًا صديقه وكان شاعرًا وناقدًا:

فَفَخْـرِي بِشِـعْرِي عَائِـدٌ لَـكَ إنَّـهُ يَعُـودُ لِنُـورِ الشَّـمْسِ نـورُ الفَرَاقِـدِ

وإنْ تَـأْبَ إلَّا عَيْـبَ شِـعْرِي وَنَقْـدَهُ فَمَـا حِيلَـةُ الـدِّينَارِ فِي كَـفِّ نَاقِـدِ؟

قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي معتذرًا عن قصوره في المدح:

وَلَـئِنْ تَرَكْـتُ لِغَـيْرِيَ الحُسْـنَى فَكَـمْ تَـرَكَ الفَـرَزْدَقُ مِـنْ يَـدٍ لِجَرِيـرِ

قال ناصيف اليازجي ردًّا على رسالة أخوية:

سَـبُوقٌ إلَى الغَايَـاتِ قَصَّـرْتُ دُونَـهُ وَكَيْـفَ يُبَـارِي فَـارِسَ الخَيْـلِ رَاجِـلُ؟

قال الشاعر سليمان الصولة يخاطب ممدوحه ويعتذر عن تقصيره في مدحه:

فَـإِذَا رَأَيْـتَ الـنَّقْصَ فِيـهِ فَقُـلْ مَـتَى لَحِـقَ البَعِـيرُ سَـوَابِقَ الخُلَفَـاءِ؟

وقال سليمان الصولة:

وَقَالَ تَهْوَى العُيُونَ السُّودَ قُلْتُ لَهُ ... بِالأعْيُنِ الزُّرْقِ غَابَ القَلْبُ وَالْتَهَبَا

إذَا بَدَا بِلَهِيبِ النَّارِ أَزْرَقُهَا ... شَبَّتْ وَلَيْسَ يُشِبُّ الأَسْوَدُ اللَّهَبَا

وقال متغزلًا أيضًا:

فَرَقَّى وَكَفْكَفَ مَدْمَعِي بِبَنَانِهِ ... مِنْ عَادَةِ الكَافُورِ إمْسَاكُ الدَّمِ

قال علي الجندي في غرض المدح:

ونَظَمْنَا لَكَ التَّهَانِيَ دُرًّا ... ولِجِيدِ الحِسَانِ تُهْدَى اللَّآلِي

قال خليل مطران:

زَجَرْتُ فُؤادِي أنْ يَبُوحَ بِحُزْنِهِ ... فَبَاحَتْ بِهِ عَيْنِي ولَمْ يَنْفَعِ الزَّجْرُ

ومَا زَجْرُكَ الكَأسَ الدِّهَاقَ بِخَمْرِهَا ... إذَا هِيَ سَالَتْ عَنْ جَوَانِبِهَا الخَمْرُ؟

قال إيليا أبو ماضي:

مَنْ أنَا مَا صَنَعْتُ كَيْ تَعْصِبُوا بِالتْـ ... ـتَاجِ رَأْسِي وَأيُّ شَأْنٍ شَانِي؟

لا افْتِخَارَ لِنَحْلَةٍ وَجَدَتْ حَقْـ ... ـلًا فَعَادَتْ مِنْ زَهْرِهِ بِالمَجَانِي

إنْ أكُنْ فَرْقَدًا فَأنْتُمْ سَمَائِي ... أوْ هَزَارًا فَأنْتُمْ بُسْتَانِي

أيُّ بِدْعٍ إنْ أخْرَجَ الحَقْلُ للنَّا ... سِ صُنُوفَ النَّبَاتِ فِي نَيْسَانِ؟

وقال إيليا أبو ماضي في الحرية الفكرية:

مَاذَا جَنَيْتَ عَلَيْهِمْ أيُّهَا القَلَمُ ... واللهِ مَا فِيكَ إلَّا النُّصْحُ والحِكَمُ

إنْ يَحْبِسُوا الطَّائِرَ المَحْكِيَّ فِي قَفَصٍ ... فَلَيْسَ يُحْبَسُ مِنْهُ الصَّوْتُ والنَّغَمُ

وقال إيليا أبو ماضي:

إنْ يَغْضَبُوا مِمَّا أقُولُ فَطَالَمَا ... كَرِهَ الأدِيبَ جَمَاعَةُ الغَوْغَاءِ

أوْ يُنْكِــرُوا أَدَبِي فَــلَا تَتَعَجَّبُــوا فَالرُّمْـدُ يُـؤلِمُهُمْ طُلُـوعُ ذُكَـاءِ[١]

قال الشاعر العراقي معروف الرصافي:

أَتَطْمَعُ هَـذِي النَّـاسُ أنْ تَبْلُـغَ المُـنَى ولَـمْ تُـورِ في يَـوْمِ الصِّـدَامِ زُنُودَهَـا؟

فَهَـلْ لَمَعَـتْ فِي الجَـوِّ شُـعْلَةُ بَـارِقٍ ومَا ارْتَجَسَـتْ بَيْنَ الغُيُـومِ رُعُودُهَا؟

وقال الرصافي:

لا تُهْمِلُــوا الضَّــرَرَ اليَسِــيرَ فَإنَّــهُ إنْ دَامَ ضَــاقَتْ دُونَــهُ الفَلَــوَاتُ

فالنَّــارُ تَلْهَـبُ مِـنْ سُـقُوطِ شَـرَارَةٍ والمَــاءُ تَجْمَــعُ سَـيْلَهُ القَطَـرَاتُ

وقال معروف الرصافي مخاطبا العرب:

كَيْـفَ النَّجَـاحُ وأنْـتُمْ لا اتِّفَـاقَ لَكُـمْ والعُـودُ لَـيْسَ لَـهُ صَـوْتٌ بِـلَا وَتَـرِ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي:

سِـمَاتُ وَالِـدِهِ فِي وَجْهِـهِ ظَهَـرَتْ وَالشِّـبْلُ تُعْـرَفُ فِيـهِ هَيْبَـةُ السَّـبُعِ

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

حُـثَّ الخُطَـى لِلْعِـزِّ واسْـلُكْ نَهْجَـهُ ولَـوْ أنَّ نَهْـجَ العِـزِّ كَـانَ جَحِيمَـا

لَـوْ خَـافَ مُـوسَى أنْ يَحُـلَّ بِـهِ رَدًى فِي الطُّـورِ لَـمْ يَـكُ لِلإلَـهِ كَلِيمَـا

قال محمود سامي البارودي معتذرًا:

فَـإنْ تَكُـنْ هَفْـوَةٌ أَوْ زَلَّـةٌ عَرَضَـتْ فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَانًا عَنِ الغَرَضِ

قال أحمد شوقي في رثاء فقيد العلم (علي بهجت):

غَــدِيرٌ أَتْــرَعَ الأَوْطَــانَ خَــيْرًا وإنْ لَــمْ تَمْتَلِــئْ مِنْــهُ دَوِيَّــا

---

(١) ذُكاء: الشمس.

وقَــدْ تَــأتِي الجَــدَاوِلُ فِي خُشُــوعٍ ... بِمَــا قَــدْ يُعْجِــزُ السَّــيْلَ الأَتِيَّــا

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

فمِـنْ أيـنَ مَـا يَمَّمْـتُ أَلْقَـاهُ جَـانِبِي ... ومِـنْ أيْـنَ مَـا أرْتَـدُّ أَلْقَـاهُ جَـاذِبِي

وما يَصْنَعُ الغَضْبُ المُهَنَّدُ إنْ هَوَى ... عَلَـى المَـاءِ مَهْمَـا كَـانَ مَـاضِي

قال الشاعر القروي:

خُذِ العِلْمَ يَا ابْنِي مِنْ حَكِيمٍ وجَاهِلٍ ... فَقَدْ يَسْتَفِيدُ الفَيْلَسُوفُ مِنَ الغِرِّ

وإنَّ نَفِيسَ الـدُّرِّ مَـا ضَـاعَ قَـدْرُهُ ... إذَا كَـانَ فِي كَفَّـيْ وَضِـيعٍ بِـلَا قَـدْرِ

قال إبراهيم ناجي في الرثاء مضمّنا:

إنَّــا افْتَقَــدْنَاكَ والأفْهَــامُ حَــائِرَةٌ ... والبَــدْرُ فِي اللَّيْلَــةِ الظَّلْمَــاءِ يُفْتَقَــدُ



التشبيهُ المقلوب وتشبيهُ التّفضيل

تعريف التشبيه المقلوب: هُنَاكَ قَوْلٌ مَأْثُورٌ فِي التَّشْبِيهِ مَفَادُهُ أنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ أظْهَرَ، وأشْهرَ في المُشَبَّهِ بِهِ مِنْهُ في المُشَبَّه، وذَلِكَ كَيْ تَصِحَّ مُقَارَنَةُ المُشَبَّهِ بالمُشَبَّهِ به، لَكِنّ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ انْقَلَبُوا عَلَىٰ سِيَاسَةِ التَّشْبِيه، وعَكَسُوا هَذِهِ المُعَادَلَة عَلَىٰ وَجْهِ المُبَالَغَة، إيهامًا بأنَّ المُشَبَّهَ أقْوَىٰ، وأكْمَلُ فِي وَجْهِ الشَّبَهِ مِنَ المُشَبَّهِ به، أيْ أنَّهُمْ قَلَبُوا التَّشْبِيه، وخَرَجُوا عَنِ المَأْلُوف، فَجَعَلُوا المُشَبَّهَ مُشَبَّهًا بِه، والمُشَبَّهَ بِهِ مُشَبَّهًا، وأطْلَقَ عُلَمَاءُ البَيَانِ عَلَىٰ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّشْبِيهِ التَّشْبِيهَ المَقْلُوب.

اسمع إلىٰ الكاتب محمد المويلحي، وهو يشير إلىٰ هذا المعنىٰ حين تعذَّرَ عليه وصف برج (إيفل) بفرنسا: «أنَّىٰ لِخَيَالِ الشَّاعِرِ أَنْ يَعْلُوَ فِي وَصْفِهِ عُلُوَّه، ويَسْمُوَ سُمُوَّه؟ لَا جَرَمَ أَنَّهُ يَضِيقُ عَلَيْهِ نِطَاقُ الوَصْف، فَيَلْجَأُ إِلَىٰ تَشْبِيهِ الأَكْبَرِ بِالأَصْغَر، والأَعْظَمِ بِالأَحْقَر، كَمَا شَبَّهُوا شَمْسَ النَّهار، بِكَأْسِ العُقَار».

وقدْ أدْرَكَ الشُّعَرَاءُ مَا فِي التَّشْبِيهِ المَقْلُوبِ مِنْ تَصْوِيرٍ لِخَلَجَاتِ النَّفْس، فَبَادَرُوا إِلَىٰ اسْتِخْدَامِه، ولأنَّ الأدِيبَ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّشْبِيهِ يَجْعَلُ الأصْلَ فَرْعًا، والفَرْعَ أصْلًا، «سَمَّاه ابْنُ جِنِيّ «غَلَبَة الفُرُوعِ عَلَىٰ الأُصُول»، وقال: «لا تجد شيئا من ذلك إلّا والغرض منه المبالغة»[1].

شواهد التشبيه المقلوب:

قال الشاعر اللبناني رشيد أيوب:

جَلَسْتُ فِي الرَّوْضِ وَحْدِي عِنْدَ سَاقِيَةٍ　　　يُـرَدِّدُ المَـاءُ فِيهَـا صَـوْتَ أَلْحَـانِي

(١) علوم البلاغة الدكتور محمد أحمد قاسم الدكتور محي الدين ديب (ص ١٧٨).

وَالـرِّيحُ تَخْفِـقُ مِـنْ حَـوْلِي مُهَيْمِنَـةً ... كَمَـا يُهَـيْمِنُ قَلْـبِي الخَـافِقُ العَـانِي
وَعَـنْ يَمِيـنِي فَـوْقَ الغُصْـنِ صَـائِحَةٌ ... مَخْضُـوبَةُ الكَفِّ لَـوْنَ الأَحْمَـرِ القَـانِي
طَـوْرًا تُغَـرِّدُ تَغْرِيـدِي وَآوِنَـةً ... تَنُـوحُ نَـوْحِي إِذَا مَـا الشَّـوْقُ أَبْكَـانِي
وَالزَّهْـرُ فَـاحَ شَـذَاهَا فِي الفَضَـاءِ كَمَـا ... يَفُـوحُ شِـعْرِيَ مِـنْ رُوحِي وَوُجْـدَانِي
فَقُلْـتُ لَمَّـا رَأَيْـتُ الـرَّوْضَ مَمْلَكَـتِي ... وَأَنَّـنِي بَـيْنَ أَنْصَـارِي وَأَعْـوَانِي:
يَا لَيْـتَ مَحْبُـوبَتِي فِي الـرَّوْضِ حَاضِـرَةٌ ... كَيْمَـا تَـرَانِي فِي عِـزِّي وَسُـلْطَانِي

عادةً ما يشبه الشعراء أصوات ألحانهم أو موسيقىٰ أشعارهم بأنغام خرير المياه العذبة، لكون هذا الأخير يصدر ألحانا تطرب لها الآذان، وتنتعش لها القلوب، وتأنس بها النفوس، لكن الشاعر كما ترىٰ في البيت الأول قد عكس هذا التشبيه بغرض المبالغة في الوصف: وصفِ شوقه وحنينه، فادّعىٰ أن خرير المياه فيه مَشابهُ ومحاسنُ من صوت ألحانه، وفي البيت الثاني فعل الشيء ذاته، فشبه خفقة الريح وثورتها باختلاج قلبه واضطرابه، ومما لا شك فيه أن وجه الشبه (الاهتياج والاضطراب) أبْين وأشهر وأقوىٰ في الرياح منه في القلوب، وفي البيت الرابع يرفع الشاعرُ من توتّر التشبيه المقلوب، فيدعي أنّ في هديلِ الحَمامِ وتغريدِه شيئًا من جميل غنائه وإنشاده، كما أن في شجن الورقاء ونواحها شبهًا من بكائه ونحيبه، موهما بأنَّ (غناءه هو، وبكاءه) أقوىٰ، وأكمل في وجه الشبه من المشبه بِه (غناء الحمامة، ونواحها)، والواقع أن العكس هو الصحيح، وفي البيت الخامس عمد الشاعر إلىٰ ما حقّه أن يكون مشبها (شذا الشعر)، فجعله مشبهًا به، وإلىٰ ما حقّه أن يكون مشبها به (عطر الزهر)، فجعله مشبها. حقَّ لنا أن نقول إن الشاعر قد فجّر من صخرة الألم النفسي ماء العبقرية والإبداع.

قال الشاعر اللبناني يوسف غَصُّوب في قصيدته الشهيرة (أوراق الخريف):

نَـثَرَ الخَرِيـفُ عَلَـى الـثَّرَى أَوْرَاقَـهُ فَتَنَـاثَرَتْ كَتَنَـاثُرِ العَـبَرَاتِ
يَـتْرُكْنَ أَغْصَـانًا أَلِفْـنَ عِنَاقَهَـا ويَـقْعُـدْنَ بَـيْنَ يَـدَيَّ مُضْـطَرِبَاتِ
يَلْهُـو الهَـوَاءُ بِبَعْضِـهِنَّ هُنَيْهَـةً ويَعُـودُ يَجْمَعُهُـنَّ بَعْـدَ شَـتَاتِ
فَكَـأَنَّهُنَّ إذَا خَفَقْـنَ جَـوَانِحِي وحَفِـيفُهُنَّ كَأَنَّـهُ زَفَـرَاتِي

درج علىٰ ألسنتنا تشبيهُ الدموع المتساقطة بأوراق الخريف المتناثرة من الأشجار، فكنّا نقول دوما: «دموعُه متناثرةٌ كأوراق الخريف»، ذلك لأنّ وجه الشبه أكْملُ وأظْهرُ في المشبه به، لا المشبه، لكنّ الشاعرَ في هذه المرثيّة الذاتيّة ينعي حياته القصيرة الموشكة علىٰ الفناء، فيشبه الأوراق الذابلة والمتهاوية عن أغصانٍ ألفتْ عناقها بدموعه المنحدرة من عينيه، فالملاحظ أنّ الشاعر قد قلب التشبيه بغرض المبالغة في وصف حزنه علىٰ حياته، ثم يعود الشاعر في البيت الأخير، ويشبه خفقان الأوراق في الهواء بخفقان فؤاده، قالبا التشبيه كذلك، وأخيرًا يشبه بالطريقة نفسها صوتَ الأوراقِ وحفيفَها بزفراته الحَرَّىٰ، وأنفاسه الأخيرة.

قال علي الجارم في تهنئة الملك فاروق:

غُضِّـي جُفُونَـكِ يَـا نُجُـومُ فَدُونَـهُ تَتَضَـاءَلُ الآمَـالُ والأقْـدَارُ
أَنْـتُنَّ أقْـرَبُ مُشْـبِهٍ لِهِبَاتِـهِ فَكِلاكُمَـا مِـنْ رَاحَتَيْـهِ نِثَـارُ

أراد علي الجارم أن يكيل المدحَ للملك فاروق، فشبه النجومَ المتناثرةَ بهبَات الملكِ المنثورةِ والمتفرقة علىٰ رعاياه، لكن المتأمل للبيتين يرىٰ أن وجه الشبه (الكثرة والتناثر) أقوىٰ وأوضح وأبين في المشبه (النجوم والكواكب)، لا في المشبه به (هِبات الممدوح)، وغرض الشاعر من ذلك المبالغة في المدح.

وقال الجارم مهنّئًا الملك بالعيد:

كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ والكَوْنُ مُشْرِقٌ سَنَا طَلْعَةِ الفَارُوقِ لاحَتْ رَكَائِبُـهْ

ادّعَىٰ الشاعرُ هذه المرة أنَّ وجْهَ الملك، وطَلْعَتَهُ أشْهر، وأتمُّ، وأكْمَلُ ضياءً، وإشراقًا من طلعة الصُّبح، فكأنه يزعم أنّ الصبح لا يشبه ممدوحه كفاية، أو كأنه يستكْثر علىٰ الصُّبح أن يرقىٰ إلىٰ رتبة المشبه به، نقول إنّ الشاعر قد تجاهل أنّ الصّبح هو المثل الأعلىٰ للإشراق، فعمد إلىٰ ما حقّه أن يكون مشبها، فجعله مشبهًا به، وإلىٰ ما حقّه أن يكون مشبها به، فجعله مشبها، وهدف الشاعر واضح كضياء الصبح، وهو المبالغة في المدح.

قال الشاعر السوري أمين الجندي متغزلًا:

لَـمْ يَحْـكِ طَلْعَتَهَـا وَلَفْتَـةَ جِيـدِهَا غَـيْرُ الغَزَالَـةِ وَالغَـزَالِ الأَغْيَـدِ[1]

في هذا التشبيه تبادل الطرفان مواقعهما، حيث شبه الشاعر نورَ الشمس بطلعة المحبوبة، وشبه لفتة الغزالة بلفتة جيدها قالبا طرفي التشبيه، وذلك بغرض المبالغة في الغزل.

ومن التشبيه المقلوب قول شاعر لبنان عمر الأنسيّ في الوصف:

وأغْصَـانُ الـرُّبَى أَشْـبَهْنَ غِيـدًا أَزَاهِرُهَـا لَهَـا انْتُظِمَـتْ حُلِيًّـا

وصف عجيب وتمثيل بديع كسرَ به الشاعر نمطية التشبيه، حيث شبه – متفنِّنًا – أغصان الرياض بحسناوات بيروت، وشبه الأزهار بالحلي التي تتزين بها تلك الغيد الحسان.

وقال عمر الأنسي:

وَرَوَى الـبَرْقُ لِي حَـدِيثَ ثَنَايَـاهُ وَحَكَـى الغَيْـثُ مَـدْمَعِي الهَطّـالا

الأصل في التشبيه أن يشبه الشاعرُ الثنايا بالبرق، ويشبه الدموع بالغيث، لأن

---

(١) الغزالة: يقال: غزالة الضحىٰ، وهي الشمس عند طلوعها، لأنها تمدُّ حبالًا من نورها كأنها تغزل.

الأخير منهما أبْين وأوضح في وجه الشبه (اللمعان)، و(الغزارة)، لكنّ الشاعر نزوعًا منه إلىٰ الابتكار والتجديد جعل دمعَه، وثنايا محبوبه أصلين للقياس، فقاسَ عليهما، وشبَّهَ بهما، موهمًا السامع أنّ وجه الشبه أقوىٰ في المشبه، لا المشبه به.

وقال عمر الأنسيّ:

مَهَــاةٌ كَقَلْــبِي قُرْطُهَــا وَوِشَــاحُهَا   خَفُوقَـانِ مِـنْ دَلٍّ عَلَيْهَـا وَمِـنْ لَهَـفِ

أليس الأصل في التشبيه أيها المغرد المبدع أن تشبه قلبَك في خفوقه واهتزازه بقرط الحبيبة ووشاحها؟ أم أنك أردتَ ترتقيَ في البلاغة مرتقًىٰ صعبا، بقلب موازين التشبيه، وجعل المشبه (الفؤاد) أبين وأظهر في وجه الشبه من المشبه به (القرط والوشاح)؟

وقال عمر الأنسي:

وسَــيِّدٍ فَــاحَ مِسْــكًا صِــيتُه فَنَمَــا   وَنَـمَّ حَـتَّى رَوَى عَنْـهُ الصَّـبَا وحَكَـى

لمّا أدرك الشاعرُ ما في التَّشبِيهِ المقلوبِ من تَصويرٍ لِخلجات النَّفس، أراد أن يخلب لُبَّكَ مرة أخرىٰ، فشبه لك نسيم الصَّبا بِعُرْف مآثر الممدوح وشذا صيته، ولم يكن هذا مشهورا في عُرْفِ التشبيه، حتىٰ أتانا الشاعر به، لنقتنع معه بجمال هذا النوع من التشبيه المعكوس، وارتفاع كعبه علىٰ التشبيه المألوف.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي:

وَفِي الشُّـمُوسِ انْعِكَـاسٌ مِـنْ تَبَسُّـمِهِ   وَفِي الغُصُــونِ اطِّـرَادٌ مِــنْ تَثَنِّيــهِ

فالشاعر كما هو جليٌّ قد عكس التشبيه، فبدل أن يشبه ابتسامة المحبوب المشرقة بالشمس، ويشبه عطفته المتمايلة بالغصن، نجده قد فعل العكس، وقلب التشبيه بغرض المبالغة في الغزل.

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

فَالبَدْرُ فِي الأَغْصَانِ طَلْعَتُهَا إِذَا أَرْخَتْ عَلَيْهَا مِنْ ضَفَائِرِ شَعْرِهَا

تصويرٌ بارعٌ ذلك الذي يشبّه لك وجه الحسناء حين ترخي ضفائر شعرها بقمرٍ من خلال الأغصان بادٍ، ولكنّ الأبرع من ذلك حين يغامر الشاعر، فيقلب تلك اللوحة الفنية، ليفاجئ القارئ بصورة نادرة، مشحونة بالكمال والجمال، وغرض الشاعر من هذا الصنيع إنما هو المبالغة، وإيهام السَّامع بأن وجود وجه الشبه (الجمال) أقوىٰ وأكمل في المشبه (قمر الشاعر) من وجوده في المشبه به (قمر السماء).

وقريب منه قول الشاعر نفسه في الوصف:

تَنَزَّهْتُ فِي رَوْضٍ خَضِيلٍ مُطَلَّلٍ كَوَجْهٍ جَمِيلٍ تَحْتَ شَعْرٍ مُسَدَّلِ

قال إيليا أبو ماضي واصفا فيلسوفهُ المجنّح (البلبل):

فَكَأَنَّمَا الأَزْهَارُ سِرْبُ كَوَاعِبٍ وكَأَنَّمَا هُوَ شَاعِرٌ يَتَغَزَّلُ

لقد عوَّدنا الشعراء علىٰ تشبيه الفتيات بالأزهار، وتشبيه الشعراء بالبلابل، هذا هو المألوف، لكن إيليا أبَا ماضي أبَىٰ إلا أنْ يهيم في وادٍ آخر، ويسْبح ضد تيار التشبيه، فصيّر بتشبيهه الأصلَ فرعًا، والفرعَ أصلًا، فقلب معادلة التشبيه، حين جعل الأزهار التي كانت طيلة قرون مضت مشبهًا به، جعلها اليوم مشبهًا، وجعل الكواعب مشبهًا به، مدّعيًا أن وجه الشبه صفةٌ أكثر كمالًا في المشبه، لا المشبه به. وكذلك فعل في تشبيه البلبل بالشاعر.

قال محمود سامي البارودي في غرض الغزل:

فَفِي الغُصْنِ مِنْهَا إنْ تَثَنَّتْ مَشَابِهٌ وفِي البَدْرِ مِنْهَا إنْ تَجَلَّتْ مَلَامِحُ

إن الشاعر العربي قد عوّدنا في سوق الغزل أن يشبه المليحة بالبدر، ويشبه

قامتها الهيفاء بالغصن، لكن البارودي يعرض علينا بضاعة مختلفة، فيجعل البدرَ والغصنَ هما الشبيهان محوّلا الأصل فرعًا، والفرع أصلًا... بضاعةٌ جيّدة ليس سوىٰ سُيولة الإعجاب نقودها.

وقريب منه قول صديقه الأمير شكيب أرسلان في الغزل:

وأعْشَقُ نُورَ البَدْرِ لَيْلَةَ تَمّهِ لأنْ قَدْ بَدَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ مَلَامِحُهْ

وقال البارودي:

كُلَّمَا شِمْتُ بَارِقًا خِلْتُ ثَغْرًا بَاسِمًا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الخِيَامِ

حيث شبه الشاعر السُّحبَ التي تحمل البرق بالثغر، وشبه البرقَ بالأسنان عند الابتسام، فماذا فعل البارودي؟ لقد عكس المعادلة، وتجاهل حكمة التشبيه، فبدل أن يشبه الأسنان بالبرق فعل العكس، زاعمًا أن بياض الأسنان أشدُّ بريقا من لمعان البرق.

قال معروف الرصافي:

ولَيْلٍ كَأَنَّ البَدْرَ فِيهِ مَلِيحَةٌ أُغَازِلُهَا والنَّيِّرَاتِ رَقِيبُ

لعلك مدركٌ أن وجه الشبه أقوىٰ وأظهر في البدر منه في الحسناء، فالشعراء يشبهون الشيء بما هو أقوىٰ، وأوضح في وجه الشبه، ليكتسب منه قوة ووضوحا، لكن بعد أنْ ظل التشبيه زمنا غير قصير واقفا علىٰ رجليه، يطلع الرصافي، ويجعل التشبيه واقفا علىٰ رأسه، فليست المليحة في منطق عشقه شبيهة بالبدر، بل العكس هو الصحيح، لأنه رأىٰ بعينه التي في قلبه أن وجه الشبه (الحُسن) أكْمَل، وأتمُّ في المحبوب منه في البدر.

قال مصطفىٰ صادق الرافعي في مدح الخديوي:

جَرَى النِّيلُ فِيهَا حَاكِيًا نَيْلَ كَفِّهِ وهَلْ فِي الوَرَى مَنْ يَعْدِلُ البَحْرَ بِالنَّهْرِ؟

وها هو ذا مصطفىٰ صادق الرافعي يرفع من توتّر هذا النوع من التشبيه، فيأتي في صدر البيت بتشبيه مقلوب، ويأتي في عجزه بتشبيه ضمنيّ مؤكِّدًا به صدق دعواه، فيجعل تشبيهَهُ للخديوي فَتْحَيْن في فَتْح، وما يهمنا في هذا المقام هو التشبيه المقلوب، فالشاعر قد ركِب مركب سابقَيْه، وشنَّ غارةً علىٰ التشبيه المألوف، رافعًا لواء المبالغة في المدح عاليا، وبَدَلَ أن يشبّه بَذْلَ ممدوحه بنهر النيل علىٰ عادة الشعراء، ها أنت ذا تراه يشبه نهر النيل بالممدوح، فهيهات في نظره أن يرقىٰ النهر إلىٰ مرتبة البحر.

وقال الرافعي في وصف البدر والكواكب:

كَأَنَّكَ يَا بَدْرَ الكَوَاكِبِ بَيْنَهَا فَتَاةٌ مَشَتْ بَيْنَ الأَزَاهِرِ تَقْطِفُ

فتشبيه البدر بالفتاة، وتشبيه الكواكب بالأزهار فيه نوع المبالغة في الوصف، وإيهام السامع أو القارئ بأن المشبه أوفر حظا في وجه الشبه من المشبه به.

قال الشاعر السوري بطرس كرامة مادحا أحد الأدباء:

إذا هَزَّ اليَرَاعَ أَرَاكَ نَثْرًا عُقُودُ الغَانِيَاتِ لَهُ مِثَالُ

الشاعر يسلك طريق التشبيه المقلوب، ويشبه عقودَ الغانيات في انتظامها واتّساقها بعقدٍ فريدٍ منّسقِ الألفاظ، موشح بلطائف الآداب، يُريك الممدوحُ فيه براعته إذا اهتزّت يراعته.

إنه منطق يفرض عليك أن تسلّم أنّ ما كان دائمًا مشبهًا به أصبح الآن مشبها، والعكس، أليس هذا ما يروّج له، ويبشّر به الرافعي في قوله:

وقَالُوا حَكَيْتَ الظَّبْيَ جِيدًا ولَفْتَةً وأشْبَهْتَ غُصْنَ البَانِ في هَيَفِ البَانِ

وأُقْسِمُ مَا الغِزْلانُ فِي لَفَتَاتِهَا ولا هَيَفُ الأغْصَانِ إلّا الشَّبِيهَانِ

بلاغة التشبيه المقلوب:

للتشبيه المقلوب سحر، ووقع علىٰ القلوب، وهو مظهر من مظاهر التفنن في التعبير، تظهر فيه قدرة الأديب علىٰ الإبداع، والتغيير، «وحين أنشد خالد الكاتب قوله:

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ   خُدُودٌ أُضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ

استخفَّ إبراهيمَ بنَ المهدي الطربُ، فزحف في مقعده، حتىٰ صار في ثلثي فراشه، ثم هتف: يا فتىٰ، شبهوا الخدود بالورود، وأنت شبهت الورد بالخدود!»[(١)].

«والشرط في استعماله ألا يرِد إلّا فيما جرىٰ عليه العرف، وذلك حتىٰ تظهر بوضوح صورة القلب والانعكاس، علىٰ هذا الأساس يحسُن التشبيه المقلوب، ويُقبل، أما إذا ورد في غير المعهود المألوف، فإنه يكون معيبا، لأن المبالغة فيه تصيبه بالغموض، وتؤدي إلىٰ التداخل بين طرفيه، فلا يُعرف أيّهما المشبه، وأيهما المشبه به»[(٢)].

ويُعدُّ التشبيه المقلوب ضربا من التجديد، «لكسر نمطية التشبيه، والرَّتابةِ في التشابيه المبتذلة، التي مجّها الذوق، وملّها السمع، فجاء التشبيه المقلوب ليقضي علىٰ الرتابة، ويحدث ضربًا جديدًا من العلاقات القائمة بين طرفي التشبيه»[(٣)].

وليس كل التشبيه المقلوب في الحسن سواء، بل يتفاوت في البلاغة تفاوتا كبيرا، بما يراعىٰ فيه من دقة وعمق، وبما يحمله من أشياء طريفة مخترعة، فقد جرىٰ العرف مثلًا علىٰ تشبيه الأسنان بالبرق، ولكن لا يكفي قلب التشبيه

---

(١) فن التشبيه علي الجندي (ج١ ص ٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) علم البيان عبد العزيز عتيق (ص ١٠١).

(٣) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ١٧٨).

فتقول: برق كالأسنان، حتىٰ تكون أتيتَ بشيء بديع يعتدّ به في البلاغة، غير أنك تستطيع أن تخلب لب القارئ، وتثير إعجابه، وتلهب شعوره، وتقنعه أنك جلوتَ عليه صورة فاتنة إذا أنت جئتهُ بمثل قول عمر الأنسي في الوصف:

كَأَنَّ الرُّبَى خَوْدٌ وَقَدْ جَادَهَا الحَيَا فَزَادَ بِهَا تَوْرِيدُ وَجْنَتِهَا حُسْنَا

يا لها من صورةٍ متّسقة مؤتلفة، تلهيك عن مزيّة القلب نفسه، فلا تكاد تحس بقلب التشبيه، بل تصرفك إليها مباشرة، لتستمتع بما حوته من سمات الجمال والإبداع. «وليس التشبيه المقلوب بشيء إذا لم يقع موقعه اللائق به حتىٰ كأنه متعيّن فيه، وكأنّ المقام ينادي عليه».(١)

وزبدة القول: إن التشبيه المقلوب يكون أبلغ إذا رُشّح بأحد أنواع التشبيهات الأخرىٰ، كالتشبيه التمثيلي في قول عمر الأنسيّ في الوصف:

وأغْصَانُ الرُّبَى أَشْبَهْنَ غِيدًا أَزَاهِرُهَا لَهَا انْتُظِمَتْ حُلِيًّا

أو التشبيه الضمني، في قول مصطفىٰ صادق الرافعي في مدح الخديوي:

جَرَى النِّيلُ فِيهَا حَاكِيًا نَيْلَ كَفِّهِ وهَلْ فِي الوَرَى مَنْ يَعْدِلُ البَحْرَ بِالنَّهْرِ؟

تشبيه التفضيل:

قال نزار قباني: «هَلْ تَعْرِفُونَ مَعْنَىٰ أَنْ يَسْكُنَ الإنْسَانُ فِي قَارُورَةِ عِطْر؟ بَيْتُنَا قَارُورَةُ عِطْر، إنَّنِي لا أُحَاوِلُ رِشْوَتَكُمْ بِتَشْبِيهٍ بَلِيغ، ولَكِنْ ثِقُوا أَنِّي بِهَذَا التَّشْبِيهِ لا أَظْلِمُ قَارُورَةَ العِطْر، وإنَّمَا أَظْلِمُ دَارَنَا». بهذا الخطاب ينخرط نزار قباني في حزب الشعراء الذين يعدلون عن التشبيه، ويدّعون أنّ المشبه أفضل من المشبه به، وذاك هو معنىٰ تشبيه التفضيل، ولعل هذا ما عبّر عنه الشاعر العراقي جعفر الحلي بقوله:

---

(١) فن التشبيه (ج١ ص ٣٢٢)

لَقَدْ شَبَّهْتُ وَجْهَكَ بَدْرَ تَمٍّ   وَلَكِنَّ الفَضِيلَةَ لِلْمُشَبَّهْ

«وقد عرّف علماء البيان هذا الفن، فقالوا: وتكونُ هذه الصنعة بأنْ يشّبه الشاعرُ شيئًا بشيء آخر، ثم يعود فَيَعْدِلُ عن التشبيه، ويفضّل المشبه علىٰ المشبه به»(١).

شواهد تشبيه التفضيل:

لعل أفضل وأنبل ما أستشهد به لهذا النوع من التشبيه قول شاعر مصر محمد توفيق علي في مدح خاتم الأنبياء والمرسلين:

لا أَكْذِبُ الوَصْفَ بَدْرُ التَّمِّ يَعْشَقُهُ   والشَّمْسُ وَقْتَ الضُّحَى مِنْ أَطْوَعِ الخَدَمِ

وَأَيْنَ لِلْبَدْرِ مِنْهُ سِحْرُ مُكتَحَلٍ   وأَيْنَ لِلشَّمْسِ مِنْهُ دُرُّ مُبْتَسَمِ؟

بهذا الإبداعِ المعجزِ رام الشاعر أن يشبه نبيّنا محمدًا ﷺ بالبدر وبالشمس، لكنه سرعان ما عرف بأنه قد يخطئ في حكمه لو فعل ذلك، فما هي إلا أنْ سما في وصف جماله وجلاله: فهو نبيٌّ جمالُه متمّمٌ، ونوره مكمّل، من أين للبدر سحرُ عيونٍ أبرأتْ من سقمٍ؟ أو من أين للشمس دُرّ مباسمَ نَظَمْنَ يواقيتَ مِن حِكَمٍ؟

ومن روائع تشبيه التفضيل قول إيليا أبي ماضي في وصف جمال (لبنان):

وَلَرُبَّمَا جَبَلٌ أُشَبِّهُهُ بِهِ   مُسْتَرْسِلًا فِي رَوْعَةِ التَّشْبِيهِ

فَأقُولُ: يَحْكِيهِ، وأَعْلَمُ أنَّهُ   مَهْمَا سَمَا هَيْهَاتَ أَنْ يَحْكِيهِ

لمّا سعىٰ أبو ماضي في طلب مشبهٍ به لبلده العظيم (لبنان) لم يجد أفضل من الجبل، فجرَّب أن يأتي بمعجزة من معجزات البيان، فقال دون تأكيد: الجبلُ يحكيه، لكنه ما لبث أنْ تأكد واعترف بأنْ ليس للجبل في التشبيه رُتبتُهُ، وإنْ

(١) المعجم المفصل في علوم البلاغة (ص ٣٢٨).

كان للجبلِ من منزلة لبنانَ تقريبٌ، فلبنانُ هو نفسه المعجزة، وليس للمعجزات فيما يرىٰ أَشباه.

قال الرافعي يصف حسناءه في واحدة من روائع البيان العربي:

فَلَوْ مَالَ غُصْنُ البَانِ مَيْلَةَ عَطْفِها تَرَدَّى، فَهَلْ يَا عَطْفُ أَنْتَ عَجِينُ؟

تعوّد الشعراء علىٰ تشبيه قدِّ المحبوبة بغصن البان، ووجهُ الشبه الانعطاف والاعتدال، لكن شاعرنا في مقامه هذا قد تنازل عن ميراث الشعراء الأوّلين، وفضَّلَ المشبه علىٰ المشبه به. اسمع إلىٰ روايته، يقول: لو أن غصن البان مالَ وماس مقلدًا أعطاف الحبيبة لتثنّىٰ وانكسر، فشتان بين حَطَبٍ مَهين، وقَدٍّ كأنه العجين.

إن منطق هؤلاء الشعراء يوحي إليك أنَّ ما كان في السابق مشبها به ليس سوىٰ طيفٍ أو ظلٍّ للمشبه، لا أكثر من ذلك ولا أقل، علىٰ حدِّ قول محمد توفيق علي:

وأرَى جَمَالَ الوَرْدِ طَيْفَ جَمَالِهِ وَصَفَاءَ لَوْنِ الدُّرِّ ظلَّ صِفَاتِهِ

فَإذَا رَآهُ الوَرْدُ عَاتَبَ لَوْنَهُ وَإذَا رَآهُ الدُّرُّ غَصَّ بِمَائِهِ

وهو ما يعزُّزه قول عبد الحميد الرافعي في وصف جمال المحبوبة:

عَمَدْنَا أَنْ نُشَبِّهَهَا فَشِمْنَا لَدَيْهَا الدُّرَّ مِنْ سَقْطِ المَتَاعِ

إنَّ غاليَ الدُّرِّ - أيها الشاعر العظيم - ليس شيئا رديئا ملقًىٰ في سوق كساد، إلا إذا كنتَ قد نِلْتَ كفايتك من خمرة الحب، والمعشوقة قد نالت كفايتها من سحر الجمال.

قال شاعر مصر محمد توفيق علي في حسناء رآها في روضة :

مَالَتْ بِقَامَتِهَا، يَا بَانَةُ اعْتَدِلِي شَدَتْ بِأنْغَامِهَا، يَا بُلْبُلُ اسْتَرِقِ

يَـا نَـرْجِسُ انْظُـرْ لِعَيْنَيْهَـا إِذَا نَظَـرَتْ   يَـا يَاسَـمِينُ لَقَـدْ مَـرَّتْ بِـكَ انْتَشِـقِ

في عقيدة شاعرنا الكبير إيمانٌ بأنّ هذه الحسناء عصيّة عن التشبيه، فإنْ هي مالتْ، أو غنّت، أو رنتْ، أو نفحتْ، فلا البانة، ولا البلبل، ولا النرجس، ولا الياسمين، بأحْسنَ اعتدالا، وأطرب شدوًا، وأجمل عيونًا، وأطيب عبيرًا.

قال بطرس كرامة:

مَـنْ كَـانَ كَاللَّيْـثِ، حَاشَـا لَا أُشَـبِّهُهُ   بِاللَّيْـثِ خَشْـيَةَ أَنْ يَـنْحَطَّ مِقْـدَارَا

أرأيت كيف شبه الشاعر ممدوحه بالليث في قوته وبأسه، ثم كيف اعتذر وتبرّأ من تشبيهه مخافة أن يُنزِل الممدوح من عليائه، ويحطَّ من مقداره؟ إذن فتشبيه التفضيل هو وضع المشبه والمشبه به في كفتي ميزان لتكون في الأخير كفة المشبه هي الراجحة.

قال الأمير شكيب أرسلان في وصف حسناء تشتغل في معمل للقطن:

تَعْمَـلُ لَهَـا فِي الغَـزْلِ بِـيضُ أَنَامِـلٍ   ظَلَـمَ الَّـذِي هُـوَ بِـالحَرِيرِ يَقِيسُـهَا

لقد ظلَّ الحريرُ لدهورٍ طويلة المثَل الأعلىٰ للشعراء في النعومة واللِّين، يقيسون عليه، ويشبهون به. لكنْ ليس بعد أن رأىٰ الأميرُ هذه الحسناء، فهو لا يريد أن يظلم أناملها بمثل هذا التشبيه، يقول: لا الخزُّ ملمسها، ولا غَالي الدِّمَقْسِ، ولا مَا شئتَ مِنْ ناعِمِ.

وقريب منه قول محمد توفيق علي مشبها كفَّ من يهوىٰ بالحرير:

كَـــالخَزِّ إِلَّا أَنَّهَـــا أَلْـــيَنُ   كَـــفُّ فَتَـــاةٍ لَحْظُهَـــا يُـــثْخِنُ

فالشاعر ظنّ لأوّل وهلة أنّ كفَّ فتاته تشبه الخزَّ، لكنه بعد النظر والتدقيق، والإمعان والتحقيق تبيّن له أنه قد تسرّعَ في الحُكم، فعاد، وصحّح حُكمه بهذا الاستدراك: إلا أنّها ألْين.



واسمع إلىٰ الشاعر المصري الكبير إسماعيل صبري وهو يقطع بسيفِ تشبيهِ التفضيلِ قول كلّ خطيب:

أَمِــيرٌلَــهُ فِكْــرٌإذَا رُمْــتَ وَصْــفَهُ فَدَعْ قَوْلَهُمْ: كَالرُّمْحِ والسَّهْمِ والسَّيْفِ

معلومٌ أنّ تشبيه التفضيل والتشبيه المقلوب أكثر مَنْ يمتطيه شعراءُ المديح، وليس لذلك غرض سوىٰ الإفراط في المدح، وإيهام السامع أنّ وجه الشبه صفةٌ أكثرُ بُروزا في المشبه، لا المشبه به، لذلك ترىٰ الشاعر ترفّع عن المشبه (الرمح والسهم والسيف)، وفضّل المشبه لحاجة في نفسه.

ومن أمثلته النثرية قول الأديب المصري الكبير محمد المويلحي في وصف روضة: «هُنَاكَ تَسْتَبِيكَ أَلْوَانُ الأَزَاهِر، بِمَا يُزْرِي بِلَمَعَانِ الجَوَاهِر، فَمَا اليَاقُوتُ عِنْدَهَا والزَّبَرْجَد؟ ومَا الفَيْرُوزُ والزُّمُرُّد؟ ومَا العَقِيقُ والجُمَان؟ ومَا الدُّرُّ والمَرْجَان؟ وكَيْفَ يُقَاسُ الحَجَرُ بِالشَّجَر؟ وتَسْتَوِي الحَصْبَاءُ اليَابِسَةُ بِأَكْمَامِ الأَغْصَانِ المَائِسَة؟ وكَيْفَ يُقَدَّمُ الجَامِدُ الثَّابِتُ عَلَىٰ النَّامِي النَّابِت؟ وأَيْنَ الحَرَكَةُ مِنَ السُّكُون؟ والمَنْشُورُ مِنَ المَدْفُون؟ وأَيْنَ المَنْثُورُ عَلَىٰ ظَهْرِ الرَّوْضَةِ الزَّهْرَاء، مِنَ المَلْحُودِ فِي بَطْنِ الغَبْرَاء؟».

ومنه قول محمد المويلحي في وصف منازل (باريس): «والبُيُوتُ عَلَىٰ حَافَّتَيْ الشَّارِعِ تُشَارِفُ جَوَّ السَّحَاب، وتُحَاوِلُ أَنْ تَعْلَقَ مِنَ السَّمَاءِ بِأَسْبَاب، فَارِعَةً بَاسِقَة، مُتَلَاصِقَةً مُتَنَاسِقَة، كَأَنَّهَا فِي انْتِسَاقِهَا سُطُورُ الخَطّ، والأَزْهَارَ عَلَىٰ جُدْرَانِهَا شَكْلٌ ونُقَط، كَأَنَّهَا، بَلْ أَيْنَ مِنْهَا مَا بَنَاهُ لِفِرْعَوْنَ هَامَان، وشَادَهُ جِنُّ سُلَيْمَانَ لِسُلَيْمَان، ورَفَعَهُ سِنِمَّارُ لِلنُّعْمَان، لا بَلْ أَيْنَ البَحْرُ العُبَاب، مِنْ لَامِعِ السَّرَاب؟ وأَجْرَامُ الكَوَاكِب، مِنْ بُيُوتِ العَنَاكِب؟».

وقد جمع الشاعر علي الجارم بين التشبيه المقلوب وتشبيه التفضيل في قوله:

كَــأَنَّ بَيَــاضَ الــثَّلْجِ يُنْــثَرُ فَوْقَنَــا صَـحِيفَتُكَ البَيْضَـاءُ، بَـلْ هِـيَ أَنْصَـعُ

ويضاف إلىٰ هذين النوعين من التشبيه نوعٌ ثالث يسمِّيه علماء البيان التشبيه المشروط، ومنه قول الشاعر المصري علي الجندي:

لَوْلا جَلالُكَ قُلْتُ: أَنْتَ أَرَقُّ مِنْ ... رِيحِ الصَّبَا، وسُلافَةِ العُنْقُودِ

ومنه قول الشاعر المصري محمود غنيم:

لَهُ سِيرَةٌ كَعَبِيرِ الزُّهُورِ ... لَوْ أَنَّ الزُّهُورَ رُزِقْنَ الخُلُودَا

ومنه قول الشاعر المصري عبد الله فكري:

ورَاحَةٌ لَوْ تُحَاكِيهَا السَّحَائِبُ فِي ... فَيْضِ النَّدَى هَطَلَتْ تِبْرًا غَوَادِيهَا





تطبيق

ميز بين التشبيه المقلوب وتشبيه التفضيل في النماذج البلاغية الآتية محددا المشبه والمشبه به:

١- قال الجارم يصف يوم زفاف الملك فاروق:

يُــذَكِّرُنَا المَــأْمُونَ يَــوْمَ زِفَافِــهِ ... وَقَــدْ مَشَــتِ الــدُّنْيَا إلَيْــهِ تُجَامِلُــهُ

وَأَيْــنَ مِــنَ المَــأْمُونِ أَوْ مِــنْ زِفَافِــهِ ... جَلَالَــةُ مَلِــكٍ أعْجَـزَتْ مَـنْ يُطَاوِلُـهْ

أَبَى الــدَّهْرُ أَنْ يَلْقَـى لِيَوْمِـكَ ثَانِيًـا ... يُقَارِبُــهُ فِي نُبْلِــهِ أَوْ يُعَادِلُــهْ

٢- وقال علي الجارم يصف ليلةً:

وَتَزَيَّنَــتْ بِحُلَــى الكَوَاكِــبِ مِثْلَمَــا ... تَتَــزَيَّنُ الحَسْــنَاءُ فِي أَفْرَاحِهَــا

نُــورُ المَلَائِــكِ مِــنْ سَــنِيِّ ضِــيَائِهَا ... وَشَـذَا جِنَـانِ الخُلْـدِ مِـنْ أَرْوَاحِهَـا[١]

٣- وقال الجارم في رثاء كاتب:

ويُزْهِـي العُيُـونَ الـدُّعْجَ أنَّ سَـوَادَهَا ... شَــبِيهٌ بِمَــا ضُـمَّتْ عليـهِ مَحَـابِرُهْ

٤- وقال في وصف الزَّهْر:

مَــالَ تِيهًــا كَمَــا تَمِيــلُ العَــذَارَى ... هَلْ عَلَى الزَّهْرِ فِي الهَوَى مِنْ جُنَاحِ؟

٥- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

ونَظَّمْــتُ فِي البَاقَــاتِ زَهْـرًا أشُــمُّهُ ... فَــذَكَّرَنِي ثَغْــرًا لَــهُ عَبَــقُ النَّــدِّ

---

(١) أرواحها: رائحتها.

٦- قال أحمد شوقي في رثاء الكاتب الكبير، والواصف القدير محمد المويلحي:

هُــوَ فِيــهِ بَــدِيعُ كُــلِّ زَمَــانٍ ... مَــنْ بَـدِيعُ الزَّمَـانِ؟ مَـا أَسْـجَاعُه؟

٧- قال بطرس كرامة:

كُلَّمَــا فَاضَــتِ السَّــحَائِبُ خِلْنَــا ... ذَلِــكَ الفَــيْضَ مِــنْ يَدَيْــهِ نَــوَالَا

٨- قال معروف الرصافي:

العِلْــمُ كَــالنُّورِ، بَــلْ أُفَضِّــلُهُ ... مَــا أَفْقَــرَ النُّــورَ أَنْ يُشَــبَّهَ بِــهْ!

٩- قال محمود سامي البارودي:

بَسَـطْتَ يَـدًا بِـالخَيْرِ فِينَـا كَرِيمَـةً ... هِيَ الغَيْثُ أَوْ فِي الغَيْثِ مِنْهَا شَمَائِلُ

١٠- قال محمود غنيم في وصف بلاغة الشعراء:

أَنَــا لَا أُشَــبِّهُ بِالجُمَــانِ حَــدِيثَهُمْ ... إِنَّ الجَــوَاهِرَ كُلَّهَــا أَحْجَــارُ

١١- وقال محمود غنيم بمناسبة حلول العام الهجري:

لَاحَ الهِــلَالُ لَنَــا بِــوَمْضِ شُــعَاعِ ... يَحْكِــي بَرِيــقَ الثَّغْــرِ خَلْــفَ قِنَــاعِ

١٢- وقال غنيم في الوصف:

شَاهَدْتُ فِي الغَابِ قُطْعَانًا مِنَ البَقَرِ ... عُيُونُهَــا كَعُيُــونِ الغِيــدِ فِي الحَــوَرِ

١٣- قال ناصيف اليازجي متغزلًا:

سَرَى فِي ظَـلَامِ اللَّيْـلِ والبَـدْرُ طَـالِعُ ... غَــزَالٌ وبَــرْقُ الأُفْــقِ كَــالثَّغْرِ لَامِــعُ

١٤- وكتب قائلًا:

مَظْلُومَــةُ الوَجْــهِ فِي تَشْــبِيهِهِ قَمَــرًا ... مَظْلُومَــةُ الفَــرْعِ فِي تَشْــبِيهِهِ بِــدُجَى

١٥- قال خليل مطران:

وتَمَايَلَتْ فِي ثَوْبِ خَزٍّ مُورِقٍ غُصْنًا، وهَلْ لِلْغُصْنِ نَضْرَةُ جِسْمِهَا؟

١٦- قال محمود سامي البارودي مفتخرا:

إذا رَاعَتِ الظَّلْمَاءُ غَيْرِي فإنَّمَا هِلَالُ الدُّجَى قَوْسِي وأَنْجُمُهُ نَبْلِي

١٧- قال مصطفىٰ صادق الرافعي يصف فتياتٍ صغارًا رآهنّ، وقد دُعي إلىٰ محفل لإحدىٰ مدارس البنات:

زُهورٌ، ومَا للزَّهْرِ هَذِي المَبَاسِمُ؟ ورَوْضٌ، ومَا للرَّوْضِ هَذِي الحَمَائِمُ؟

أرَى فَتَيَاتٍ كَالغُصُونِ، وإنَّمَا تَنَزَّهْنَ أنْ تُلْوِي بِهِنَّ النَّسَائِمُ

١٨- قال خليل مطران:

أَغَرُّ المُحَيَّا كَالصَّبَاحِ نَقِيُّهُ لَهُ قَامَةٌ كَالرُّمْحِ أوْ هِيَ أَعْدَلُ

١٩- قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

هُوَ البَحْرُ، بَلْ لَا يُشْبِهُ البَحْرُ جُودَهُ وَهَلْ يَسْتَوِي العَذْبُ الفُرَاتُ مَعَ المِلْحِ؟

٢٠- قال الشاعر السوري سليمان الصولة متغزلا:

وَإِنْ شَدَتْ صَاحَ شُحْرُورُ الرُّبَى طَرَبًا لَمْ تَحْكِهَا يَا هَزَارَ الرَّوْضِ فَاقْتَصِرِ



حل التطبيق

المثال	المشبه	المشبه به	نوع التشبيه
١	زفاف الملك	زفاف المأمون	تشبيه تفضيل
٢	الليلة المتحلّية بالكواكب	الحسناء في فرحها	تشبيه مقلوب
٢	نور الملائكة	ضياء الليلة	تشبيه مقلوب
٢	شذا جنان الخلد	عبق الليلة	تشبيه مقلوب
٣	سواد العيون الدعج	حبر الممدوح	تشبيه مقلوب
٤	ميلان الزهور	ميلان العذارىٰ	تشبيه مقلوب
٥	باقة الزهور	ثغر المليحة	تشبيه مقلوب
٦	محمد المويلحي	بديع الزمان الهمذاني	تشبيه تفضيل
٧	السحب	الممدوح	تشبيه مقلوب
٨	العلم	النور	تشبيه تفضيل
٩	الممدوح	الغيث	تشبيه تفضيل
١٠	حديث الشعراء	الجُمان	تشبيه تفضيل
١١	الهلال	بريق الثغر	تشبيه مقلوب
١٢	عيون البقر	عيون الغيد	تشبيه مقلوب
١٣	البرق	الثغر	تشبيه مقلوب
١٤	وجه المتغزَّل بها	القمر	تشبيه تفضيل
١٤	شعرها	الدجىٰ	تشبيه تفضيل
١٥	قَدُّ الفتاة المتغزل بها	الغصن	تشبيه تفضيل

١٦	هلال الدجىٰ	قوسُ الشاعر	تشبيه مقلوب
١٦	نجوم الليل	نِبَال الشاعر	تشبيه مقلوب
١٧	فتيات المدارس	الزهور	تشبيه تفضيل
١٧	فتيات المدارس	الروض	تشبيه تفضيل
١٧	الفتيات أيضا	الغصون	تشبيه تفضيل
١٨	قامة المحبوبة	الرمح	تشبيه تفضيل
١٩	الممدوح	البحر	تشبيه تفضيل
٢٠	هزار الروض	المحبوب	تشبيه مقلوب





تمرين

تعرّف على التشبيه المقلوب، وتشبيه التفضيل في النماذج البلاغية الآتية:

قال الشاعر عبد الحميد الرافعي في مدح الحبيب محمد ﷺ:

وخِضَمٌّ جُودِكَ كُلُّ بَحْرٍ دُونَهُ ... أَوْ هَلْ لِجُودِكَ فِي الوُجُودِ مُضَاهِي؟

قال أمير الشعراء في الهمزية النبوية:

المُصْلِحُونَ أَصَابِعٌ جُمِعَتْ يَدًا ... هِيَ أَنْتَ، بَلْ أَنْتَ اليَدُ البَيْضَاءُ

وقال أحمد شوقي:

ولُقِّبَ بِالبَدْرِ مِنْ حُسْنِهِ ... ومَا البَدْرُ؟ مَا قَدْرُهُ؟ وابْنُ مَنْ؟

قال محمد توفيق علي متغنيًا بجمال مصر والنيل:

يَا ثُغُورَ المِلَاحِ يَمْجُجْنَ خَمْرًا ... يُطْفِئُ الوَجْدَ بَرْدُهَا وَالغَلِيلَا

لَيْسَ فِي خَمْرِكُنَّ مِنْ نِيلِ مِصْرٍ ... مَا يُجَارِي رُضَابَهُ المَعْسُولَا

يَا عُيُونَ الحِسَانِ يَنْفُثْنَ سِحْرًا ... ويُضَلِّلْنَ أَنْفُسًا وَعُقُولَا

لَيْسَ فِي سِحْرِكُنَّ مِنْ حُسْنِ مِصْرٍ ... مَا يُحَاكِي مُرُوجَهَا وَالسُّهُولَا

وقال متغزلًا:

أَنْتَ شِبْهُ الحَبِيبِ يَا بَدْرُ لَوْلَا ... أَنَّهُ فَاقَ فِي ضِيَاءِ الجَبِينِ

وَابْتِسَامَاتِهِ وَعَيْنَيْهِ وَالجِيـ ... ـدِ وَدُرٍّ بِثَغْرِهِ مَكْنُونِ

أَنْتَ شِبْهُ الحَبِيبِ يَا غُصْنُ لَوْلَا ... هُوَ يَمْتَازُ فِي اعْتِدَالٍ وَلِينِ



وَأَرِيـــجٍ وَرَوْنَـــقٍ وَبَهَـــاءٍ وَانْعِطَـــافٍ وَهِـــزَّةٍ وَسُـــكُونِ

قال بطرس كرامة في باقة زهر أهداها له ممدوحه الأمير الشيخ بشير جنبلاط:

وَبَاقَـةِ زَهْـرٍ مِـنْ مَلِيـكٍ مُنِحْتُهَـا مُعَطَّـرَةَ الأَرْوَاحِ مِثْـلَ ثَنَائِـهِ

فَأَبْيَضُـهَا يَحْكِـي جَمِيـعَ خِصَـالِهِ وَأَصْـفَرُهَا يَحْكِـي نُضَـارَ عَطَائِـهِ

وقال فيها أيضًا:

وَبَاقَـةِ زَهْـرٍ مِـنْ أَقَـاحٍ مُنِحْتُهَـا تُشِـيرُ بِأَوْصَـافِ البَشِـيرِ وَبَذْلِـهِ

مُنَوَّعَـةُ الأَلْـوَانِ مَـا بَـيْنَ أَبْـيَضٍ يَلُـوحُ كَأَيَّـامٍ تَسَـامَتْ بِعَدْلِـهِ

وَللهِ مَـا أَبْهَـى سَـنَاهَا فَإِنَّـهُ يُـلأْلِئُ نُـورًا مِثْـلَ إِشْـرَاقِ فَضْـلِهِ

وقال في الوصف:

وَلُؤْلُـؤُ الطَّـلِّ فِي جِيدِ الأَقَـاحِي حَكَـى ثَغْـرَ الحَبِيـبِ إِذَا افْـتَرَّتْ ثَنَايَـاهُ

قال علي الجندي في تهنئة الأميرة فريال ابنة الملك فاروق بمناسبة عيد ميلادها وعيد الفطر معًا:

فريَـالُ أهْـلًا بِالسَّـنَاءِ وبِالسَّـنَا مُتَـأَلِّقَيْنِ كَثَغْـرِكِ المَنْضُـودِ

وقال الجندي في تهنئة الدكتور (طه حسين) حين أسندت إليه إدارة جامعة فاروق:

قَـالُوا لَنَـا: (عَبْـدُ الحَمِيـدِ) فَقَلْـتُ: مَـنْ (عَبْـدُ الحَمِيـدْ)؟[1]

لَـوْلَا جَلَالَـةُ قَـدْرِهِ عِنْـدِي لَقُلْـتُ: (ابْـنُ العَمِيـدْ)

قال الشاعر اللبناني رشيد أيوب:

سَـلُوا البَلَابِـلَ عَـنِّي فِي خَمَائِلِهَـا كَمْ قَلَّدَتْ فِي الهَوَى نَوْحِي وَتَغْرِيدِي

(١) يقصد عبد الحميد الكاتب الأمويّ المشهور.

وقال رشيد أيوب:

أُحِبُّ الشِّتَاءَ لِأَنَّ لَهُ ضَبَابًا كَهَمِّي ثِقِيلًا كَثِيفَا

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل):

لِلْمَهَا مِنْكِ نَظْرَةٌ وَالْتِفَاتُ وَبِبَدْرِ السَّمَاءِ مِنْكِ سِمَاتُ

وَلِوَرْدِ الرِّيَاضِ مِنْكِ ابْتِهَاجُ رَسَمَتْهُ الخُدُودُ وَالوَجَنَاتُ

وقال مادحًا:

غَالَيْتُ فِي مَدْحِ السَّحَابَةِ إِنْ أَقُلْ هِيَ فِي النَّدَى وَيَمِينُهُ سِيَّانِ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلًا:

رِيمٌ لَآلِئُ نَحْرِهَا تَحْكِي لَآ لِئَ ثَغْرِهَا اللَّائِي حَكَتْ أَلْفَاظَهَا

وقال مادحًا:

ذُو رَاحَةٍ حَاكَى الحَيَا جُودَهَا وَالفَضْلُ لِلْمَحْكِيِّ لَا الحَاكِي

وقال أيضًا:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنْ شَبَّهْتُ أَنْمُلَهُ بِالقَطْرِ مُنْسَجِمًا وَالبَحْرِ مُلْتَطِمَا

قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

يَدْعُونَهَا نُورَ الصَّبَاحِ سَفَاهَةً أَرَأَيْتَ صُبْحًا نُورُهُ لَا يَغْرُبُ؟

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

تَوَهَّمَ أَنَّ الغُصْنَ يَحْكِيهِ عَاذِلِي وَمِنْ أَيْنَ لِلْغُصْنِ النَّضِيرِ تَمَايُلُهْ؟

قال خليل الخوري:

مَا الوَرْدُ فِي الإِصْبَاحِ كَلَّلَهُ النَّدَى تِلْقَاءَ خَدِّكِ إِذْ تَوَقَّدَ أَحْمَرَا؟

رِفْقًا بِزَهْرِ اليَاسَمِينِ فَإِنَّهُ بَعْدَ البَيَاضِ بَدَا بِكَفِّكِ أَصْفَرَا

قال علي الجارم متغزلًا:

إنْ يَسْطَعِ الصُّبْحُ قُلْنَا: الصُّبْحُ أَشْبَهَهَا أوْ يَسْطَعِ المِسْكُ قُلْنَا: المِسْكُ حَاكَاهَا

قال خليل مطران:

شَاكٍ إلَى البَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الهَوْجَاءِ

ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ

يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِي ويَفُتُّهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي

والبَحْرُ خَفَّاقُ الجَوَانِبِ ضَائِقٌ كَمَدًا كَصَدْرِي سَاعَةَ الإِمْسَاءِ

وقال خليل مطران متغزلًا بفتاة تدعىٰ زُمُرُّدَة:

شَبَّهْتِ نَفْسَكِ بِالزُّمُرُّدِ فَازْدَهِي بَيْنَ الحُلِيِّ بِأَنَّهُ حَاكَاكِ

فِيهِ مَخَايِلُ مِنْ سَنَاكِ بَعِيدَةٌ فَإِذَا دَنَوْتِ فَمَنْ لَهُ بِسَنَاكِ؟

وقال مطران في وصف قصائده:

أَلْفَاظُهَا كَالدُّرِّ أَوْ دُونَهَا مَوَاقِعُ الدُّرِّ إذَا سُلْسِلَا

قال بشارة الخوري:

وأَشْرَقَ البَدْرُ يَهْوِي نَحْوَ مَغْرِبِهِ حَتَّى أَتَى الضِّفَّةَ الأُخْرَى وحَاذَاهَا

وقَدْ تَحَدَّبَ فَوْقَ البَحْرِ يَفْحَصُهُ كَغَادَةٍ وَهْيَ تَلْهُو ضَاعَ قُرْطَاهَا

قال إيليا أبو ماضي في وصف الليل:

وكَأَنَّ أَنْجُمَهُ وقَدْ سَطَعَتْ دَمْعُ الدَّلَالِ ونَاصِعُ الدُّرِّ

والبَدْرُ أَسْفَرَ رَغْمَ شَامِخَةٍ قَدْ حَاوَلَتْ تَطْوِيهِ كَالسِّرِّ

أَلْقَى أشِعَّتَهُ فَكَانَ لَهَا لَوْنُ اللُّجَيْنِ ولُؤْلُؤُ الثَّغْرِ

فَكَأَنَّهُ الحَسْنَاءُ طَالِعَةً مِنْ خِدْرِهَا أَوْ دُمْيَةُ القَصْرِ

وقال أبو ماضي في الغزل:

ولَهَا قَوَامٌ لَوْ أشُبِّهُهُ ... بِالغُصْنِ بَاءَ الغُصْنُ بِالفَخْرِ

وقال أبو ماضي:

وإذَا فَتًى كَالفَجْرِ طَلْعَتُهُ ... بَلْ رُبَّمَا أرْبَى عَلَى الفَجْرِ

وَافَى إلَيْهَا قَائِلًا عَجَبًا: ... مِمَّ البُكَاءُ شَقِيقَةَ البَدْرِ؟

وقال أبو ماضي أيضًا:

وأَطَارَ عَنْ جَفْنِي الكَرَى وأَطَارَنِي ... عَنْ مَرْقَدِي مَشْيُ الهُمُومِ بِمَرْقَدِي

فِي جُنْحِ لَيْلٍ مِثْلَ حِظِّي حَالِكٍ ... كَالبَحْرِ سَاجٍ.. مُقْفِرٍ كَالفَدْفَدِ

والبَدْرُ مُنْبَعِثُ الشُّعَاعِ لَطِيفُهُ ... صَافٍ كَذِهْنِ الشَّاعِرِ المُتَوَقِّدِ

قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون:

وإذَا مَا النُّجُومُ أَبْدَتْ سَنَاهَا ... خِلْتُهُ سِحْرَ نُورِكَ الوَقَّادِ

قال شاعر الجزائر محمد جربوعة متغزلًا:

مَطَرٌ كَشَوْقِي.. بَلْ أقَلُّ بِحَبَّةٍ ... مَطَرٌ كَصَوْتِكِ، لَا فَصَوْتُكِ أجْمَلُ

قال ناصيف اليازجي:

إذَا قُلْتُ السَّحَابُ كَرَاحَتَيْهِ ... فَقَدْ شَبَّهتُ بِالشَّمْسِ الهِلالا

قال محمود سامي البارودي يصف أيام الربيع:

كَأَنَّ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ ... تَجُولُ بِخَدٍّ أَوْ جُمَانٌ عَلَى تِبْرِ

وقال سامي في وصف الربيع:

هُوَ فَصْلٌ تَخْتَالُ فِيهِ غُصُونُ الـ ... رَّوْضِ فِي حِلْيَةٍ مِنَ الأَزْهَارِ

مَائِسَاتٍ مِثْلَ العَذَارَى عَلَيْهِـ ... ـنَّ ثِيَابٌ دُرِّيَّةُ الأَزْرَارِ

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة متغزلًا:

أَصْبُو إِلَى لَيْلِ الوِصَالِ، ونَوْمُنَا ... مِثْلَ السَّعَادَةِ والوَفَاءِ قَلِيلُ

ونُجُومُهُ فِي مُقْلَتَيْكِ ضِيَاؤُهَا ... والقَلْبُ عِنْدَكِ مُهْتَدٍ وضَلِيلُ

وهِلَالُهُ الهَاوِي كَخِصْرِكِ نَاحِلٌ ... وصَبَاحُهُ مِثْلُ الحَيَاةِ جَمِيلُ

قال حافظ إبراهيم في بعض إخوانيَّاته:

أحِنُّ لَهُمْ ودُونَهُمُ فَلَاةٌ ... كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الحَلِيمِ

كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبٍّ ... قَدِ الْتَهَبَتْ مِنَ الوَجْدِ الأَلِيمِ

ولحافظ إبراهيم في وصف قصور لبنان:

قُصُورٌ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ ... خُدُورُ الغَوَانِي بِأَدْوَارِهَا

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

وأَرَى النَّدَى فِي الوَرْدِ مُنْحَدِرًا ... كَالدَّمْعِ فَوْقَ خُدُودِهَا يَجْرِي

قال معروف الرصافي:

أمَّا النَّسِيمُ فَقَدْ جَرَى مُتَعَطِّرًا ... وحَكَى بِطِيبِ هُبُوبِهِ الآمَالَا

قال نزار قباني:

أَنَا جُرْحٌ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيهِ ... وخُيُولِي قَدْ هَدَّهَا الإِعْيَاءُ

فَجِرَاحُ الحُسَيْنِ بَعْضُ جِرَاحِي ... وبِصَدْرِي مِنَ الأَسَى كَرْبَلَاءُ



التشبيه الدّائري (الاسْتِطْرَادي)

تعريفه: هُوَ تَشْبِيهٌ يَبْدَأُ غَالِبًا بـ «مَا»، ويَنْتَهِي عَلَىٰ الأَغْلَبِ بـ «البَاء» الدَّاخِلَةِ عَلَىٰ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ التَّفْضِيل، وقَدْ يَنْتَهِي بِاسْمِ التَّفْضِيل مُجَرَّدًا مِنَ البَاء، ونَادِرًا مَا يَنْتَهِي بِغَيْرِ اسْمِ التَّفْضِيل. وبَيْنَ فَاتِحَةِ هَذَا التَّشْبِيهِ وخَاتِمَتِهِ يَكُونُ المُشَبَّهُ بِهِ مُطَوَّلًا، حَيْثُ يَطْرُقُ فِيهِ الأَدِيبُ غَيْرَ مَعْنًىٰ، ويَرْسُمُ غَيْرَ صُورَة، إِلَىٰ أَنْ يَسْتَدِيرَ الأَدِيبُ فَنِّيًا، فَيُفَضِّلُ المُشَبَّهَ عَلَىٰ المُشَبَّهِ بِه، رَغْمَ كُلِّ الاسْتِطْرَادِ والاسْتِرْسَالِ والوَصْفِ العَظِيمِ الَّذِي وَصَفَ بِهِ المُشَبَّهَ بِه. إِذَنْ فَالتَّشْبِيهُ الاسْتِطْرَادِي تَفْصِيلٌ ثُمَّ تَفْضِيل، «وتَكْمُنُ قِيمَةُ التَّشْبِيهِ الدَّائِرِي فِي طُولِ نَفَسِه، واتِّسَاعِ عِبَارَاتِه، حَيْثُ يَتْرُكُ الشَّاعِرُ المُشَبَّه، لِيَسْتَرْسِلَ، ويَسْتَطْرِدَ فِي تَفْصِيلِ أَجْزَاءِ المُشَبَّهِ بِه، والإِحَاطَةِ بِمَنَاحِي الجَمَالِ، والعَظَمَةِ فِيه، لِيَكُونَ فِي تَفْضِيلِ المُشَبَّهِ فِي الأَخِيرِ إِغْرَاقٌ فِي التَّعْظِيمِ والمُفَاضَلَة»[1].

شواهد التشبيه الدائري:

قال حافظ إبراهيم:

فَمَــا مُطَوَّقَــةٌ قَــدْ نَالَهَــا شَــرَكٌ ... عِنْـدَ الغُـرُوبِ إِلَيْـهِ سَـاقَهَا القَـدَرُ

بَاتَــت تُجَاهِــدُ هَمًّــا وهــيَ آيِسَــةٌ ... مِـنَ النَّجَـاةِ وجُـنْحُ اللَّيْـلِ مُعْتَكِـرُ

وبَــاتَ زُغْلُولُهَــا فِي وَكْرِهَــا فَزِعًــا ... مُرَوَّعًــا لِرُجُــوعِ الأُمِّ يَنْتَظِــرُ

يُحَفِّــزُ الخَــوْفُ أَحْشَــاهُ وتُزْعِجُــهُ ... إِذَا سَـرَتْ نَسْـمَةٌ أَوْ وَسْـوَسَ الشَّـجَرُ

مِــنِّي بِأَسْــوَأَ حَــالًا حِــينَ قَــاطَعَنِي ... هَــذَا الصَّــدِيقُ فَهَــلَّا كَــانَ يَــدَّكِرُ

(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ١٨٠).



أراد حافظ أن يصف حزنه الجليل، يوم خاصمه الخليل، فلم يجد أفضل من الحمامة تقوم مقام المشبه به، فقام بتجنيد كل طاقاته الشعريّة، وفتح كلّ نوافذ الخيال، وبدأ في حياكة قصة حمامةٍ تقع في شباك صيّادٍ ساعة الغروب، وهي تحاول جاهدةً النجاةَ والهروب، وشيئًا فشيئًا يبدأ اليأس يتسرّب إليها، والليل قد طفق يسدل ستاره علىٰ الغابة، فتتعاظم مصيبتها إذْ تذكر أنها خلّفت وراءها في الوكر فرخا لا قوة له، ينتظر في العشّ أوبة أمه، تحمل معها الحَبَّ والحُبّ، ولكنّ الأم لا تأتي، فيقع الفرخ فريسة الخوف والهلع علىٰ مصير أمه، ومصيره، ويستيقن في النهاية من دنوّ أجله، ويأس عمله. كلُّ هذا الحزن، وتلك المأساة لم تكن شيئًا مذكورًا حين تُقارن بحزن الشاعر لمّا جفاه صديقه، وأعرض عنه رفيقه.

نقول: لقد استطرد الشاعر، وبالغ في وصف المشبه به، فقط من أجل أن يدُور فنّيا، ويجعل المشبه أعظم في صفة الحزن من المشبه به في حال اكتمال حزنه، وقد استعمل حافظُ الواسطة الفنيّة (فما - بأسوأ).

واقرأ معي قول صادق الرافعي (دون الابتداء بالنفي):

يَا ظُلْمَةَ المَوْجِ يَطْغَى البَحْرُ مُنْتَفِضًا	بِهَا كَأنْ جَبَلٌ فِي البَحْرِ يُقْتَلَعُ
تُظَنُّ زَلْزَلَةٌ فِي المَاءِ قَدْ جَلَسَتْ	أوْ لا، فَزَوْبَعَةٌ فِي المَاءِ تَضْطَجِعُ
تَقَلْقَلَتْ، فَاسْتَطارَتْ، فَانْثَنَتْ، فَهَوَتْ	فَأطْبَقتْ، فَارْتَمتْ، كَالرُّعْبِ تَنْدَفِعُ
عَلَى غَرِيقٍ بِحَبْلِ المَاءِ مُعْتَصِمٍ	والحَبْلُ فِي لَمَسَاتِ الكَفِّ يَنْقَطِعُ
لَهُ بَقِيَّةُ رُوحٍ فِي أَصَابِعِهِ	يُنَازِعُ المَوْتَ فِيهَا وهْيَ تُنْتَزَعُ
بَيْنَ الحَيَاةِ وبَيْنَ المَوْتِ مُرْتَكِسٌ	يَقِيئُهُ البَحْرُ أطْوَارًا ويَبْتَلِعُ
أذَاكَ أَعْظَمُ هَؤلاءِ فِي فَجِيعَتِهِ	أمِ المُحِبُّونَ فِي أحْبَابِهِمْ فُجِعُوا؟

أراد الرافعي أن يصوّر أَلَمَ المحبِّين يوم البَيْن، فأبحر في عالم خياله، لدرجة استنفاد مخزونه الخياليّ، فاختار قصة هذا الغريق:

في هذا اليوم ينتفض البحرُ ويثور، وتتحرك أمواجه وتَمُور، فكأنه النفخ في الصُّور، أو كأنّ ماردًا أسطوريًا طلع من الأعماق، فخيّم السّحابُ الأسودُ في الآفاق، ويزمجرُ البحر، سالًّا سيف النَّحر، وتقوم للبحر قيامتُه، ويُزلزَل زلزالُه، وتُدكُّ جبالُه، فكأنّ قذيفة في أحشائه استقرّت، وبعد حين انفجرت، فيتطاير الماء ويندفع، زارعًا الرعب والهلع، وهذا المسكين تحت رحمة الأمواج، وسطوة العَجَاج، فيكشر الموت عن أنيابِه، قاطعًا بها حبل الرجاء وأسبابِه، فيمسي المسكين بين مدّ الحياة، وجزر الممات، يصارع الحِمام وهو يصرعُه، والبحر تارة يقيئه وطورًا يبلعُه.

هنا يستوقفك الشاعر ويسألك: هل تخيّلت معي هذا الكرب العظيم؟ وهذا الموت الأليم؟ إنّ كلّ تلك الواقعة، ليست أكثر فاجعة، من أَلَمِ المحبِّين يوم جَزِعوا، وفي أحبابهم فُجِعوا.

واتلُ معي قول الرافعي ثانية:

تَــاللهِ مَــا الــوَرْدَةُ قَــدْ أَصْــبَحَتْ ... تَرْشُــفُ مِــنْ رِيــقِ السَّــمَاءِ النَّــدِي

واخْتَبَــأَتْ مَــا بَــيْنَ أَوْرَاقِهَــا ... رِيــحٌ كَــنَفْحِ الــزَّمَنِ الأَرْغَــدِ

ومَــا العُيُــونُ النُّجْــلُ قَــدْ كُحِّلَــتْ ... مِــنْ إِثْمِــدِ الحُسْــنِ بِــلا مِــرْوَدِ

وانْبَعَثَــتْ مَــا بَــيْنَ أَجْفَانِهَــا ... أَسْــرَارُ حَــدِّ الصَّــارِمِ المُغْمَــدِ

ولا شِــفَاهُ الغِيــدِ قَــدْ أَطْبَقَــتْ ... عَلَــى ابْتِسَــامٍ كَــانَ عَــنْ مَوْعِــدِ

واحْتَــبَسَ الوَجْــدُ بِهَــا قُبْلَــةً ... لَــوْلا الحَيَــا قَــدْ نَالَهَــا المُجْتَــدِي

مَــا كُــلُّ ذَا مُشْــبِهُ قَلْــبِي، ومَــا ... أَطْهَــرَ مَــا فِي القَلْــبِ مِــنْ مَقْصِــدِ!

في هذه المرة أراد الشاعر أن يعظّم من شأن المشبه به قبل أن ينعطف عنه دائريًا، ويفضل المشبه، لكنه اختار أن يكثّر من أعداد المشبه به، فوضع حفنة من المشبهات بها في كفة، ووضع المشبه في الأخير في الكفة الرّاجحة في ميزان التفضيل.

وقد يقتصر الشاعر في التشبيه الدائري علىٰ ثلاثة أبيات، مثل قول إيليا أبي ماضي:

مَا طَائِرٌ كَانَ فِي بَيْدَاءَ مُوحِشَةٍ فَسَاقَهُ قَدَرٌ نَحْوَ البَسَاتِينِ

فَبَاتَ تُسْعِدُهُ فِيهَا بَلَابِلُهَا حِينًا، ويُسْعِدُهَا بَعْضَ الأَحَايِينِ

مِنِّي بِأَسْعَدَ حَظًّا مُذْ نَزَلْتُ بِكُمْ يَا مَعْشَرَ السَّادَةِ الغُرِّ المَيَامِينِ

وقد يقتصر علىٰ بيتين اثنين فقط، كقول شاعر المهجر أبو الفضل الوليد:

فَمَا قَطَرَاتُ الطَّلِّ فِي كَأْسِ وَرْدَةٍ يُقَبِّلُهَا طَيْفُ النَّسِيمِ وَيَنْسَلُّ

بِأجْمَلَ مِنْ أسْنَانِكِ البِيضِ فِي فَمٍ يَكَادُ إذَا مَا افْتَرَّ يَمْتَصُّهُ النَّحْلُ

ومنه قول محمد توفيق علي في وصف شاعرة:

وَمَا زَهَرَاتُ اليَاسَمِينِ نَوَادِيًا لَهَا أَرَجٌ يُحْيِي القُلُوبَ لَطِيفُ

بِأَذْكَى وَأَبْهَى مَنْظَرًا مِنْ بَنَانِهَا لَهُنَّ عَلَى أَوْرَاقِهِنَّ رَفِيفُ

ومنه قول الشاعر العراقي حيدر الحلي:

مَا النَّسِيمُ الغَضُّ يَسْرِي سَحَرًا مُنْعِشًا فِي بُرْدِ رَيَّاهُ القُلُوبَا

لَكَ أَذْكَى مِنْ سَجَايَاهُ شَذًا فَانْتَشِقْ زَهْرَ المَعَالِي مُسْتَطِيبَا

ومنه قول حافظ إبراهيم في وصف قوة الأسطول العثماني:

مَا نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أبْرَاجِهَا إثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرَامَى

مِنْ مَرَامِيهَا بِأنْكَى مَوْقِعًا لَا، ولَا أقْوَى مِرَاسًا وعُرَامَا



تمـرين

دُلَّ علىٰ التشبيه الاستطرادي، واشرحه مبيّنًا الواسطة الفنية:

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «مَا عَذَّبَ اللهُ عِبَادَهُ بِنَازِلَةِ القَضَاء، وصَاعِقَةِ العَذَاب، وطَاغِيَةِ الطُّوفَان، والزِّلْزَالِ الأَكْبَر، والمَوْتِ الأَحْمَر، والخَوْفِ مِنَ الجُوع، والنَّقْصِ فِي الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ والثَّمَرَات، بِمِثْلِ مَا عَذَّبَهُمْ بِالأَمَلِ البَاطِل، ومَا لَيْلَةٌ، ضَرِيرٌ نَجْمُهَا، حَالِكٌ ظَلَامُهَا، يَبِيتُ مِنْهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ مِثْلِ قَلْبِ الظَّبْي خِيفَةً، فَوْقَ أَرْض، تَحُومُ عِقْبَانُهَا، وتَزْأَرُ سِبَاعُهَا، وتَعْوِي ذِئَابُها، وتَحْتَ سَمَاءٍ تَتَهَاوَىٰ نُجُومُهَا، وتَتَوَالَىٰ رُجُومُهَا، وتَتَرَاكَمُ غُيُومُهَا، بِأَسْوَأَ فِي نَفْسِهِ أَثَرًا مِنْ رَجَاءٍ كَاذِب، يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنْبَيْه.»

وللمنفلوطي أيضًا: «لَيْسَ جَمَاعَةُ المُتَسَوِّلِينَ الذين يَضْرِبُونَ في الأَرْضِ وَرَاءَ لُقْمَة، أَوْ خِرْقَة، يَتَّقُونَ بِهَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاء، ولَيْسَ البُؤَسَاءُ الَّذِين يَحْرِقُونَ فَحْمَةَ اللَّيْل، بُكَاءً ونَحِيبًا علىٰ صِغَارٍ، كَفِرَاخِ القَطَا، يَتَلَوَّوْنَ في مَضَاجِعِهِمْ مِنَ الجُوع، مِثْلَ الأَفَاعِي المُضْطَرِبَة، فَوْقَ الرِّمَالِ المُلْتَهِبَة، وتَحْتَ الشَّمْسِ المُحْرِقَة، أَسْوَأَ حَالًا، ولَا أَنْكَدَ عَيْشًا، ولَا أَعْظَمَ شَقَاءً، مِنَ هَؤُلَاءِ الفُقَرَاء، الَّذِين يُسَمِّيهِم النَّاسُ أَغْنِيَاء».

قال الشاعرُ والأديب العراقي حيدر الحلي في تقريظ كتاب: «فَمَا (دُمْيَةُ القَصْرِ) بَيْنَ الأَتْرَاب، تُنْشِدُ الأَغَانِيَ فِي مَنَازِلِ الأَحْبَاب، وَتُعَاطِي نُدَامَاهَا السُّلَافَةَ مَمْزُوجَةً بِالغَيْثِ الَّذِي انْسَجَم، مَشْفُوعَةً لَهُمْ بِمُسْتَطْرَفِ النِّعَم، وَلَا (يَتِيمَةُ

الدَّهْرِ) مَجْلُوَّةً فِي المَعَاهِد، حَالِيَةً بِدُرَرِ القَلَائِد، وَغُرَرِ الفَرَائِد، بِأَزْهَىٰ مِنْ أَوَانِسِ فِقَرِه، وَأَبْهَىٰ مِنْ عَرَائِسِ أَشْطُرِه».

قال محمود غنيم في تهنئة وزير المعارف نجيب باشا الهلالي، وعرض قضية المعلمين:

أَقْسَمْتُ مَا الرَّوْضُ الخَصِيبُ ... يَهْفُو بِهِ الغُصْنُ الرَّطِيبُ
لِلْأَنْفِ وَالعَيْنَيْنِ مِنْ ... أَزْهَارِهِ طَيْفٌ وَطِيبُ
الطَّيْرُ تَهْتِفُ فِيهِ وَال ... غُدْرَانُ فِي هَمْسٍ تُجِيبُ
وَالبَدْرُ لَاحَ كَغُرَّةِ ال ... مَحْبُوبِ أَخْطَأَهُ الرَّقِيبُ
بِأَحَبَّ مِنْ نَادٍ يُزَيِّ ... نُهُ بِطَلْعَتِهِ (نَجِيبُ)

قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

مَا ظَبْيَةٌ فَارَقَهَا رِيمُهَا ... وَرَاعَهَا فِي اللَّيْلِ رَامٍ لَئِيمْ
وَلَا أَسِيرٌ فِي يَدَيْ كَافِرٍ ... لَمْ يَلْقَ مِنْ فَادٍ لَهُ أَوْ حَمِيمْ
أَقَلَّ صَبْرًا مِنْ فَتَاكَ الَّذِي ... أَقْصَاهُ عَنْ رَيَّاكَ دَهْرٌ ذَمِيمْ

قال معروف الرصافي مخاطبًا أبناء وطنه:

وَمَا ثَلَّةٌ[1] قَدْ أَهْمَلَتْهَا رُعَاتُهَا ... بِمَأْسَدَةٍ جَاءَتْ لِعَشْرٍ أُسُودُهَا
فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاحَهَا ... فَرَائِسَ بَيْنَ الضَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا
بِأَضْيَعَ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ ... يَذُبُّ الرَّزَايَا عَنْكُمُ وَيَذُودُهَا

قال إبراهيم طوقان في الغزل:

مَا رَوْنَقُ الفَجْرِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ ... إِذَا تَنَفَّسَ نُورًا فِي حَنَايَاهَا

---

(١) ثَلَّةٌ: بفتح الثاء قطيع كبير من الأغنام.

فَهَبَّتِ الطَّيْرُ تَدْعُو الطَّيْرَ مُرْسِلَةً ... مِنَ الأَغَارِيدِ أَحْلَاهَا وأَشْجَاهَا

ولا الوُرُودُ كَأَمْثَالِ الخُدُودِ وقَدْ ... تَفَتَّحَتْ فِي الرِّيَاضِ الفِيحِ تَغْشَاهَا

كلاّ ولا قَطَرَاتُ الطَّلِّ كَامِنَة ... فِي الأَقْحُوَانِ وأُمُّ الشَّهْدِ تَرْعَاهَا

يَوْمًا بِأَجْمَلَ مِنْ مَيٍّ إذا ابتَسَمَتْ ... تَحْتَ النِّقَابِ ولاحَتْ لِي ثَنَايَاهَا

قال إيليا أبو ماضي:

فَمَا دِيمَةٌ صَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ مَاءَهَا ... فَمَا أَنْبَتَتْ زَهْرًا ولَا أَطْلَعَتْ بَقْلَا

بِأَضْيَعَ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ عَلَى امْرِئٍ ... إذَا اسْتَطْعَمَتْهُ النَّفْسُ أَطْعَمَهَا العَذلَا

قال حافظ إبراهيم:

مَا البَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِزَاجِهَا ... والشُّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وسِبَاقِ

والشَّمْسُ تَبْدُو فِي الكُؤوسِ وتَخْتَفِي ... والبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي

بِأَلَذَّ مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ ... قَدْ مَازَجَتْهُ سَلَامَةُ الأَذْوَاقِ

وقال حافظ في الأديب والشاعر الفرنسي فكتور هوغو:

مَا ثُغُورُ الزَّهْرِ فِي أَكْمَامِهَا ... ضَاحِكَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحُبِ

نَظَمَ الوَسْمِيُّ فِيهَا لُؤْلُؤًا ... كَثَنَايَا الغِيدِ أَوْ كَالحَبَبِ [١]

عِنْدَ مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنْظَرًا ... مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي

---

(١) الوسميّ: مطر أول الربيع. والحبب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر.

بَلاغَةُ التَّشْبيه

يمثّلُ التشبيه الرّكن الأساسيّ في صناعة الشعر العربي عبر العصور، «وإذا كان علم البيان جوهر البلاغة العربية وميدان الإبداع في تصوير الجمال بمختلف أشكاله ووجوهه، فإن التشبيه هو الجسر الوطيد والبنيان المشيد لذلك الميدان، من دونه ينحسر الأداء التصويري الجميل، لا بل تتعثر مسيرة الأدب نحو مشارف المتعة الفنية»(١).

وقد اتفق علماء البلاغة علىٰ شرف قدره، وفخامة أمره، فهو يلبس المعاني جمالا، ويزيدها كمالا، وهو ميدان فسيح، تتبارىٰ فيه قرائح البلغاء والشعراء، والتشبيه يدلّ علىٰ خصب الخيال، وسُمُوِّه، وسعته، وعُمقه، كما يُظْهِرُ كذلك مدىٰ القدرة علىٰ تمثيل المعاني، والتعبير عنها في صُور خلاّبة رائعة.

«وقد أجمع علماء البلاغة علىٰ بيان منزلة التشبيه، وما له من أثر في رفع شأن الكلام، وخلع أشعة البهاء عليه، وإلباسه روْعَ الإعجاب، وتمهيد طريق معبدة له في ثنايا النفوس، وفتح باب القبول أمامه في أطواء الصدور، هذا إلىٰ خلابة البيان التي تنبعث منه انبعاث أشعة السحر والفتون من العيون النجل، فتفعل فعلها العجيب بالقلوب، فتصرّفها كما تشاء بسطا وقبضا، ورغبة ورهبة، وتقودها إلىٰ ما تهوىٰ بزمام سلس وعنان ليّن»(٢).

يقول الجرجاني: «إذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني كَسَاهَا أبّهةً، فأكسبها

---

(١) الدكتور ياسين الأيوبي في شرح ديوان الرافعي (ص ٣٤).
(٢) فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول (ص ٤٨).

منقبةً، ورَفَعَ مِنْ أقدارها، وشبَّ مِنْ نارها، وضاعفَ مِنْ قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوبَ إليها، واستثار لها مِنْ أقاصي الأفئدة صبابة وكُلْفا، وقسَرَ الطِّباع علىٰ أنْ تعطيها محبة وشغفًا، فإنْ كان مدحًا كان أبْهىٰ وأفْخم، وأنْبل في النفوس وأعْظم، وأجْلب للفرح، وأغْلب علىٰ الممتدح، وإنْ كان ذمًّا كان مسُّه أوْجع، وميسِمُهُ ألْذع، ووقعُهُ أشدّ، وحدُّهُ أحدّ، وإنْ كان حجاجًا كان برهانُه أنْور، وسلطانُه أقْهر، وبيانُه أبْهر، وإنْ كان افتخارا كان شأنه أبْعد، وشرفُه أجدّ، ولسانُه ألدّ، وإنْ كان اعتذارًا كان إلىٰ القبول أقْرب، وللقلوب أخْلب، وإنْ كان وعظا كان أشْفىٰ للصدر، وأدْعىٰ إلىٰ الفكر، وأبْلغ في التنبيه والزّجر، وأجدْر بأنْ يُبرئ العليل، ويشفي الغليل»[١].

ولو لم يكن التشبيه سقف البلاغة، ومنتهىٰ البيان الفنيّ لما تفنَّنَ الشعراء في صُوَره وألوانه، وتنافس أربابُ المواهب في طرق تناوله، والإتيان فيه بكل غريب، وبديع وطريف. «وللتشبيه الغريب في النفس وقع شاج يتغلغل إلىٰ قرارتها، ويهز أعماق أوتارها، ويلمس مكان الطرب والاستحسان منها، لأنه هبط عليها من أفق عال، لا تستطيع أن ترتفع إليه بقوتها الذاتية، وأطل عليها من نافذة سحرية لم تكن تترقب أن تطالعه منها»[٢].

وإذا ما ذكرنا التشبيه البليغ نقول إنه من مراتب التشبيه أرفعها، ومن ضروبه أبلغها، «ويرجع أهل الرمز حذف أحرف التشبيه إلىٰ قانون الصفاء في الشعر، بحيث يمتزج المشبه بالمشبه به ويتّحدان، فيستحيل كل منهما إلىٰ الآخر، ولمّا كان المشبه به أجلّ وأدقّ، وكان مشتملًا علىٰ مزايا شعرية أرحب من مزايا المشبه بلغَ الشعرُ بذلك غايته، أي بإسقاط أحرف التشبيه، وجعل المشبه

(١) أسرار البلاغة للجرجاني (ص ٩٣).
(٢) فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني (ص ١٦٠).



نفس المشبه به، فالشيء يصبح شيئًا شبيها بنفسه، ولكنه غير نفسه»(١).

وكثيرًا ما يقع التشبيه متصلًا بمحسن بديعي فيزداد جمالًا وكمالًا، وتعلو قيمته، وتثبت رفعته، «وهذا أمر طبيعي فإن انضمام شيء حسن إلىٰ حسن مثله يضاعف روعتهما وبهاءهما، ويولد من اتصالهما مزايا جديدة لم تكن لأحدهما منفردًا قبل هذا الازدواج»(٢).

ومن هذه المحسنات البديعية نذكر:

الجناس: كقول الشاعر القروي في المدح:

مَا قَطُّ كَلَّمَهُمْ إلَّا وَكَلَّمَهُمْ كَأَنَّ أَلْفَاظَهُ مِنْ حَدِّ صَمْصَامِ

ومنه في الجناس غير التام قول حافظ إبراهيم في غلاء الأسعار:

وغَدَا القُوتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَاليَا قُوتِ حَتَّى نَوَى الفَقِيرُ الصِّيَامَا

الطباق: كقول الشاعر القروي:

أَبْكِي وأَضْحَكُ لِلْعَذَابِ كَمُرْضِعٍ شَدَّ الوَلِيدُ بِشَعْرِهَا المُسْتَرْسِلِ

المقابلة: كقول حافظ إبراهيم:

العِلْمُ فِي البَأْسَاءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ والجَهْلُ فِي النُّعْمَاءِ سَوْطُ عَذَابِ

حسن التعليل: كقول إيليا أبي ماضي:

فَضَرَّجَ خَدَّيْهَا احْمِرَارٌ كَأَنَّمَا تَصَاعَدَ مِنْ قَلْبِي إِلَى خَدِّها الوَجْدُ

الترصيع: كقول بطرس كرامة:

سِحْرٌ قَصَائِدُهُ، دُرٌّ فَرَائِدُهُ بَحْرٌ مَحَامِدُهُ، يُعْيِيكَ إحْصَاهَا

---

(١) فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني (ص ٢٨٨).

(٢) فن التشبيه الجزء الثالث (ص ٦٥).

التورية: كقول علي الجارم في رثاء أحد أصدقائه:

نَظَمَ الدُّمُوعَ فُكُنَّ بَحْرًا كَامِلًا وأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلَاتِهِ

اللف والنشر: كقول ناصيف اليازجي:

وَأَنْتَ غَوْثٌ وَغَيْثٌ فِي رَدًى وَنَدًى لِخَائِفٍ وَلِرَاجٍ لَاذَ وَانْتَجَعَا

تجاهل العارف: كقول إسماعيل صبري:

أغُرَّتُكَ الغَرَّاءُ أَمْ طَلْعَةُ البَدْرِ وقَامَتُكَ الهَيْفَاءُ أَمْ عَادِلُ السُّمْرِ؟

وشَعْرُكَ أَمْ لَيْلٌ تَرَاخَتْ سُدُولُهُ وثَغْرُكَ أَمْ عِقْدٌ تَنَظَّمَ مِنْ دُرٍّ؟

مُحَيَّاكَ لَمَّا تَبَدَّى يَا بَدْرُ رَوْضَةٌ تَسَلْسَلَ فِيهِ دَمْعُ عَيْنِيَ كَالنَّهْرِ

رد العجز على الصدر: كقول خليل مطران:

وَعَيْنَانِ كَالنَّجْمَيْنِ فِي حَلَكَ الدُّجَى هُمَا نِعْمَةُ الدُّنْيَا وَشَقْوَتُهَا هُمَا

تشابه الأطراف: مثل الشاعر محمد جربوعة في قصيدة (برقية إلىٰ كعب بن زهير):

فَاقْرَأْ عَلَيْهِ فَسَوْفَ يَرْضَى قَلْبُهُ قَلْبُ النَّبِيِّ كَفُلَّةِ الفَجْرِ النَّدِي

تأكيد المدح بما يشبه الذم: كقول الشاعر اللبناني عمر الأنسي في وصف كرم الممدوح، وفيه جناس أيضًا:

شَمَائِلُ أذْكَى مِنْ شَذَا شَمْألِ الصَّبَا هِيَ النَّدُّ لَكِنْ صَانَهَا اللهُ عَنْ نِدِّ

الجمع: كقول قال نزار قباني:

أَيْنَ اللَّوَاتِي حُبُّهُنَّ عِبَادَةٌ وغِيَابُهُنَّ وقُرْبُهُنَّ عَذَابُ؟

التفريق: كقول الشاعر المصري علي الجندي في الأميرة (سميحة حسين)، وقد تبرّعتْ بجملة من حليّها النفيس لجمعية الهلال الأحمر المصري:

لَقَـدْ شَـبَّهُوكِ بِنِيـلِ الـبِلَادِ وأَيْـنَ السَّـرَابُ مِـنَ الأبْحُـرِ؟

تَبَارَيْتُمَـا، فَسَـخَا بِالمِيَـاهِ وبِالـدُّرِّ جُـدْتِ وبِـالجَوْهَرِ

التقسيم: كقول مصطفىٰ صادق الرافعي مادحا:

فِي حِلْـمِ عُثْمَـانٍ وهَيْبَـةِ حَيْـدَرٍ وعَـدْلِ أَبِي حَفْـصٍ وعَـزْمِ أَبِي بَكْـرِ

الجمع مع التفريق: كقول بطرس كرامة مادحًا (خليل باشا)، ومهنئا مقامه بولايته علىٰ البحرين:

تَوَلَّيْـتَ بَحْـرًا مِثْـلَ جُـودِكَ فَائِضًـا وَمِثْلَـكَ فِي الهَيْجَـا يَهِـيجُ وَيُزْبِـدُ

تَشَـابَهْتُمَـا لَكِـنَّ فِيـكَ عُذُوبَـةً وَفِيـكَ وَقَـارًا فِيهِمَـا أَنْـتَ مُفْـرَدُ

الجمع مع التقسيم: كقول محمود سامي البارودي:

وَفِتْيَـةٍ كَأُسُـودِ الغَـابِ لَيْـسَ لَهُمْ إِلَّا الرِّمَـاحُ إِذَا احْمَـرَّ الوَغَـى أَجَـمُ

كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُـوا وَالرَّعْـدِ إِنْ صَـدَمُوا وَالْغَيْثِ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلِ إِنْ هَجَمُوا





الاسْتِعَارَةُ التَّصْرِيحِيَّةُ والاسْتِعَارَةُ المَكْنِيَّة

معنى الاستعارة لغة: هي السُّلْفَة، أيْ طَلَبُ الشَّيءِ وأخْذُه، مَعَ رَدِّهِ مُسْتَقْبَلًا.

قال محمود غنيم في مدح أحد الشعراء:

إنْ قَالَ خِلْتَ الأَصْمَعِيَّ أَعَارَهُ شَفَتَيْهِ لَوْ أَنَّ الشِّفَاهَ تُعَارُ

ومنه قول إيليا أبي ماضي:

سَرَقَ التُّفَاحُ مِنْ وَجْنَتِهَا واسْتَعَارَ الظَّبْيُ مِنْهَا الحَوَرَا

وقال الشاعر المصري علي الجندي في هذا المعنىٰ:

والشَّمْسُ مِنْكَ قَدِ اسْتَمَدَّتْ حُسْنَهَا وَسَنَا مُحَيَّا البَدْرِ مِنْكَ مُعَارُ

الاستعارة اصطلاحًا: هِيَ نَقْلُ اللَّفْظِ مِنْ مَعْنَاهُ الَّذِي عُرِفَ بِه، ووُضِعَ لَهُ، إلىٰ مَعْنًىٰ آخَرَ لَمْ يُعْرَفْ بِهِ مِنْ قَبْل، لِعَلاقَةِ المُشَابَهَة، فلو قلنا مثلا: «تَنَافَسَ فُرْسَانُ القُرْآنِ عَلَىٰ جَائِزَةٍ كُبْرَىٰ وَضَعَتْهَا الدَّوْلَة»، فمعنىٰ هذا أننا نقلنا لفظ الفرسان من معناه الذي عُرف به، ووضع له، أي المعنىٰ الذي وضعته العربُ لكلمة «فارس» (الفروسية فوق ظهور الجياد)، إلىٰ معنىٰ آخر لم يُعرف به من قبل، وذلك لوجود علاقة مشابهة بينهما. فكأنك قلت: «حَفَظَةُ القرآن فُرسان».

فالاستعارة إذن ليست إلا تشبيها، ولكنه تشبيهٌ مضمرٌ في النفس، تشبيهٌ نحذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وندّعي أنّ أحد الطّرفين هو عينُ الآخر.

أركان الاستعارة: لا بدّ لكلّ استعارة من أن تشتمل علىٰ أركان ثلاثة:

١- المُسْتَعَار.

٢- المُسْتَعَارُ لَه.

٣- المُسْتَعَارُ مِنْه.

فلو قلتَ مثلًا: «أَحْيَتْ بَرَاعِمُ المَدْرَسَةِ حَفْلَةَ يَوْمِ العِلْم»، كان المستعار في المثال: (بَرَاعِم)، والمستعار له: (التلاميذ)، والمستعار منه: المعنىٰ الموضوع في الأصل لكلمة البُرْعُوم: (الزّهر قبل أن يتفتّح).

أقسام الاستعارة:

١- الاستعارة التصريحية:

وهي ما صُرّح فيها بلفظ المشبه به (المُسْتَعَار منه)، وحُذف المشبه (المستعار له)، مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الحقيقي.

شواهد الاستعارة التصريحية:

قال الشاعر السوري سليمان الصولة في مدح الأمير عبد القادر الجزائري:

لَمْ أَلْقَ بَدْرًا قَبْلَهُ يَمْشِي عَلَى ... قَدَمٍ، وَلَا جَبَلًا بِظَهْرِ حِصَانِ

شبه الشاعرُ في صدرِ البيتِ الأميرَ بالبدر، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة (يمشي علىٰ قدم)، وفي عجز البيت شبهه بالجبل علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية كذلك، حيث حذف المشبه، وصرح بالمشبه به، والقرينة (ظهر حصان).

قال الشاعر المصري عبد الله فكري مادحًا، وواصفًا قصيدته:

سَهِرْتُ عَلَيْهَا دَاجِي اللَّيْلِ نَاظِمًا ... دَرَارِيهِ فِيهَا وَلَمْ أَرْضَ بِالدُّرِّ

خَدَمْتُ بِهَا عَلْيَاكَ مَدْحًا وَإِنَّمَا ... نَظَمْتُ النُّجُومَ الزُّهْرَ عِقْدًا عَلَى البَدْرِ

شبه الشاعر في البيت الأول ألفاظ قصيدته بالدراري، أي كواكب الليل الدريّة، والمقصود هنا (النجوم)، حيث حذف المشبه، وصرح فقط بالمشبه به

(دراريه)، كما شبه ألفاظ قصيدته بالدرر في آخر الشطر، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، وفي البيت الثاني أكد تشبيه الألفاظ بالنجوم، وفي آخر البيت شبه الممدوحَ بالبدر، وحذف المشبه، وصرّح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

قال الشاعر السوري بطرس كرامة:

نَاوَلْتُهَا وَرْدَةً فَافْتَرَّ مَبْسَمُهَا عَنِ الأَقَاحِ وَأَبْدَتْ نَرْجِسَ المُقَلِ

وَقَامَ يَهْزَأُ بِي وَرْدٌ بِوَجْنَتِهَا فَرُحْتُ مِنْ رَوْضَةِ الأَزْهَارِ فِي خَجَلِ

لاحظ كيف أبدع الشاعر في تشبيه الأسنان بالأقاح (جمع أقحوانة)، وتشبيه العيون بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض، وتشبيه الخدود بالورد، وتشبيه الوجه بروضة الأزهار، على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث كان الشاعر في كل مرة يحذف المشبه ويصرح بالمشبه به.

وقريب منه قول الشاعر السوري سليمان الصولة:

فِي خَدِّهَا لِلْجُلَّنَارِ حَدِيقَةٌ وَبِثَغْرِهَا لِلأُقْحُوَانِ جِنَانُ

مَا لِي وَلِلْبُسْتَانِ أَطْلُبُ زَهْرَهُ وَبِكُلِّ جَارِحَةٍ لَهَا بُسْتَانُ؟

ومنه قول بطرس كرامة في الغزل:

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الدُّنُوِّ، وَأُسُودٌ مِنْ آلِ عَبْسٍ بِالجُفُونِ مُقِيمُ

حيث شبه الشاعر الخِيلَان (جمع خال) بالأُسود، والملاحظ أن الشاعر حذف المشبه (الخِيلان)، وصرح بالمشبه به (أُسود) على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة (بالجفون).

وممّا جادت به روضة الآداب في الاستعارة التصريحية قول خليل مطران:

يَا زَائِرَ الحَسْنَاءِ فِي عِيدِهَا إِنْ تُهْدِ فَانْظُرْ مَا الَّذِي تُهْدِي

أَخْطَــأَكَ الحَــزْمُ وأَخْطَأْتَــهُ ... أَيُحْمَــلُ الــوَرْدُ إلَى الــوَرْدِ؟

استعارة حسناء، بل زهرة عَطِرَة، لا تعثر علىٰ مثلها إلا في رياض مطران، انظر إليه كيف يشبه المرأةَ الحسناءَ بالوردة، متناسيا التشبيه، ومدَّعيًا المطابقة بين المشبه (المرأة)، والمشبه به (الوردة)، بحذف المشبه، والتصريح بالمشبه به، وهذا هو مبعث تسميتها بالاستعارة التصريحية.

قال الشاعر عبد المحسن الكاظمي في رثاء صديقه المحامي محمد بك أبو شادي:

عَجِبْــتُ لِلْجَبَــلِ العَــالِي وَذَرْوَتُــهُ ... فَوْقَ النُّجُومِ هَوَى تَحْتَ الثَّرَى الهَادِي!

حيث شبه الشاعر فقيده بالجبل الشامخ، السامي فوق النجوم، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به، والقرينة (تحت الثرىٰ).

قال ناصيف اليازجي يتغزل:

هَيْفَــاءُ فِي وَجْنَتِهَــا وَرْدَةٌ ... يـا مَـنْ رَأى الـوَرْدَ عَلَـى الخَـيْزُرَانْ!

تأَمَّلْ كيف شبّه عندليبُ لبنان خدَّ المحبوبة بالوردة، حيث صرح بالمشبه به (وردة)، وحذف المشبه، والقرينة (وجنتها)، ثمّ شبه قامتها الهيفاء بالخيزرانة، حاذفا المشبه أيضا، ومصرحا فقط بالمشبه به.

وقال ناصيف اليازجي في وصف خلفاء الدولة العثمانية:

إذا مَضَــى كَوْكَــبٌ مِنْهَــا أتَى قَمَــرٌ ... وإنْ مَضَــى قَمَــرٌ فَالشَّــمْسُ فِي الأثَــرِ

فالشاعر قد شبه خلفاء بني عثمان بالكواكب أولا، ثم شبههم بالأقمار، وأخيرا بالشموس، بجامع الإشراق والرفعة، دون ذكر المشبه، أي أنه تناسىٰ التشبيه، وادعىٰ المطابقة بين المشبه، والمشبه به.

قال محمود غُنيم في وصف عَرَقِ الفلّاح المصري البسيط:

شَاهَدْتُ لُؤْلُؤَةً كَالبَرْقِ تَأْتَلِقُ   عَلَى جَبِينِ أَمِيرٍ سَارَ مُخْتَالًا

لاحظ كيف شبّه (كروان) مصرَ في هذه التغريدة قطرةَ العرق علىٰ جبين الفلاح باللؤلؤة، حيث صرح بالمشبه به (اللؤلؤة)، وحذف المشبه، والقرينة (جبين)، كما شبه الفلاحَ البسيط بالأمير، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

وقال محمود غُنيم في مدح الملك فاروق تحيّةً له عند توليه العرش:

النِّيلُ يَحْمِلُ سِبْطَ إِسْمَاعِيل   أَرَأَيْتَ نِيلًا جَاءَ يَحْمِلُ نِيلا؟

حيث وردت لفظة (نِيلًا) في عجز البيت مرتين: الأولىٰ وردت بمعناها الحقيقي، والثانية ليست سوىٰ مجاز، شبه فيه الشاعر ممدوحه بنهر النيل، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، ادّعاءً منه بأنّ المشبه به هو عين المشبه علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في الشيب:

بَدَّلْتَ بِالكَافُورِ مِسْكِي وَمَا   أَضْوَاهُ فِي عَيْنِي وَمَا أَعْتَمَكْ!

لعلك أدركت أن الشاعر شبه الشيب بالكافور، وشبه شعره الأسود بالمسك، حاذفًا المشبه، ومصرحًا بالمشبه به.

قال إيليا أبو ماضي في وصف الجمهور المتدفق لرؤية السلطان عبد الحميد:

يَكَادُ بِهِ يَرْقَىٰ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ   فَيَا عَجَبًا بَحْرٌ إِلَى البَدْرِ يَرْتَقِي!

الشاعر يشبه الجمهور بالبحر، ويصرح بالمشبه به، ويحذف المشبه، كما يشبه السلطان بالبدر، ويحذف المشبه، ويصرح بالمشبه به، هكذا تنكّرَ الشاعرُ لمبادئ علم المنطق: فادّعىٰ أنَّ الجمهور هو البحر ذاته، وأنَّ السلطان هو البدر ذاته.

قال معروف الرصافي:

تَبَسَّمُ حِينًا ثُمَّ تَجْهَشُ بِالبُكَا   فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِي ومِنْ لُؤْلُؤٍ تَذْرِي

الشاعر وصف حالة حسناءَ مفجوعةٍ في الحرب، فشبه أسنانها باللؤلؤ، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (تَبَسَّمُ)، ثم عاد وشبه دموعها كذلك باللؤلؤ، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (البكاء).

قال محمود سامي البارودي في شأن من يتغزل بها:

وتَبْسَمُ عَنْ جُمَانٍ فِي عَقِيقٍ ... يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الذَّوْقِ ثَغْرُ

حيث شبه الشاعر الأسنان بالجمان: اللؤلؤ، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، كما شبه الشفتين بالعقيق: (الحجر الكريم الأحمر)، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

قال أحمد شوقي في رثاء طيّارَين عثمانيين سقطت بهما الطائرة في مصر:

انْظُرْ إلَى الأَقْمَارِ كَيْفَ تَزُولُ ... وإلَى وُجُوهِ السَّعْدِ كَيْفَ تَحُولُ

وإلَى الجِبَالِ الشُّمِّ كَيْفَ يُمِيلُهَا ... عَادِي الرَّدَى بإشَارَةٍ فَتَمِيلُ

وإلَى الرِّيَاحِ تَخِرُّ دُونَ قَرَارِهَا ... صَرْعَى عَلَيْهِنَّ التُّرَابُ مَهِيلُ

وإلَى النُّسُورِ تَقَاصَرَتْ أَعْمَارُهَا ... والعَهْدُ فِي عُمْرِ النُّسُورِ يَطُولُ

فشوقي يشبه الطيّارَين بحزمة من التشبيهات: بالأقمار، والجبال، والرّياح، والنّسور، وفي كل تشبيه كانت عادةُ الشاعر حذفَ المشبه، والتصريحَ بالمشبه به.

وأبلغُ منه وأوْجز قول شوقي:

وبَعْضُ المَنَايَا تُنْزِلُ الشُّهْدَ فِي الثَّرَى ... ويَحْطُطْنَ فِي التُّرْبِ الجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

حيث شبه الكرامَ الذين أصابتهم سهامُ المنايا بالشّهد تارة، وبالجبال تارة أخرى، وفي التشبيهين كليهما صرّح الشاعرُ بالمشبه به، وحذف المشبه.

قال علي الجارم في قصيدة (ذكرى الغرب):

أَلْقَوْا خُدُودَ العَذَارَى فِي حَدَائِقِهَا ... وَلَقَّبُوهَا بِأثْمَارٍ وأزْهَارِ

فالشّاعر بعد رحلته إلىٰ بلاد الغرب، والتنزّه في حدائقها، يشبّه وُرُودَها وثمارها بخدود العذارىٰ، ويصرّح بالمشبه به ويحذف المشبه كما رأيت، والقرينة (حدائقها). ثم ألا تراه يدّعي في الشطر الثاني أنّ ما رآه ليس مجرّد أثمار وأزهار؟ فكأنّي بالشاعر لا يدّعي فقط أنّ المشبه هو عين المشبه به كما شرحنا ذلك في التعريف، بل يزيد علىٰ ذلك بهدف المبالغة والغلوّ.

وهذا ما يؤكده قوله مفتخرا بإحدىٰ قصائده:

نَظَمْنَا لُؤْلُؤَ الفِرْدَوْسِ فِيهَا   وَسَمَّيْنَاهُ تَضْلِيلًا كَلَامَا

(الاستعارة التصريحيّة في قوله: لُؤْلُؤ الفردوس).

وأبلغ منه قول الجارم في رثاء إسماعيل صبري:

تَنْهَبُ الدُّرَّ مِنْ عُقُودِ الغَوَانِي   ثُمَّ تَدْعُوهُ فَاعِلَاتُنْ فَعُولَا؟

(الاستعارة التصريحية في قوله: تَنْهَبُ الدُّرَّ).

وقريب منهما قول عمر الأنسي متسائلًا:

وَلَاحَ جَبِينُهَا فَنَظَرْتُ شَمْسًا   فَهَلْ شَمْسُ الضُّحَى تُدْعَى جَبِينَا؟

قال حافظ إبراهيم مهنّئًا الخديوي عباس بقدومه من الحج:

مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إلَى كَعْبَةِ الهُدَى   يَفِيضُ جَلَالُ المُلْكِ وَالدِّينِ مِنْهُمَا

وَفِي الرَّكْبِ شَمْسٌ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الوَرَى   فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الأَمِيرَ المُعَظَّمَا

فَلَمْ أَرَ أُفْقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعَتْ   جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجُمَا

قافلةٌ من الاستعارات ساقها شاعرُ النيل ليضيء بها الأفق المعتم الذي قد يلفّ الاستعارة التصريحية، وهي كالآتي:

شبّه ممدوحَه بالكعبة في البيت الأول، وشبه زوجةَ الممدوح بالشمس في البيت الثاني، وفي البيت الثالث شبه ركْبَ الملك بالأفق، وشبّه الملكَ بالبدر،

والزوجة بالشمس، والأميرَ بالنّجم. وفي كلّ مرةٍ كان الشاعرُ يصرّحُ بالمشبه به، ويحذف المشبه.

ومن الاستعارات التصريحية في النثر قول عبد العزيز البشري في ذكرىٰ وفاة أحمد شوقي: «فِي مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ مِنْ عَامَيْنِ مَضَيَا أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَنَّ البُلْبُلَ قَدْ سَكَتَ بَعْدَ طُولِ سَجْعِهِ وتَغْرِيدِه، وأَنَّ الزَّهْرَ قَدْ ذَبُلَ بَعْدَ إِشْرَاقِهِ وتَوْرِيدِه، وأَنَّ النَّجْمَ قَدْ هَوَىٰ فَلَمْ يَعُدْ يَتَأَلَّق، وأَنَّ الغَدِيرَ قَدْ غَاض، وهَيْهَاتَ لَهُ بَعْدَ الآنَ أَنْ يَتَرَقْرَق».

نقول إن الكاتب قد زيّن كلامَه بأربع استعارات تصريحيّة، وإليك تفصيلُها:

(البُلْبُل قَدْ سَكَتَ بَعْدَ طُولِ سَجْعِهِ وتَغْرِيدِه): شبه الكاتبُ أحمدَ شوقي بالبلبل، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه، (ترشيح الاستعارة التصريحية في قوله: سجعه وتغريده، سنعرض له بعد هذا الدرس).

(الزَّهْر قَدْ ذَبُلَ بَعْدَ إِشْرَاقِهِ وتَوْرِيدِه): شبّه فقيدَ الشّعر بالزَّهْر، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

(النَّجْم قَدْ هَوَىٰ فَلَمْ يَعُدْ يَتَأَلَّق): شبّهه بالنجم، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه. (الغَدِير قَدْ غَاض، وهَيْهَاتَ لَهُ بَعْدَ الآنَ أَنْ يَتَرَقْرَق): شبّهه بالغدير، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

٢- الاستعارة المكنية:

وهي التي حُذف منها المشبه به (المُستعار منه)، ورُمِزَ إليه بما يدلُّ عليه من صِفاته، ولا بدَّ فيها من ذِكرِ المشبه، وتسمىٰ أيضًا «الاستعارة بالكناية، لأن المشبه به يحذف، ويكنىٰ عنه بلازم من لوازمه»[١].

(١) علم البيان بسيوني عبد الفتاح فيود (ص ١٨٧).

شواهد الاستعارة المكنية:

قال خليل مطران في المديح:

حَتَّى الهُمُومُ سَمَتْ إِلَيْكَ بِوُدِّهَا ... مَنْ كَانَ يَحْسَبُ لِلْهُمُومِ قُلُوبَا؟

تأمّلْ كيف تفنّن الشاعر، وزعم أنّ للهموم قلوبًا تحبُّ بها، ولم تكن الهمومُ تُعرف بالوداد من قبلُ حتىٰ جاء مطرانُ وسَمَا بجوهرها، وخلق لها عواطف كعواطف الإنسان. نقول إن الشاعر شبه الهموم بالإنسان المحبّ، ولكنه لم يصرح بالمشبه به، بل حذفه، وترك القرينة الدّالة عليه، وهي (وُدُّهَا).

وقريب من هذا المعنىٰ في (وداد النجوم) قول شاعرنا مفدي زكريا:

يَا مَنْ تَوَدُّ نُجُومُ الأفْقِ لَوْ وُضِعَتْ ... فِي تَاجِهِ عِوَضَ الدُّرِّ الَّذِي نُصِبَا

قال الشاعر المصري حفني ناصف متغزلًا:

وَدَّعْتُ بَارِيسَ وَقَلْبِي بِهَا ... عِنْدَ فَتَاةٍ حُسْنُهَا يَفْتِنُ

الدُّرُّ مِنْ مَبْسَمِهَا يَسْتَحِي ... وَإِنْ تَثَنَّتْ تَخْجَلُ الأغْصُنُ

استعارتان بديعتان جمّل الشاعر بها قصيدته، حيث شبه في البيت الثاني الدُّرَّ والأغصانَ بالإنسان، وحذف المشبه به، وأبقىٰ علىٰ لازم من لوازمه (يستحي، تُخجِلُ) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

قال إبراهيم اليازجي في وصف العُود (الآلة الموسيقية):

تَعَشَّقَهُ طَيْرُ الأَرَاكَةِ أخْضَرًا ... وَحَنَّ إِلَيْهِ رِيشُهُ وَهُوَ يَابِسُ

يا له من خيال لافت.. يقول الشاعر إن بين الطير والعُود عشقا قديما، فالطير كان عاشقا للعود منذ أن كان أخضر ينعم بالحياة في الطبيعة، واليوم ها هو ذا ريشُه يحنُّ إليه بعد أن صار يابسا وصيّرته أيدي البشرِ عُودا مُطربا. فالشاعر كما رأيت قد شبه العود وكذا الطير بالعاشقين، وحذف المشبه به،

وترك قرينته (تعشّقه)، كما شبه الريشة بالإنسان الذي هجره خليلُهُ، فاشتاق إليه، وحنَّ لقربه ووصاله.

ومن بديع شواهد الاستعارة المكنية قول إسماعيل صبري في رثاء صديق له:

فَتَّشْتُ - لَمَّا لَمْ أَجِدْ مُقْلَتِي كُفْؤًا - عَنِ الفَضْلِ لِيَبْكِي مَعِي

فَقِيلَ لِي: قَدْ سَارَ فِي إثْرِهِ يَوْمَ دَفَنَّاهُ، وَلَمْ يَرْجِعِ

حيث شبه الشاعر الفضلَ بالإنسان الذي يبكي علىٰ فقد أحبّائه، انظر إليه (الفضل) كيف سار يشيع الفقيد، وهانَ عليه أن يتركه في قبره وحيدًا، فمات ودُفن مع (أخيه) في قبر واحد!

قال الشاعر المصري محمود غنيم في وصف الطائرة:

أسْرَجُوا الجَوَّ وامْتَطَوْهُ رِكَابَا ثُمَّ مَرُّوا فَوْقَ السَّحَابِ سَحَابَا

لاحظ كيف شبه الشاعر الجوَّ بالجواد أو الحصان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، أي بصفة من صفاته، وهي (أسرَجوا)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وأما قوله: (وامتطوه) فهو ترشيح للاستعارة.

وقال محمود غنيم:

لا كَانَ مُخْتَرِعُ الرَّصَاصِ فَإنَّهُ بَاعَ المَنُونَ رَخِيصَةَ الأَسْعَارِ

انظر كيف شبه الشاعر المنونَ (الموت) بالسلعة التي تباع وتشترىٰ، وحذف المشبه به كما ترىٰ، وأبقىٰ علىٰ خاصية من خصائصه، وهي (باع) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية. أما قوله: (رخيصة الأسعار) فهو ترشيح للاستعارة.

وقال غنيم في وصف الربيع:

تَبَسَّمَ البَحْرُ مِنْ بَعْدِ العُبُوسِ، فَهَلْ لِلْبَحْرِ أَيْضًا مَسَرَّاتٌ وأحْزَانْ؟

ليس للبحر مسرّاتٌ ولا أحزان، والتبسُّمُ والعبوسُ صفتان للإنسان، فالشاعر شبه البحر بالكائن البشريّ، وحذف المشبه به، وأبقىٰ القرينة (تبسَّمَ).

قال علي الجارم:

غَنَّى لَكَ القَلَمُ الَّذِي أَرْهَفْتَهُ أرَأيْتَ كَيْفَ تُغَرِّدُ الأقْلَامُ؟

كيف تغرد الأقلام أيها الشاعر؟ هذا لا يكون إلا حين نشبه الأقلام بالبلابل. وذلك صنيع الشاعر: فقد شبه القلم بالطائر المغرد، وحذف المشبه به، ورَمز إليه بشيء من لوازمه، أيْ بصفةٍ من صفاته، وهي (غنّىٰ) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

وقال علي الجارم مادحًا:

مَلِكٌ تَغَارُ النَّيِّرَاتُ إذا بَدَا أَسَمِعْتَ أنَّ النَّيِّرَاتِ تَغَارُ؟

وَدَّتْ لَوْ اشْتَمَلَتْ بِفَضْلِ رِدَائِهِ هَيْهَاتَ ثَوْبُ المَجْدِ لَيْسَ يُعَارُ

الكواكبُ لا تَغار، وثوبُ المجد لا يُعار، ولكنّ الذي يُعارُ هو الألفاظ كما أسلفنا في تعريف الاستعارة، فالشاعر قد شبّه الكواكب بالإنسان، وحذف المشبه به (المستعار منه)، ورَمز إليه بشيء من لوازمه، أيْ بصفةٍ من صفاته، وهي (تغار)، وبما أنّ المشبه به مكنُون (محذوف) فاستعارة الشاعر مكنيّة.

وقال علي الجارم في المديح:

مِنْ حُسْنِهِ اخْتَلَسَ الأصِيلُ جَمَالَهُ وبِبِشْرِهِ تَتَبَسَّمُ الأسْحَارُ

سَفَرَتْ بِهِ البُشْرَى فَطَاحَ قِنَاعُهَا عَمْدًا وطَارَ مَعَ الهَوَاءِ خِمَارُ

استعارات تشرق بالبيان، شبه فيها الشاعرُ الأصيلَ وهو الوقت ما بين العصر وغروب الشمس باللّصّ المحترف، حاذفا المشبه به، ورامزًا إليه بشيء من لوازمه (اختلس)، كما شبه السَّحَر وهو الوقت الذي قُبَيْلَ الصبح، بإنسانٍ



سعيد، يتبسَّم ضاحكًا مستبشرًا بوجه الملك، حاذفا كذلك المشبه به، ومشيرا إليه بلازم من لوازمه (تتبسّم)، ثم انظر إليه كيف أبحرَ بعيدًا بخياله ليُرسيَ شراع الاستعارة عند تشبيه البُشرىٰ بالمرأة الحسناء التي سقط عنها قناعها حياءً من جمال الممدوح، ليطيرَ مع الرّيح حسنُها وخِمارُها!

ولله دَرُّ الجارم حين يقول:

تَمَنَّتْ نُجُومُ الأفْقِ رَوْعَةَ زَهْوِهِ ... وَسَالَ لِشَمْسٍ أبْصَرَتْهُ لُعَابُ

انظر إليه الآن كيف يشبه النجومَ بإنسان يعيش الأماني، ويحذف المشبه به، ويبقي علىٰ شيء من لوازمه (تمَنّتْ)، ويشبّه الشمسَ بإنسان يشتهي، ويحذف المشبه به، ويترك شيئا من خواصه (لُعَاب) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

ملحوظة: يمكن اعتبار استعارة الشطر الثاني تصريحية، وشرحها كالآتي: تشبيه أشعةَ الشمس باللُّعاب، والتصريح بالمشبه به، وحذف المشبه.

قال محمود سامي البارودي في وصف قلمه:

غَرِدٌ إذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَحِيفَةٍ ... سَجَدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الأَوْتَارُ

فالشاعر قد شبّه القلمَ بآلة العُود، ولم يصرح بالمشبه به، وإنما حذفه، ورمز إليه بلازم من لوازمه (غَرِدٌ) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ثم شبّه الأوتار بزُمرة من العُبّاد يركعون ويسجدون، وحذف المشبه به، وترك قرينة تدلّ عليه، وهي (سَجَدَتْ) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

قال حافظ إبراهيم في تحية سعد زغلول حين عودته إلىٰ القاهرة:

هَذَا زَعِيمُ النِّيلِ حَلَّ عَرِينَهُ ... بَعْدَ الغِيَابِ فَيَا وُفُودُ تَدَفَّقِي

الشاعرُ شبه الزعيمَ المصريَّ بالأسد، وحذف المشبه به، وأبقىٰ علىٰ صفة من صفاته، وهي (عرينه)، ثم شبه الوفود بالسّيل، وحذف كذلك المشبه به، وأبقىٰ علىٰ قرينته، وهي (تدفقي) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

وقال حافظ إبراهيم:

وكَذا طُهَاةُ الرَّأْيِ تَتْرُكُهُ ... للدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلِ

فالشاعر كما هو واضح شبه الرأي بالطعام، وحذف المشبه به، وأبقىٰ علىٰ صفة تدل عليه، وهي (طُهاة) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

وَقَفْتُ عَلَى بَحْرِ الجَزَائِرِ لَيْلَةً ... ونَاجَيْتُه لَوْ كَانَ يَسْمَعُنِي البَحْرُ

فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَحْرُ مَا لَكَ هَائِجًا ... عَلَى البَرِّ مُغْتَاظًا ولَمْ يُذْنِبِ البَرُّ؟

البحرُ لا يسمعك يا شاعرنا الكبير، ولكنك تناجيه كما يناجي مهمومٌ أنيسًا يبثه شكواه، أو جليسًا يشكوه أساه، وبما أنّ المشبه به (الأنيس) أو (الجليس) كان مكنُونا في البيت الأول كانت الاستعارة مكنيّة، وفي البيت الثاني شبه الشاعرُ البحرَ بالإنسان أيضا، وعَزَلَ المشبه به، وأبقىٰ علىٰ صفة من صفاته (مغتاظا)، كما شبّه البَرَّ كذلك بالإنسان، وحذف المشبهَ به هو الآخر، وأبقىٰ علىٰ صفة يتّصفُ بها (يُذْنب) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.

قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا يصف خطيبًا:

فَإذَا قَالَ فِي المَنَابِرِ: أمَّا ... بَعْدُ، أَبْكَى مَنَابِرَ الأَعْوَادِ

شبه الشاعر المنابرَ بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (أبكىٰ).

وقال مفدي زكريا بصوت قادم من أعالي الروح:

إلامَ تَظَلُّ تَلْسَعُنَا الجِرَاح؟ ... وَفِيمَ تَبِيتُ تَنْهَشُنَا الرِّمَاح؟

شَبَّهَ الشاعرُ الجراحَ بالعقارب، وحَذفَ المشبه به، وأبْقَىٰ علىٰ صفةٍ تدلُّ عليه، وهي كلمة (تَلْسَعُنَا)، ثم شبَّهَ الرِّماحَ بالوحوش الكاسرة، وحَذفَ المشبه به، وأبْقَىٰ علىٰ صفةٍ دالّةٍ عليه، وهي كلمة (تَنْهَشُنَا)، فالاستعارتان مَكْنِيَّتان.

ومن أمثلة الاستعارة المكنية في النثر قول مَيّ زيادة: «أُحِبُّ عَبَقَ تُرْبَة الجُدُود، ورَائِحَةَ الأَرْضِ التي دَغْدَغَهَا المِحْرَاثُ مُنْذُ حِين، أُحِبُّ الأشْجَارَ ذَاتَ الظلِّ الوَارِف، أكَانَتْ مَحْجُوبَةً في أَحْشَاءِ الوَادِي، أَمْ أَسْفَرَتْ مُشْرَقَةً عَلَىٰ البَحْرِ البَعِيد، أحِبُّ الطُّرُقَ الوَعْرَة المُتَوَارِيَةَ في قلْبِ الغَاب، وتِلْكَ المُلْتَوِيَةَ عَلَىٰ أكْتَافِ الجِبَالِ كالأفَاعِي البَيْضَاء».

أُسْطُولٌ من الاستعارات المكنية، تهزمُ به الكاتبةُ جيشَ الغُموضِ الذي قَدْ يكتنف الاستعارة المكنية، فقد شبَّهَتْ تُربةَ الجُدود بالمسك، والقرينة: (عبق)، ثم شبهت الأرضَ بالعِطر، والقرينة: (رائحة)، ثم شبهت الأرضَ بالرَّضيع، والقرينة: (دغدغها)، ثم شبهت الوادي بالإنسان، أو الحيوان، والقرينة: (أحشاء)، ثم شبهت الأشجارَ بالشمس، أو البدر، والقرينة: (أَسْفَرَتْ)، ثم شبهت الغابة بالإنسان، والقرينة: (قلب)، وأخيرًا شبهت الجبالَ بالإنسان كذلك، والقرينة: (أكتاف).



التطبيق

ميز بين الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في الرثاء:

جَدِيرٌ بِقَلْبِي أنْ يَذُوبَ لِفَقْدِهِ وَحَقٌّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ بُحُورُهَا

٢- قال الشاعر السوري بطرس كرامة في غرض المدح:

تَقُولُ المَعَالِي إذْ تُضِيءُ صِفَاتُهُ: فَوَاعَجَبًا بَدْرٌ يَسِيرُ عَلَى الأرْضِ!

٣- وقال بطرس كرامة في وصف البرق:

نَحَرَتْ سُيُوفُ البَرْقِ أعْنَاقَ الغَمَا مِ فَسَالَ مِنْهُ دَمْعُهُ المَهْطُولُ

٤- وقال كرامة أيضًا:

يَنْظِمُ الدُّرَّ فِي سِلْكٍ وَيُرْسِلُهُ شِعْرًا يَتِيهُ عَلَى مَنْظُومِ حَسَّانِ

٥- قال محمد توفيق علي في مدح أديبة لبنانية سافرت إلىٰ مصر:

وَسَارَ النِّيلُ يَطْلُبُ وَصْلَ مِصْرٍ وَهَلْ يُرْضِي المُحِبَّ سِوَى الوِصَالِ؟

٦- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف:

يَا رَسُولًا، بِكَ حَطَّمْنَا الجَهَالَهْ وَاهْتَدَيْنَا، فَصَفَعْنَا الضَّلَالَهْ

٧- قال محمود غُنيم في وصف صباح يوم بارد:

يَا لَصَبَاحٍ حَائِلِ الأَدِيمِ قَدْ طَعَنَ الرَّبِيعَ فِي الصَّمِيمِ

٨- وقال غنيم في (نعي الشتاء):

أمَــا تَــرَى السُّــحْبَ يَــوْمَ وَلَّى جَفَّــتْ لَهَــا أدْمُــعٌ غِــزَارُ؟

٩- قال معروف الرصافي في مدح أحد الشعراء:

فَطِـرْ فِي سَـمَوَاتِ القَـرِيضِ مُرفْرِفًـا وأطْلِـعْ لَنَـا فِيهَـا النُّجُـومَ الـدَّرَارِيَا

١٠- قال ناصيف اليازجي:

تَقُـولُ لِقَلْـبِي رَبَّـةُ الأَعْـيُنِ النُّجْـلِ: أَفِـقْ، لَا تَقِـفْ بَيْنَ الصَّـوَارِمِ والنَّبْـلِ

فتَـاةٌ يَغَـارُ العِقْـدُ مِنْ حُسْـنِ جِيـدِهَا وتَضْحَكُ عُجْبًا مُقْلَتَاهَا عَلَى الكُحْلِ

١١- وقال اليازجي:

مَلِـيحٌ تُبَـاعُ الـرُّوحُ فِي سُـوقِ حُبِّـهِ ولَـيْسَ سِـوَى تِلْـكَ اللَّـوَاحِظِ دَلَّالُ

١٢- وقال في وصف رسالة بعث بها إليه أحدُ إخوانه:

فَمَــا نَظَمَــتْ إلَّا فَرائِــدَ لُؤْلُــؤٍ ومَـا نَـثَرَتْ إلَّا كَوَاكِـبَ مِـنْ قَـوْلِ

١٣- قال علي الجارم في وصف مكة المكرمة:

تَكَـادُ إذا مَـرَّتْ بِهَـا الشَّـمْسُ غُـدْوَةً حَيَـاءً بِأهْـدَابِ السَّـحَابِ تَنَقَّـبُ

١٤- وقال علي الجارم في مدح الحبيب محمد ﷺ:

ونَافَسَــتِ الأَرْضُ السَّــمَاءَ بِكَوْكَــبٍ وَضِيءِ المُحَيَّــا، مَــا حَوَتْــهُ سَــمَاءُ

١٥- وللجارم أيضًا:

وبَعَثْــتَ الآمَــالَ فِي كُــلِّ قَلْــبٍ وغَرَسْــتَ الإحْسَــانَ فِي كُــلِّ رَاحِ

١٦- قال بدر شاكر السياب:

غَـنَّى الخَرِيـفُ الغَـابَ ألْحَانَـهُ فَــانْتَثَرَتْ أَوْرَاقُــهُ رَاقِصَــاتْ

١٧- قال رياض معلوف في وصف ليلةٍ مَاطِرة:

وعَــيْنُ السَّــمَاءِ تُرَقْــرِقُ دَمْعًــا   عَلَــى خَــدِّ هَــذَا الزُّجَــاجِ النَّــدِي

١٨- قال شاعر مصر علي الجندي يصف امرأة حسناء في موكب جنازة:

مَــا عَهِــدْنَا أنْ يَخْمِــشَ البَــدْرُ خَدَّيْـ   ـــهِ وأنْ تَسْــكُبَ الــدُّمُوعَ ذُكَــاءُ

أيُّ نَعْــشٍ سَــارَتْ تُشَــيِّعُهُ الشَّــمْـ   ـسُ وتَسْــعَى وَرَاءَهُ الجَــوْزَاءُ!؟



حل التطبيق

١- شبه الرافعي في الشطر الأول قلبه بالثلج مثلًا، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (يذوب)، وفي الشطر الثاني شبه دموعه بالبحور علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

٢- شبه بطرس كرامة في الشطر الأول صفات الممدوح بالقمر علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (تضيء)، وفي الشطر الثاني شبه الممدوح نفسه بالبدر علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

٣- شبه الشاعر البرق بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (نحرتْ)، وشبه الغمام بالشاة علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وشبه المطر بالدمع علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

٤- شبه الشاعر في الشطر الأول قصائد الممدوح بالدر علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وفي الشطر الثاني شبه الشعر بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية والقرينة (يتيهُ).

٥- شبه الشاعرُ الأديبةَ الممدوحة بالنيل علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وفي قوله (وصل مصر) استعارة مكنية.

٦- شبه مفدي زكريا الجهالة بالأصنام، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وشبه الضلالة بالسفيه علىٰ سبيل الاستعارة المكنية كذلك.

٧- شبه محمود غنيم الربيع بالإنسان المقتول، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (طعن) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية.



٨- شبه الشاعر الشتاء بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (وَلّىٰ)، كما شبه أمطارَ السحب بالدموع، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

٩- شبه الرصافي في الشطر الأول ممدوحه بالطير علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وفي الشطر الثاني شبه قصائدَ ممدوحه بالنجوم، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

١٠- في البيت الأول شبه اليازجي نظرات من يتغزل بها بالسيوف والنبال، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وفي البيت الثاني شبه العقد بالمرأة، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (يغار)، كما شبه في البيت نفسه المقلتين بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية والقرينة (تضحك).

١١- في هذا البيت يشبه اليازجي الروح بالسلعة التي تباع في الأسواق وتشترىٰ، وحذف المشبه به وترك قرينة تدل عليه، وهي (تُباع)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، أما الصورة الواردة في عجز البيت فهي تشبيه بليغ.

١٢- شبه الشاعر في الشطر الأول الأبيات الواردة في رسالة صديقه بفرائد اللؤلؤ، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وفي الشطر الثاني شبه الكلمات المنثورة في الرسالة بالكواكب علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية. (الرسالة كانت شعرًا ونثرًا).

١٣- يقول علي الجارم: إن الشمس إذا مرّت فوق مكة يوم الغداة تكاد تتنقب بأهدابِ السحابِ حياء من جمال مكة، فالشاعر قد شبه الشمس بالمرأة، وحذف المشبه به، وترك قرينة تدل عليه، وهي (تتنقب) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية. وأما قوله: (أهداب السحابِ) فهو تشبيه بليغ علىٰ طريقة إضافة المشبه به إلىٰ المشبه.

١٤- شبه الشاعر في الشطر الأول السماء والأرض بالإنسان علىٰ سبيل



الاستعارة المكنية، والقرينة (نافست)، وفي الشطر الثاني شبه نبيّنا الأكرمَ ﷺ بالكوكب، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

١٥- شبه الشاعر في البيت الأول الآمالَ بالإنسان الميّت، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (بعثتَ)، كما شبه الإحسان بالنبات علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (غرست).

١٦- شبه السّيابُ في الشطر الأول الخريفَ والغابَة بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (غنىٰ)، وفي الشطر الثاني شبه أوراق الأشجار بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (راقصات).

١٧- شبه المعلوف في الشطر الأول السماء بالإنسان مثلا علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (عين)، وفي الشطر الثاني شبه الزجاج بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (خدّ).

١٨- تضمّن البيت ثلاث استعارات تصريحية: حيث شبه الشاعر المرأة الحسناء بالبدر، والشمس، والجوزاء، وفي كل استعارة كان الشاعر يحذف المشبه ويصرّح بالمشبه به.



التمرين الأول

تعرّف علىٰ الاستعارات التصريحية، والمكنية في النماذج البلاغية الآتية:

قال ميخائيل نعيمة واصفا الربيع: «(هَجَمَ الرَّبِيعُ)، بِهَاتَيْن الكَلِمَتَيْنِ حَيَّانِي أَمْسِ أحدُ الجِيرَان، وكَانَتْ أَجْمَلَ تَحِيَّة، فَقَدْ حَاصَرَنَا الشِّتَاءُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حِصَارًا طَوِيلا قَاسِيًا، اسْتَنْفَدَ كُلَّ مَا اخْتَزَنَّاهُ مِنْ الوَقُود، لَقَدْ سَئِمَ الجَمِيعُ رَوَائِحَ الفَحْمِ والدُّخَان، وسَئِمُوا حَتَّىٰ زَغَارِيدَ النَّارِ في الحَطَب، وبَاتُوا يَتَبَرَّمُونَ بالأمْطَارِ والثُّلُوجِ والعَوَاصِفِ تَنْقَضُّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءٍ غَضْبَىٰ، لا يُلَطِّفُ مِنْ غَضَبِهَا شُعَاعُ شَمْس، أَوْ بَسْمَةُ قَمَر، أَوْ غَمْزَةُ نَجْمَة. وأَخِيرًا أَطَلَّتِ الشَّمْسُ عَلَيْنَا، لِتَتَوَلَّىٰ بِذَاتِهَا قِيَادَةَ الهُجُومِ المُبَارَك، هُجُومِ الرَّبِيع، فَكَانَ البَرْدُ أَوَّلَ ضَحَايَاه، وجَاءَ دَوْرُ الثَّلْج، حَلِيفِ البَرْدِ الأعْنَدِ والأشَدّ، وهَا هُوَ ذَا تَنْهَارُ عَزِيمَتُه، وتَتَصَدَّعُ صُفُوفُه، ويَثْخَنُ صَدْرُهُ بالجِرَاح، ويَمِيعُ قَلْبُه، فَيَنْحَدِرُ مِنْ الأعَالِي شَلَّالاتٍ تَدْفَعُ شَلَّالَات، وفِي انْحِدَارِهِ مِنَ الأعَالِي وانْدِفَاعِهِ نَحْوَ البَحْرِ يَأْتِيكَ بالعَجِيبِ مِنَ الأغَانِي، فَكَأَنَّهُ وهُوَ الهَارِبُ مِنَ المَيْدَانِ يَعُدُّ الهُرُوبَ ضَرْبًا مِنَ البُطُولَة، فَيُسْمِعُكَ مِنَ الأهَازِيجِ مَا لا تَمَلُّهُ أذنُك، ولا تَرْتَوِي مِنْهُ رُوحُك».

قال الأديب المصري الكبير محمد المويلحي: «نَزَلْنَا مِنْ ضَوَاحِي الإسْكَنْدَرِيَّةِ قَصْرًا ذَا رَوْضَةٍ غَنَّاء، فِي بُقْعَةٍ فَيْحَاء، لَا تَسْمَعُ فِيهَا إِلَّا هَدِيلَ الوَرْقَاء، إيقَاعًا عَلَىٰ هَدِيرِ المَاء، فَإِذَا بَلَّلَ المَوْجُ جَنَاحَ النَّسِيم، فَرَفْرَفَ عَلَىٰ ذَلِكَ الرَّوْضِ البَسِيم، نَثَرَ المَاءُ دُرًّا عَلَىٰ تِيجَانِ الزَّهْر، ورَقْرَقَهُ دُمُوعًا فِي أَحْدَاقِ العَبْهَر[1]،

(١) العبهر: النرجس.



هُنَاكَ يَتَمَنَّىٰ العَاشِقُ لَوْ اسْتَعَارَ هَذِي الدُّمُوعَ لِمَحَاجِرِه، فَيَسْتَلِينَ بِهَا قَلْبَ شَاجِيهِ وهَاجِرِه، وتَوَدُّ الغَانِيَةُ لَوْ نَظَمَتْ مِنْ ذَلِكَ الدُّرِّ عِقْدًا لِنَحْرِهَا، أَوْ نِطَاقًا لِخِصْرِهَا».

كتب المنفلوطي قائلًا: «فإِذَا انْقَضَىٰ النَّهار، وأَوَتِ الشَّمْسُ إِلىٰ خِدْرِهَا، صَعَدَ الأَوْلَادُ إِلَىٰ صَخْرَةٍ عَظِيمَة، تُشْرِفُ عَلَىٰ ذَلِكَ الوَادِي جَمِيعِه، فإِذَا أَلْقَوْا بِأَنْظَارِهِم، خُيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَيْنَ سَمَاءَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْن: سَمَاءٍ تُنْبِتُ الكَوَاكِبَ والنُّجُوم، وأُخْرَىٰ تُنْبِتُ الأَزْهَارَ والأَنْوَار، أَوْ بَيْنَ رَوْضَتَيْنِ مُتَرَامِيَتَيْن، تَتَأَلَّقُ فِي إِحْدَاهُمَا الزَّنَابِقُ البَيْضَاءُ عَلَىٰ دِيبَاجَةٍ زَرْقَاء، وفِي أُخْرَاهُمَا الوُرُودُ الحَمْرَاءُ عَلَىٰ قَطِيفَةٍ خَضْرَاء».

قال عائض القرني في إحدىٰ مقاماته: «الجَمَالُ فِي الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس، فَسُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَ وتَقَدَّس، الجَمَالُ فِي الصُّبْحِ بِطَلْعَتِهِ الآسِرَة، وإِطْلَالَتِهِ البَاهِرَة، الجَمَالُ فِي الصُّبْحِ وهُوَ يَنْشُرُ عَبَاءَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ عَلَىٰ الوُجُود، فَيَكَادُ يُكَلِّمُهُ مِنْ حُسْنِهِ الجُلْمُود، الجَمَالُ فِي الصَّبْحِ يَوْمَ يَتَوَضَّأُ الفِكْرُ فِي عُبَابِ نُورِه، ويَغْتَسِلُ القَلْبُ فِي بَحْرِ سُرُورِه، وتَسْرَحُ النَّفْسُ فِي مِهْرَجَانِ عُرْسِه، وتُنْصِتُ الرُّوحُ لِهَمْسِهِ وجَرْسِه، الجَمَالُ فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس، وأَقْبَلَ فِي هُدُوءٍ يَتَوَجَّس. يُقْبِلُ اللَّيْلُ بِرِدَائِهِ الأَسْوَد، وشَعْرِهِ المُجَعَّد، فَيَسْتُرُ الأَحْيَاءَ بِثِيَابِه، ويَضَعُ الأَشْيَاءَ تَحْتَ جِلْبَابِه، فَيَمْلَأُ بِجَيْشِهِ المَسَاكِن، فَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ سَاكِن، واللَّيْلُ لَهُ هَيْبَةٌ فِي العُيُون، كَأَنَّهُ كَتِيبَةٌ تَحْمِلُ المَنُون».

قال أحمد حسن الزيات في (وحي الرسالة): «تيَقَّظَتِ الطَّبِيعَةُ مِنْ رُقَادِهَا الطَّوِيل، وَأَخَذَتْ تَنْضَحُ جَفْنَهَا الوَسْنَانَ بِأَنْدَاءِ الرَّبِيع، وَتَبْحَثُ عن حُلَلِهَا وَحُلَاهَا فِي خَزَائِنِ الأَرْض، وَتَأَهَّبَ كُلُّ حَيٍّ لِيَحْتَفِلَ بِشَبَابِهَا العَائِد، وَجَمَالِهَا المَبْعُوث».



التمرين الثاني

حدّد نوع الاستعارة في النماذج البلاغية الآتية:

قال نزار قباني في رائعته (يا تونس الخضراء):

لَمْ يَبْقَ فِي دَارِ البَلَابِلِ بُلْبُلٌ   لَا البُحْتُرِيُّ هُنَا وَلَا زِرْيَابُ

وقال في القصيدة ذاتها:

هَلْ فِي العُيُونِ التُّونُسِيَّةِ شَاطِئٌ   تَرْتَاحُ فَوْقَ رِمَالِهِ الأَعْصَابُ؟

وقال نزار قباني:

لا تُتْعِبِي يَدَكَ الرَّقِيقَةَ إِنَّنِي   أَخْشَى عَلَى البِلَّوْرِ أَنْ يَتَوَجَّعَا

وقال نزار:

اِرْمِ نَظَّارَتَيْكَ كَيْ أَتَمَلَّى   كَيْفَ تَبْكِي شَوَاطِئُ المَرْجَانِ

قال الشاعر المصري محمود غنيم يصف البحر، والغيد الحسان على شاطئه:

أَيَسْكُنُ الدُّرُّ والمَرْجَانُ شَاطِئَهُ؟   أَمْ فِي قَرَارَاتِهِ دُرٌّ ومَرْجَانُ؟

لا أَرْهَبُ البَحْرَ والغِيدُ الحِسَانُ بِهِ   فَإِنَّ غَضْبَتَهُ عَطْفٌ وتَحْنَانُ

ولَا أَهَابُ هَدِيرَ البَحْرِ إِنْ سَبَحَتْ   فِيهِ المَهَا، فَهْوَ تَطْرِيبٌ وأَلْحَانُ

عَجِبْتُ لِلْبَحْرِ قَدْ فَاضَ العُبَابُ بِهِ   لَكِنَّهُ لِرُضَابِ الغِيدِ ظَمْآنُ!

وقال محمود غنيم واصفا السواقي في الريف المصري:

يَا رُبَّ سَاقِيَةٍ لِغَيْرِ صَبَابَةٍ   أَنَّتْ وَأَجْرَتْ دَمْعَهَا المَسْكُوبَا



وَالغِيدُ تَغْمِسُ فِي الغَدِيرِ جِرَارَهَا ... فَيَظَلُّ يَضْحَكُ مِلْءَ فِيهِ طَرُوبَا(١)

وقال غنيم واصفًا سَمَرَ الأدباء:

كَلِفُوا وَلَكِنْ بِالبَيَانِ وَسِحْرِهِ ... وَمِنَ البَيَانِ عَرَائِسٌ أَبْكَارُ

ولغنيم في الحكمة:

قُلْ مَا تَشَاءُ، فَإِنَّ الدَّهْرَ يَنْقُدُهُ ... تَنْفِي الحَصَى يَدُهُ والدُّرَّ تُبْقِيه

وقال في رثاء عباس محمود العقاد صاحبِ العبقريّات الأربعة:

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا، واصْطَفَى ... مِنْ بَنَاتِ الفِكْرِ حُورًا أَرْبَعَهْ

وقال محمود غنيم يصف تأثره بشعر البحتريّ:

رَوْضَةُ البُحْتُرِيِّ مَنْبَتُ رِيشِي ... وبِهَا قَدْ نَشَأْتُ واشْتَدَّ عُودِي

قال أبو القاسم الشَّابي:

أَرَاكِ فَتَحْلُو لَدَيَّ الحَيَاةْ ... وَيَمْلأُ نَفْسِي صَبَاحُ الأَمَلْ

وَيَفْتِنُنِي سِحْرُ تِلْكَ الشِّفَاهْ ... تُرَفْرِفُ مِنْ حَوْلِهِنَّ القُبَلْ

وقال الشَّابي:

هُوَ الكَوْنُ حَيٌّ يُحِبُّ الحَيَاةَ ... وَيَحْتَقِرُ المَيْتَ مَهْمَا كَبُرْ

فَلَا الأُفْقُ يَحْضُنُ مَيْتَ الطُّيُورِ ... وَلَا النَّحْلُ يَلْثِمُ مَيْتَ الزَّهَرْ

قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

وَجَلَتْ لَنَا مِنْ ثَغْرِهَا الطَّلْعَ الَّذِي ... حَسَدَتْ ثَنَاهُ كَوَاكِبُ الجَوْزَاءِ

وقال سليمان الصولة في مدح مؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر:

يَسْعَى بِهِ فَرَسٌ فِي سَرْجِهِ أَسَدٌ ... فِي وَجْهِهِ قَمَرٌ فِي كَفِّهِ نَشَبُ

---

(١) المراد بضحك الغدير صوت الفقاقيع الناشئة عن حلول الماء محل الهواء.

قال الشاعر السوري أمين الجندي يتغزل:

ظَبْيٌ إذَا افْتَرَّعَنْ دُرِّيُرِيكَ سَنَا ... بَرْقٍ أَنَارَدَيَاجِي الأُفْقِ إِذْ لَمَعَا

وقال الجندي في غرض الوصف:

فَتَحَ الوَرْدُ لِلْهَنَاءِ كُفُوفًا ... صَافَحَتْهَا نَسَائِمُ الأَسْحَارِ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلًا:

جَاءَتْكَ تَبْسَمُ وَالبَنَانُ نِقَابُهَا ... فَأَرَتْكَ بَدْرًا بِالهِلَالِ تَنَقَّبَا

قال الأمير شكيب أرسلان في فضل العلماء:

نُجُومُ عُلُومٍ أَخْجَلَتْ بِضِيَائِهَا ... نُجُومَ ضِيَاءٍ لُحْنَ فِي كَبِدِ السَّمَا

رِجَالٌ بِهِمْ جَادَ الزَّمَانُ وَعَلَّهُ ... عَلَى مِثْلِ هَذَا الجُودِ يَوْمًا تَنَدَّمَا

قال شاعر المهجر رشيد أيوب:

وَلَيْلٍ بِهِ سُرْجُ النُّجُومِ ضَئِيلَةٌ ... أَنَرْتُ دُجَاهُ مِنْ لَظَى زَفَرَاتِي

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة متغزلًا:

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الدُّجَى يَمْنَعُ السُّرَى ... فَقَالَتْ ضَحُوكًا: سِرْ عَلَى بَسَمَاتِي

قال إبراهيم طوقان متغزلًا:

حَسْبِي جَوًى أَنِّي نَظَرْتُ لِشَعْرِهَا ... يَنْكَبُّ مُرْتَشِفًا نَدَى خَدَّيْهَا

قال بطرس كرامة:

قَالَتْ وَقَدْ رَنَّحَتْ بِالتِّيهِ قَامَتَهَا ... مَاذَا تَقُولُ بِقَدِّيَ العَادِلِ الحَسَنِ؟

فَقُلْتُ غُصْنٌ فَقَالَتْ وَهِيَ مُعْرِضَةٌ ... قَدْ شَبَّهْتَ الغُصْنَ -بَعْدَ الجُهْدِ- بِالغُصْنِ

وقال بطرس كرامة في وصف ممدوحه:

دَعَا لَهُ المَجْدُ فِي نَيْلِ المُنَى سَحَرًا ... أَجَابَهُ السَّعْدُ مِنْ أَعْلَاهُ: آمِينَا



وقال كرامة في الغزل:

غَرَّاءُ يَخْجَلُ بَدْرُ التَّمِّ إنْ سَفَرَتْ   عَنْ خَيْرِ مُبْتَسِمٍ بِالدُّرِّ مُنْتَظِمِ

قال شاعر لبنان عبد الحميد الرافعي في وصف الخمر:

سَلَّتْ عَلَى الأقْدَاحِ مِنْ أنْوَارِهَا   سَيْفًا يُسَمَّى هَازِمَ الأتْرَاحِ

قال إيليا أبو ماضي:

حَجَبْتُ عَنْ كُلِّ مَعْدُومِ النُّهَى دُرَرِي   إنِّي أضِنُّ عَلَى الأنْعَامِ بِالنِّعَمِ

وقال إيليا أبو ماضي:

وجَلَوْتُ لِلْأبْصَارِ كُلَّ خَرِيدَةٍ   عَصْمَاءَ تَحْسُدُهَا النُّجُومُ تَأَلُّقَا

قال مفدي زكريا:

أَنْتَ يَا وَطَنُ جَنَّةٌ، أَفَتَرْضَى   أَنْ يَدُوسَ الغُرَابُ جَنَّاتِ عَدْنِ؟

وقال مفدي منتشيًا بفرحة الاستقلال:

واسْتَرَدَّ الشَّعْبُ الهَضِيمُ حِمَاهُ   وَاسْتَعَادَ الصَّقْرُ المَهِيضُ جَنَاحَهْ

وقال مفدي زكريا:

لِأَجْلِ بِلَادِي عَصَرْتُ النُّجُ   ومَ، وأتْرَعْتُ كَأسِي وصُغْتُ الشَّوَادِي

قال شوقي يخاطب الملك فؤاد الأول في حفلة افتتاح نادي الموسيقىٰ الشرقي:

ولَقَدْ نَزَلْتَ بِهَا فَلَمْ نَرَ قَبْلَهَا   فَلَكًا جَلَا شَمْسَ النَّهَارِ عِشَاءَ

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في قصيدة (قنديل بني هاشم):

هَذَا النَّبِيُّ. اخْضِرَارُ الأرْضِ نَظْرَتُهُ   وبَسْمَةُ الثَّغْرِ مِنْهَا الضَّوْءُ يَحْتَشِمُ

وقال في الغزل:

يَمَنِيَّةٌ كَانَتْ تُمَشِّطُ نَهْرَهَا   فِي حَضْرَةِ الكَتِفِ السَّعِيدِ الأيْسَرِ

قال معروف الرصافي:

إنْ لَمْ نُضَاحِكْ بِالسُّيُوفِ خُصُومَنَا ... فَالمَجْدُ بَاكٍ والعُلَا تَتَأَفَّفُ

قال علي الجارم في وصف قصيدته:

لَقَدْ قَطَفْنَا لَكَ الأَزْهَارَ بَاسِمَةً ... وفِي عُقُودٍ مِنَ الفُصْحَى نَظَمْنَاهَا

وقال الجارم:

يُنْصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يَا شِعْـ ... ـرُ وتَنْفِي عَنْ مُقْلَتَيْهِ الرُّقُودَا

قال شاعر المهجر رشيد أيوب:

أَصُوغُ القَوَافِي حَالِيَاتٍ نُحُورُهَا ... عَرَائِسَ أبْكَارٍ بَرَزْنَ مِنَ الخِدْرِ

إذَا مَا نَسِيمُ الشَّوْقِ هَزَّ قَرِيحَتِي ... تَسَاقَطَ مِنْهَا الدُّرُّ فِي رَوْضَةِ الشِّعْرِ

قال الشاعر القروي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة المتنبي:

تُحَيِّيكَ يَا نَسْرَ القَرِيضِ بَلَابِلٌ ... يَعِيبُ عَلَيْهَا الشَّدْوَ بُومٌ وغِرْبَانُ

إذَا أَنْتَ أَرْقَصْتَ النُّجُومَ تَرَنَّحَتْ ... أَزَاهِيرُ مِنْ تَغْرِيدِهِنَّ وأَفْنَانُ

قال حافظ إبراهيم مخاطبًا (السنين) في رثاء الشيخ محمد عبده:

حَطَّمْتِ لَنَا سَيْفًا وعَطَّلْتِ مِنْبَرًا ... وأَذْوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزَّهَرَاتِ

وأَطْفَأْتِ نِبْرَاسًا وأَشْعَلْتِ أَنْفُسًا ... عَلَى جَمَرَاتِ الحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

وقال حافظ إبراهيم:

فَيَا قَلْبُ لا تَجْزَعْ إذا عَضَّكَ الأَسَى ... فَإِنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا

وقال حافظ:

أَغْرَيْتُ بِالغَوْصِ أقْلَامِي فَمَا تَرَكَتْ ... فِي لُجَّةِ البَحْرِ مِنْ دُرٍّ ومَرْجَانِ

الاستعارة المُرَشَّحَة والمُجَرَّدَة والمُطْلَقَة

١) الاستعارة المُرَشَّحة:

إِذَا أَتَىٰ الأَدِيبُ - بالإِضَافَةِ إِلىٰ القَرِينَة - بِمَا يُلائِمُ المُشَبَّهَ بِهِ مِنْ كَلِمَاتٍ، أَوْ عِبَارَات، أَوْ أَوْصَاف، نُسَمّي تِلْكَ الاسْتِعَارَةَ مُرَشَّحَةً، «وسُمِّيَتْ مُرَشَّحَةً لِأَنَّ مَا اقْتَرَنَ بِهَا يُعْطِيهَا زِيَادَةَ تَقْوِيَةٍ لِلْمُسْتَعَارِ مِنْهُ بِزِيَادَةِ أَغْطِيَةٍ، تَحْتَاجُ زِيَادَةَ عَمَلٍ ذِهْنِيّ، لِكَشْفِ إِرَادَةِ المَعْنَىٰ المَجَازِيّ، الَّذِي اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ للدِّلالَةِ عَلَيْه»[1].

وسنركز في درسنا هذا علىٰ الاستعارة المُرَشّحة، لِمَا لها مِنْ سحر وجمال، وبيان وكمال، وسأنقل لك شهادة الزمخشري في شأنها، يقول: «هَذَا مِنَ الصِّفَةِ البَدِيعَة، الَّتِي تَبْلُغُ بِالمَجَاز (الاستعارة) الذّرْوَةَ العُلْيَا، وهُوَ أَنْ تُسَاقَ كَلِمَةٌ مَسَاقَ المَجَاز، ثُمَّ تُقَفَّىٰ بِأَشْكَالٍ لَهَا وأَخَوَات، إِذَا تَلاحَقْنَ لَمْ تَرَ كَلامًا أَحْسَنَ مِنْهُ دِيبَاجَة، وأَكْثَرَ مَاءً ورَوْنَقا، وهُوَ المَجَازُ المُرَشَّح».

شواهد الاستعارة المرشحة:

قال الشاعر حفني ناصف مهنئًا إسماعيل صبري يوم تقلد وظيفة النائب العام:

طَمَحَتْ أَنْفُسٌ إِلَيْهَا فَصَانَتْ ... حُسْنَهَا عَنْهُمُ صِيَانَةَ بِكْرِ

رَاوَدُوهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاسْتَخَفَّتْ ... بِنُهَاهُمْ، وَقَابَلَتْهُمْ بِهَجْرِ

وَابْتَغَتْ كُفْأَهَا فَكُنْتَ رِضَاهَا ... فَهِيَ شَمْسٌ جَرَتْ إِلَى مُسْتَقَرِّ

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني (ص ٢٥٣).

فالشاعر كما ترىٰ شبه الوظيفة بالمرأة الحسناء علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (طمحتْ أنفسٌ إليها)، أي أن الاستعارة قد استوفتْ قرينتها، ثم قَفَّىٰ الشاعر استعارته بقافلةٍ من العبارات، كلها تلائم المشبه به المحذوف، أي تلائم (المرأة الحسناء)، وهي: (صانت حسنها)، (صيانة بكر)، (راودوها عن نفسها)، (استخفّت بنُهاهم)، (قابلتهم بهجر)، (ابتغتْ كفأها)، (كنت رضاها)، (هي شمس جرت إلىٰ مستقرٍّ). كل ذلك من أجل أن يقوّيَ العلاقة بين المشبه والمشبه به. فالاستعارة إذن مكنية مرشحة بامتياز.

قال الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي في وصف روضة في الربيع:

فَـإِذَا الرَّبِيـعُ مَشَـى بِهَـا مُتَبَخْـتِرًا ... يَخْتَـالُ فِي حُلَـلِ البَهَـاءِ وَيَرْفُـلُ

فَرَأَيْـتُ خُـوطَ البَـانِ مَـالَ بِسَـمْعِهِ ... يُصْـغِي لِمَـا يُـوحِي إِلَيْـهِ الجَـدْوَلُ

لعلك لاحظتَ أن الشاعر في البيت الأول شبه الربيع بالإنسان، والقرينة (مشىٰ)، لأن المشي صفة للإنسان لا للربيع، أي أن هذه الاستعارة المكنية قد استوفت قرينتها، وبغرض تقوية العلاقة بين المشبه (الربيع)، والمشبه به (الإنسان) أتىٰ الشاعر بحشدٍ من الكلمات كلها تختص بالمشبه به، وهي: (متبخترا)، (يختال)، (حلل البهاء)، (يرفل).

وفي البيت الثاني فعل الشيء ذاته، حيث شبه خوط البان - وهو الغصن الناعم - بالإنسان، والقرينة (مال بسمعه)، لكنه قوىٰ العلاقة بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) بذكر كلمة (يصغي) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

وقال محمد توفيق علي بعد أن قضىٰ سنين طويلة بعيدا عن بلاده (مصر):

وَرَجَعْـتُ لِلْفِـرْدَوْسِ بَعْـدَ فِرَاقِـهِ ... وَبُعْثْـتُ حَيًّـا قَبْـلَ يَـوْمِ مَعَـادِي

فالشاعر كما لاحظت قد شبه بلاده مصر بالفردوس علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، فلماذا ذكر البَعثَ ويومَ المَعاد؟ إنه بلا شك يريد أن يقوّيَ العلاقة

بين المشبه (مصر) والمشبه به (الفردوس)، ليؤكد لنا أنَّ مصر فردوسٌ بعينه، وليس ذلك على سبيل التشبيه، أو المجاز، بل هو الحقيقة بعينها.

قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي في المدح:

مُنْذُ حَلَّ بَيْرُوتَ لَمْ تَبْرَحْ تَمِيسُ بِهِ ... تِيهًا وَعُجْبًا وَيَكْسُوهَا الهَنَا حُلَلَا

وهذا الشاعر اللبناني يشبه لك بيروت بالمرأة الحسناء، وقرينة الاستعارة المكنية (تميس)، إذن فالقرينة مُستوفاة، لكنك لو دققت النظر لوجدت أن الشاعر لم يبخل على بيروته، فذكر لها سلسلة من الصفات أو الكلمات تؤكد للسامع أن بيروت حسناء حقيقية، لا كأنها هي، وهي الكلمات الواردة في عجز البيت، (تيهًا وعُجبًا ويكسوها الهنا حُلَلا).

قال الشاعر السوري بطرس كرامة مادحًا:

يُغَرِّدُ العَدْلُ فِي سَاحَاتِهِ طَرَبًا ... وَيَرْتَعُ الأَمْنُ فِي رَوْضَاتِهِ مَرَحَا

شبه الشاعر في الشطر الأول العدل بالطائر المغرد، على سبيل الاستعارة المكنية، غير أنه رشَّح استعارته بإضافة كلمة (طربا) وهي كلمة تلائم المشبه به، وفعل مثل ذلك في الشطر الثاني، حيث شبه الأمن بالظبي على سبيل الاستعارة المكنية أيضا، وقوّى العلاقة بين المشبه والمشبه به بذكر كلمة (مرحا) على سبيل الترشيح.

وقال كرامة مادحًا أيضًا:

مَنْ أَخْصَبَ العَدْلُ فِي أَيَّامِهِ وَزَهَتْ ... رِيَاضُهُ فَاجْتَنَاهَا النَّاسُ أَثْمَارَا

شبه الشاعرُ العدلَ هذه المرة بالروض، على سبيل الاستعارة المكنية، ولكن بعد أن ذكر قرينة الاستعارة، وهي (أخصب) قفّى الشاعرُ استعارته بعبارات تختص بالمشبه به المحذوف، أي تختص بالرياض، وهي: (زهتْ رياضه، واجتناها الناس أثمارًا).

قال أمير الشعراء في مدح خاتم الأنبياء[1]:

لِي فِي مَدِيحِكَ يَا رَسُولُ عَرَائِسٌ ... تُيِّمْنَ فِيكَ، وشَاقَهُنَّ جَلَاءُ[2]

هُنَّ الحِسَانُ، فَإِنْ قَبِلْتَ تَكَرُّمًا ... فَمُهُورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسْنَاءُ

لاحظ أن شوقي شبه قصائده في مدح الشفيع بالعرائس علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وبغرض تقوية علاقة المشابهة بين المشبه (القصائد)، والمشبه به (العرائس) ذكرَ شوقي زُمرة من التراكيب والعبارات تلائم المشبه به، وهي: (تُيِّمْنَ فيك)، (شَاقَهُنَّ جَلَاء)، (هُنَّ الحِسَان)، (مُهُورُهُنَّ شَفَاعَة).

قال الشاعر المصري عبد الله فكري في مدح شكيب أرسلان:

فَتًى خَطَبَ العُلَا وَصَبَا إِلَيْهَا ... فَكَانَ لَهَا صَبَاهُ خَيْرَ مَهْرِ

فالشاعر قد شبه العلياء بالمرأة علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (خطب)، نقول إن هذه الاستعارة المكنية قد استوفت قرينتها، فلماذا ذكر الشاعر عبارة (صَبا إليها)، وعبارة (خير مَهر)؟ إنهما عبارتان تلائمان المشبه به المحذوف، وتعزّز حقيقته، فلولا أنّ الشاعر كان قصدُه نسيانَ التشبيه وإنكارَه لما كانت لهذه الإضافة أيّ معنىٰ.

(١) حين مرض أمير الشعراء أحمد شوقي مرضا شديدا في أيامه الأخيرة فوجئ بخادمه يخبره أن فضيلة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر يريد لقاءه، فهب شوقي واقفًا، وهرول للقاء الإمام الأكبر، فلما قابله ورحب به، سأله عن سبب تشريفه بالزيارة، فكان جواب شيخ الأزهر: «جئتك مأمورا من رسول الله ﷺ، فقد زارني النبي ﷺ الليلة الماضية، وأمرني أن آتي إليك، وأخبرك أنه ﷺ في انتظارك». وبعدها بأيام قليلة توفي شوقي في ١٤ من أكتوبر ١٩٣٢م، ومنذ وفاته لم يكن فضيلة الشيخ العلامة محمد متولي الشعراوي يذكره إلا ويقول: «لا تقولوا شوقي رحمه الله، ولكن قولوا شوقي رضي الله عنه فوالله لم يمدح النبيَّ **شاعرٌ** بمثل ما مدحه شوقي».

(٢) شاقه الحب: هاجه.



قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

وِلِي فِي الهوى شمسٌ إذا هي أشرقتْ رأيتَ بها سُحْبَ الأسَى كيفَ تُقْشَعُ

شبه الشاعر محبوبته بالشمس، ولم يُخف ذلك، بل صرح به، وحذف المشبه، والقرينة (الهوىٰ)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، الأهم من ذلك أن الشاعر ذكر بعد ذلك حزمة من الكلمات، جميعها تختص وتلائم المشبه به، أي تلائم الشمس، وهي: (أشرقتْ، سحب الأسىٰ، تُقشع). كلُّ ذلك من أجل ادّعاء التطابق بين المشبه (المرأة)، والمشبه به (الشمس).

قال الشاعر القروي في وصف سفينة (تيتانيك):

عِنْدَمَا سُلْطَانَةُ البَحْرِ سَرَتْ لَيْلَةً تَزْهُو بِأَبْهَى الحُلَلِ

فالشاعر قد شبه السفينة بالسلطانة، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (البحر)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، غير أنه لم يضف عبارة (تزهو أبهىٰ الحلل)، وهي عبارة تلائم المشبه به أي السلطانة، إلا ليزيد ذلك من تناسي المعنىٰ الأصلي، وإيهام السامع أن هذا الادعاء المجازي إنما هو حقيقة لا محض تشبيه.

قال ناصيف اليازجي في قصيدة بعث بها إلىٰ محمد عاقل أفندي:

وكَمْ بِكْرِ فِكْرٍ مِنْهُ عَذْرَاءَ أَنْجَبَتْ بِنَسْلٍ وَمَا قَدْ مَسَّهَا قَطُّ مِنْ بَعْلِ

الشاعرُ يشبه قصيدة صديقه بالمرأة، ويحذف المشبه به، ويبقي علىٰ قرينتها (بِكَر)، أي أن هذه الاستعارة قد استوفت القرينة، ثم أتىٰ الشاعر بعد ذلك بكوكبةٍ من الكلمات، وهي: (عذراء، أنجبت، نسل، بعل)، وهي كلمات تلائم المشبه به المحذوف، لا المشبه، فما يدّعيه الشاعرُ ليس تشبيها أو مجازًا، بل هو الحقيقة بعينها.

قال إسماعيل صبري متغزلًا:

تَبَسَّمَتْ عَنْ جَوْهَرِ العِقْدِ فَأَكْثَرَتْ عَيْنِي مِنَ النَّقْدِ

تأمل كيف شبه الشاعر ثغر محبوبته بالجواهر المنظومة في العقود، حيث حذف المشبه، وصرح بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية، ثم يقول إنه قد أكثر من التأمل في تلك الجواهر، ليتعرّف أغلاها وأنفسها، لعلك أدركت أن عبارة الشطر الثاني هي عبارة تلائم (الجواهر)، أي تلائم المشبه به، وذلك ما يجعلك تدرك أنّ الاستعارة تصريحية مرشحة.

قال بشارة الخوري مخاطبًا (فلسطين):

نَحْنُ يَا أُخْتُ عَلَى العَهْدِ الَّذِي قَدْ رَضَعْنَاهُ مِنَ المَهْدِ كِلَانَا

شبه الشاعرُ العهدَ باللَّبن، وحذف المشبه به، وترك قرينته (رضعناه)، ثم أتى بلفظ (المهد)، وهو لفظ يلائم المشبه به، وهذا اللفظ وظيفتُه تقوية دعوى الشاعر بأنّ العهد لبنٌ حقيقيّ، بذلك تكون استعارة الشاعر مكنية مرشّحة.

قال محمود غنيم:

شَرَفُ العُرُوبَةِ بَاتَ وَهْوُ مُلَوَّثٌ بِالعَارِ، لَا تَلْبَسْهُ حَتَّى يَطْهُرَا

شبه الشاعر الشرف بالثوب، وحذف المشبه به وترك القرينة (ملوّث)، ثم ماذا صنع الشاعر؟ أضاف عبارة (لا تلبسه حتى يطهُرا)، وهي عبارة تقوّي دعوى الشاعر بأنّ الشرف ثوبٌ حقيقيّ، لا مجرَّد مجاز.

وقال غنيم في وصف الحرب العالمية الثانية:

أَرَأَيْتَ إِذْ وُلِدَ السَّلَامْ فَنَعَوْهُ مِنْ قَبْلِ الفِطَامْ

وَمَضَى شَهِيدًا مَا لَهُ قَبْرٌ يُزَارُ وَلَا مَقَامْ

شبه الشاعرُ السلامَ بالإنسان، وحذف المشبه به، وترك القرينة (وُلد)، على

سبيل الاستعارة المكنية، فالاستعارة بهذا الوضع قد استوفت قرينتها، لكن الشاعر أتىٰ بطائفة من الكلمات التي تناسب المشبه به (الإنسان)، وهي: (نعوه، الفطام، شهيدا، قبر، مقام)، وذلك من أجل ترشيح الاستعارة.

قال علي الجارم:

بَسَمَتْ لَهُ الدُّنْيَا وأَشْرَقَ وَجْهُهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا عَبَسَتْ لِطُولِ نُوَاحِهَا

الشاعرُ شبه الدنيا بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (بَسَمَتْ)، فالاستعارة قد استوفت قرينتها، ثم أضاف إلىٰ هذه الاستعارة ما يلائم الإنسان، أي ما يلائم المشبه به: (أشرق وجهها)، (عبستْ)، (نواحها) تقويةً لادّعاءِ اتّحادِ الطرفين.

وقال علي الجارم:

قَدْ غَرَسْتَ الوَلاءَ في كُلِّ قَلْبٍ ... فَتَفَيَّأْ فِي ظِلِّهِ مَمْدُودَا

حيث شبه الولاءَ بالشجرة، وحذف المشبه به، وترك القرينة (غرسْتَ)، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ثم ذكر ما يلائم المشبه به في عجز البيت.

ومن استعارات الجارم المرشحة قوله في مدح الملك فاروق:

وَزَهَتْ بِهِ العَزَمَاتُ بَعْدَ ذُبُولِهَا ... وَصَحَتْ بِهِ الآمَالُ بَعْدَ رُقُودِ

الشاهد في الاستعارة المرشحة: (بعد ذبولها) - (بعد رُقود).

قال محمد العيد آل خليفة في وصف مدينة الجزائر:

البَرُّ والبَحْرُ فِي أَكْنَافِهَا اعْتَنَقَا ... وَوَاصَلَا قُبَلًا فِيهَا فَمًا بِفَمِ

فالشاعر قد شبه البرّ والبحر بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (اعتنقا)، لكنه رشح استعارته حين صبغ عجز البيت كاملًا بما يلائم المشبه به .

قال إيليا أبو ماضي بعد زوال الدولة العثمانية:

واسْتَأْسَدُوا لَمَّا رَأَوْا لَيْثَ الشَّرَى عَافَ الزَّئِيرَ وقَلَّمَ الأَظْفَارَا

فالشاعر شبه الدولة العثمانية بالليث، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، فالاستعارة تصريحية، ثم ذكر ما يلائم المشبه به أي (الليث)، وهي عبارة: (عاف الزئير، وقلّم الأظفار). فالاستعارة تصريحية مرشحة.

ومن نماذج الاستعارة المرشحة في النثر قول نزار قباني في معرض حديثه عن القوميّة: «قَبْلَ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ العَالَمُ العَرَبِيُّ فِي غَيْبُوبَةٍ جُزْئِيَّة، وكَانَ الشَّلَلُ نِصْفِيًّا، أَمَّا الآنَ فإِنَّ الجَسَدَ العَرَبِيَّ فَقَدَ حَسَاسِيَتَهُ القَوْمِيَّةَ نِهَائِيًّا، فَهُوَ لا يُحِسُّ بِآلَافِ المَسَامِيرِ التي تُغْرَزُ فِيه، ولا بِآلافِ السَّكَاكِينِ التي تَعْمَلُ فِيهِ بَتْرًا وقَطْعًا».

شبه نزار قباني العالمَ العربيَّ بشخصٍ ينام منذ سنوات في غرفة الإنعاش، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه (في غيبوبة)، وهي قرينة الاستعارة المكنية، ثم ذكر ما يلائم تلك الحالة المرَضيّة من قبيل: الشّلل النّصفيّ، وفقدان الحساسية بالجسد، والبتر، والقطع، وتلك عبارات من قاموس الطبّ، تلائم الشخص الذي يرقد على سرير المرض، أي تلائم المشبه به، كل تلك العبارات التي رشح بها الاستعارةَ كان هدفُ الشاعر من ورائها تقويةَ علاقة المشابهة بين العالم العربي، والشخصِ المغيّبِ الوعي، والادّعاء بأنّ المشبه هو عين المشبه به.

٢) الاستعارة المجردة:

وهِيَ أَنْ يَأْتِيَ الكَاتِبُ، أو الشَّاعِرُ بِعِبَارَاتٍ، أَوْ أَوْصَافٍ تُلائِمُ المُشَبَّه، أي «هِيَ الَّتِي اقْتَرَنَتْ بِمَا يُلائِمُ المُسْتَعَارُ لَه، وذَلِكَ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ القَرِينَة»[١]،

---

(١) علم البيان المرجع السابق (ص ٢٠٧).

ولقد سُمّيتْ هذه الاستعارة (مُجَرَّدة) لتجريدها من المبالغة، والتّجريدُ كما قال البلاغيون يُنزل الاستعارةَ إلىٰ مستوىٰ التشبيه، ويُضعف ادّعاءَ التطابق، أو الاتّحاد بين المشبه، والمشبه به.

مثل قولنا: «رَأَيْتُ الأَسَدَ فِي وسطِ المَعْرَكَةِ يُبِيدُ الأَعْدَاءَ بِرَشَّاشِه، ويُفَجِّرُ الدَّبَابَاتِ بِقَنَابِلِه»، فقد شبهنا الجنديَّ بالأسد، وصرحنا بالمشبه به، وحذفنا المشبه، والقرينة (وسط المعركة)، ثم ذكرنا عبارتين: (يبيد الأعداء برشّاشه)، و(يفجّر الدبابات بقنابله)، وهما عبارتان تلائمان المشبه (الجندي)، وذلك إضعافًا لعلاقة المشابهة بين الطرفين، وكي نذكّر أنّ الأمر لا يخرج عن دائرة المجاز.

شواهد الاستعارة المجردة:

قال ناصيف اليازجي في الرثاء:

بَحْـرٌ حَـوَاهُ الـنَّعْشُ فَـوْقَ مَنَاكِـبٍ تَسْـعَى ولـمْ نَعْهَـدْ كـذاكَ الأَبْحُـرَا

شبه الشاعر الفقيد بالبحر، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به، والقرينة (النعش)، فالاستعارة تصريحية، ثم ذكر عبارة (مناكب تسعىٰ)، وهي عبارة تلائم المشبه (الفقيد)، وذلك إضعافا لعلاقة المشابهة بين الطرفين، وكي نذكّر أنّ الأمر مجاز لا أكثر.

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في الرثاء:

كَـأَنَّ بُيُـوتَ الشِّـعْرِ شَـاطَرْنَنِي الأَسَى فَقَدْ أَوْشَـكَتْ تَعْصَى-عَلَـيَّ شُـطورُهَا

شبه الشاعر أبيات الشعر بالإنسان، والقرينة (شاطرنني الأسىٰ)، ثم ذكر كلمة (شطورها)، وهي كلمة تلائم المشبه (أبيات الشعر)، فالاستعارة بهذا الشكل مكنية مجردة.

قال علي الجارم:

حَارَ القَرِيضُ وَكَيْفَ أبْلُغُ غَايَةً ... هِيَ فَوْقَ طَوْقِ يَرَاعَتِي وَجُهُودِي؟

فالشاعر كما ترىٰ قد شبه القريض بالإنسان، وحذف المشبه به، وأبقىٰ علىٰ صفة دالّة عليه، وهي (حار)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ثم ذكر الشاعر لفظة (يراعتي)، وهي لفظة تلائم المشبه (القريض)، وهي اللفظة التي أدّت إلىٰ (إنْحاف) علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه.

قال خليل مطران في الرثاء:

وَمَشَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ طَوْدًا ... حَمَلَتْهُ أَيْدٍ عَلَى أَعْوَادِ

شبه الشاعر مرثيّه بالطود، وصرح بالمشبه به، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، لكنه عاد وأتىٰ بعبارة (حملته أيدٍ علىٰ أعواد)، وهي عبارة تلائم الإنسان الميت، أي تلائم المشبه، وهي العبارة التي أدّت إلىٰ إضعاف علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه.

قال محمود سامي البارودي:

هَلِ اكْتَحَلَتْ عَيْنَايَ إلَّا بِمَدْمَعٍ ... إذَا ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ سَالَ عَلَى خَدِّي؟

حيث شبه البارودي دموعهُ بالكُحْل، والقرينة (اكتحلت)، ثم ذكر عبارة (سال علىٰ خدي)، وهي عبارة تلائم الدموع، أي تلائم المشبه لا المشبه به، وبذلك تكون الاستعارة مكنية مجردة.

٣) الاستعارة المُطْلقة:

وهِيَ الَّتِي تَخْلُو مِمَّا يُلائِمُ المُشَبَّه، أو المُشَبَّهَ بِه، أي «الَّتِي لَمْ تَقْتَرِنْ بِمَا يُلائِمُ المُسْتَعَارَ لَه، ولا المُسْتَعَارَ مِنْه»[١].

---

(١) علم البيان المرجع السابق (ص ٢٠٦).



شواهد الاستعارة المطلقة:

قال الشاعر القروي في حكمة مأثورة مزيَّنةٍ بدرر منثورة:

مَا مَاتَ حَقٌّ فتًى لَهُ زَنَدٌ لَهُ ... كَفٌّ لَهَا سَيْفٌ لَهُ حَدَّانِ

حيث شبه القروي الحق بالإنسان، والقرينة (مات)، لكن الشاعر قد اكتفىٰ بالقرينة، وخلتْ استعارته من ملائمات المشبه، أو المشبه به.

ومنها قول مفدي زكريا عن حبيبته الجزائر:

ويَا مَنْ سَكَبْتِ الجَمَالَ بِرُوحِي ... ويَا مَنْ أَشَعْتِ الضِّيَاءَ بِدَرْبِي

هذا هو النوع الأول من الاستعارة المطلقة، وهو النوع الذي تخلو فيه الاستعارة من ملائمات المشبه، أو المشبه به.

أمّا النوع الثاني من الاستعارة المطلقة فهي تلك التي تجمع بين ما يلائم المشبه به، وما يلائم المشبه، بعبارة أخرىٰ هي التي تجمع بين التّرشيح، والتّجريد. بهذا الاجتماع يقول علماءُ البيان: إنّ ما يلائم المشبه (التجريد)، وما يلائم المشبه به (الترشيح) قد تعادلا، لذلك يتساقطان، فنقول إنّها مطلقة، لا مجرّدة، ولا مرشّحة.

قال الشاعر المصري حسن كامل الصيرفي:

وَالشُّهْبُ مِنْ تِلْكَ اللِّحَاظِ تَتَابَعَتْ ... يَا وَيْحَ مَنْ رَجَمْتَهُ بِالإيمَاءِ

حيث شبه الشاعر نظراتِ المحبوبة بالشهب علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة (اللحاظ)، ثم ذكر ما يلائم المشبه به (الشهب)، وهي كلمة (رجَمَتْهُ)، ولم يكتف بذلك، بل أضاف ما يلائم المشبه (النظرات)، وهي كلمة (الإيماء)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية المطلقة.

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي:

ظَبْيَاتُ شِعْرِي فِي ثَنَاهُ أَوَانِسٌ   تَسْبِي الخَوَاطِرَ لَفْتَةً وَلِحَاظَا
ظَرُفَتْ مَعَانِيهَا وَلَا بِدْعًا إِذَا   حَسَدَ الكَوَاكِبُ هَذِهِ الأَلْفَاظَا

فالشاعر قد شبه قصائده بالظبيات علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، ثم جاء بعبارة (تسبي الخواطر لفتة ولحاظا)، وهذا ما ندعوه ترشيحًا، ثم ذكر لفظتي (المعاني)، و(الألفاظ)، وهذا ما ندعوه تجريدًا. نقول إن استعارة الشاعر مطلقة، لا مرشحة ولا مجردة.

قال شاعر مصر الكبير محمد توفيق علي:

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَبْلَهُ مُتَرَنِّمًا   بَيْنَ الحَمَائِمِ نَاطِقًا بِالضَّادِ

حيث شبه الشاعر ممدوحه بالبلبل المترنم علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، أما قوله (بين الحمائم) فهو ترشيح للاستعارة، لأنها عبارة تلائم المشبه به (البلبل)، وفي قوله (ناطقا بالضاد) تجريدٌ للاستعارة، لأنها عبارة تلائم المشبه (الممدوح).

ومنها قول الشاعر المصري عبد الله فكري مادحًا:

بِذِكْرِكَ يَخْتَالُ القَرِيضُ وَتَنْثَنِي   قَوَافِيهِ فِي كِبْرٍ عَلَى سَائِرِ الشِّعْرِ

حيث شبه الشاعر القريض بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (يختال)، فالاستعارة بهذا استوفت قرينتها، والملاحظ أن الشاعر أتىٰ بكلمة (تنثني) أي تتباهىٰ، وهي كلمة تلائم المشبه به، أي تلائم الإنسان، وهذا ما نسميه ترشيحًا، مباشرة بعد ذلك ذكر عبارة (سائر الشعر)، وهي العبارة التي تلائم المشبه أي تلائم (القريض)، ومنه تكون الاستعارة مطلقة.

ومن هذا النوع من الاستعارة قول حافظ إبراهيم في تهنئة الخديوي عباس بالعيد:

أَزُفُّ فِيــهِ إِلَى العَبَّــاس غَانِيَــةً عَفِيفَـةَ الخِـدْرِ مِـنْ آيَـاتِ عَـدْنَانِ

شبه حافظ إبراهيم قصيدته بالغانية، وصرح بالمشبه به، ثم ذكر ما يلائم المشبه به، وهي عبارة (عفيفة الخدر)، وهذا ترشيحٌ للاستعارة، ثم لم يكتف بذلك، بل أتىٰ بعبارة تلائم المشبه، وهي عبارة (آيات عدنان)، وذلك تجريدٌ للاستعارة، ومنه تكون استعارة الشاعر تصريحية مطلقة.

ومثالها في النثر قول مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «مَا لِهَؤُلَاءِ النَّظَّامِينَ لَا يَهْدَؤُونَ سَاعَةً وَاحِدَةً عَنْ تَصْدِيعِ رُؤُوسِنَا، وتَمْزِيقِ أَفْئِدَتِنَا بِهَذِهِ الصَّوَاعِقِ الَّتِي يُمْطِرُونَهَا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ سَمَاءِ الصُّحُفِ».

فالكاتب كما رأيت قد شبه قصائد هؤلاء النظامين بالصواعق، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، ثم ذكر ما يلائم المشبه به، وهي كلمة (يمطرونها)، وهذا ما نسميه ترشيحا، كما ذكر ما يلائم المشبه، وهي كلمة (الصحف)، وهذا ما نسميه تجريدا، وبالتالي فالاستعارة مطلقة، لا مرشحة ولا مجردة.

نستنتج في الأخير أنّ التّرشيح أبلغُ منَ التّجريد والإطلاق، والاستعارة المرشحة تمثل الإفراط في المبالغة، بينما المجردة تمثل التفريط في المبالغة، والمطلقة قد أمسكت بعصا الاستعارة من وسطها.





التطبيق

ميِّز بين الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة في النماذج الآتية، مع التعليل:

١- قال الشاعر شكيب أرسلان في مدح محمود سامي البارودي:

تَغْـدُو المَعَـانِي حُوَّمًـا حَـتَّى إذَا ... سَـامَيْنَ فِكْرَتَـهُ هَـبَطْنَ بِمَوْقِـعِ

٢- قال علي الجارم في وصف صحراء (سيناء):

تُطـلُّ مِـنْ حَوْلِهـا الكُثْبَـانُ نَاعِسَـةً ... يَمْـدُدْنَ طرْفًـا كَلِـيلًا ثُـمَّ يُغْفِينَـا

٣- وقال علي الجارم في تهنئة الملك فاروق بجلوسه علىٰ العرش:

لَـمْ نَـرَ البَـدْرَ قَبْلَـهُ يَعْتَلِـي العَـرْ ... شَ ويُمْسِـي الجَـلَالُ مِـنْ هَالَاتِـهْ

٤- قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

وَبِي الَّـتِي يـأبَىٰ لَهَـا جَمَالُهَـا ... أنْ تصْـدَأ الألْحَـاظُ فِي أغْمَادِهَـا

تَـرَىٰ حَيَـاةَ العَاشِـقِينَ تنْطَفِـي ... وَلَا تَمَـلُّ الـنَّفْخَ فِي رَمَادِهَـا

٥- قال محمود غنيم:

وَمَهْـرُ المَجْـدِ إنْ تَخْطِبْـهُ غَـالٍ ... وَبَعْـضُ المَهْـرِ مَـوْتٌ واحْتِضَـارُ

٦- وقال محمود غُنيم متحدثا عن أبنائه:

لَيْتَنِـي أسْـقِيهِمْ تَجَـارِبَ عُمْـرِي ... فِي إنَـاءٍ، وأَيْـنَ هَـذَا الإنَـاءُ؟

٧- وقال غنيم في قصيدة (تحية لبنان) مشيرًا إلىٰ الشيخ ناصيف اليازجي:

اليَّـازِجيُّونَ رَاضَ الشِّـعْرَ رَائِضُـهُمْ ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا جَمَحَـتْ للشِّـعْرِ أوْزَانُ

٨- قال ناصيف اليازجي في الغزل:

فِي سَاحَةِ الحَيِّ مِنْ تَيْمَاءَ غِزْلَانُ لَهُنّ فِي الخِدْرِ لَا فِي الغَابِ أَوْطَانُ

٩- وقال ناصيف اليازجي:

هَيْهَاتِ مَا لِلْمَنَايَا هُدْنَةٌ أَبَدًا كَلَّا، ولَا عِنْدَهُنّ الأَشْهُرُ الحُرُمُ

١٠- وقال في وصف قصيدةٍ:

عَلِمْتُ أنَّ عَرُوسًا ضِمْنَ هَوْدَجِهَا لَمَّا تَنَسَّمْتُ مِنْهُ نَفْحَةَ الطِّيبِ

١١- قال الشاعر المصري علي الجندي:

أَدْرَكَ العُقْمُ قَبْلَهَا (الضَّادَ) واليَوْ مَ أَرَاهَا بَيْنَ اللُّغَاتِ وَلُودَا

١٢- قال معروف الرصافي يصف الأيام:

وإنَّ اللَّيَالِي بِالخُطُوبِ حَوَامِلٌ ولَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سَيَأْخُذُهَا الطَّلْقُ

١٣- وقال الرصافي مادحا:

فَتًى غَرَسَ المَكَارِمَ ثُمَّ مِنْهَا جَنَى ثَمَرَ العُلَا غَضًّا طَرِيَّا

١٤- قال بطرس كرامة في مدح صديق:

يُرِيكَ إِذَا هَزَّتْ يَرَاعًا بَنَانُهُ عُقُودَ جُمَانَاتٍ مَعَادِنُهَا الحِبرُ

١٥- قال إبراهيم ناجي في رثاء الأديب أنطون الجميّل:

صَائِدَ الدُّرِّ تَرَاهُ غَارِقًا فِي صَحِيفٍ، غَائِصًا فِي كُتُبِ

١٦- قال مفدي زكريا:

مَنْ يَشْتَرِي الخُلْدَ؟ إنَّ اللهَ بَائِعُهُ فَاسْتَبْشِرُوا وأَسْرِعُوا، فَالبَيْعُ

والرِّبْحُ يَا نَاسُ مَضْمُونٌ ومُدَّخَرٌ فِي مَصْرِفِ اللهِ، لَا فِي البَنْكِ مَرْصُودُ

١٧- قال الشاعر السوري سليمان الصولة واصفا لقاءه بمن يهوى:

فَيَـا لَهَـا سَـاعَةً مَـا كَـانَ أَحْسَـنَهَا ... لَاقَى سُـلَيْمَانُ فِيهَـا عَـرْشَ بَلْقِـيسِ

١٨- قال إبراهيم ناجي:

قَسَـمًا قَـدْ غَفَـا الجَـلَالُ لِيَصْـحُو ... مِـنْ جَدِيـدٍ فِي وَجْهِـكَ الوَضَّـاءِ



حل التطبيق

١- شبه الشاعر المعاني بالحمام مثلًا علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ثم أتىٰ في الشطر الثاني بكلمات تلائم الحَمام، أي تلائم المشبه به، وهي: (سَامَيْنَ فِكْرَتَهُ هَبطْنَ بموقِعٍ)، وذلك علىٰ سبيل الترشيح.

٢- شبه علي الجارم الكثبان بالمرأة التي تنام وتصحو، وحذف المشبه به، وترك القرينة (ناعسة)، أي أن الاستعارة قد استوفت قرينتها، ثم أتىٰ في عجز البيت بعبارات تلائم المشبه به المحذوف، أي تلائم المرأة، وهي: (يمددن طرفا كليلا ثم يُغفينا). ومنه فالاستعارة مكنية مرشحة.

٣- شبه علي الجارم الشاعر الملك فاروق بالبدر، وصرح بالمشبه به، ثم ذكر ما يلائم المشبه، أي الملك، وهي عبارة (يعتلي العرش)، وهذا ما نسميه تجريدا، ثم لم يكتف بذلك، فأتىٰ بما يلائم المشبه به، أي البدر، وهي كلمة (هالاته)، وذلك ما نسميه ترشيحًا، ومنه تكون استعارة الشاعر تصريحية مطلقة.

٤- شبه الرافعي في البيت الأول الألحاظ بالسيوف، وحذف المشبه به، وترك القرينة (تصدأ)، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ومن أجل تقوية العلاقة بين طرفي التشبيه ذكر الشاعر لفظة (أغمادها) وهي لفظة تلائم السيوف، أي تلائم المشبه به، وبالتالي فالاستعارة مرشحة. وفي البيت الثاني شبه حياةَ العاشقين بالنار، وحذف المشبه به، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (تنطفي)، ثم ذكر عبارة (لا تملُّ النفخ في رمادها)، وهي عبارة تلائم المشبه به المحذوف، مما يجعلنا نحكم بأن الاستعارة مرشحة.

٥- شبه محمود غنيم المجد بالمرأة، وحذف المشبه به، وترك القرينة (مَهر)، ثم ذكر لفظةً تختص بالمشبه به المحذوف من أجل تقوية العلاقة بين المشبه والمشبه به، وهي لفظة (تخطبه)، فالاستعارة مكنية مرشحة.

٦- شبه غنيم تجارب العمر بالماء علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (أسقيهم)، ثم ذكر عبارة (في إناء) من أجل ترشيح الاستعارة.

٧- شبه محمود غنيم الشعر بالمهر، وحذف المشبه به وترك القرينة (راض)، ثم أتىٰ بعبارة (من بعد ما جمحتْ للشعر أوزانُ)، وهي عبارة تلائم المشبه به المحذوف، أي تلائم المهر، فالاستعارة مكنية مرشحة.

٨- شبه ناصيف اليازجي الغيدَ الحسانَ بالغزلان علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، ثم ذكر كلمة (الخدر)، وهي كلمة تلائم المشبه المحذوف، أي تلائم الغيد الحسان، وبعدها ذكر كلمة (الغاب) وهي كلمة تلائم المشبه به، أي تلائم (الغزلان)، ومنه فالاستعارة مطلقة لا مرشحة ولا مجردة.

٩- شبه اليازجي المنايا بجيش من المحاربين، وحذف المشبه به، وترك قرينته (هدنة)، ومن أجل ادعاء التطابق بين المشبه والمشبه به ذكر عبارة (الأشهر الحُرُم)، وهي عبارة تلائم المشبة به المحذوف، فالاستعارة مكنية مرشحة.

١٠- شبه الشاعر رسالة صديقه بالعروس، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، ثم ذكر كلمة (الهودج)، وكلمة (الطيب)، وهما كلمتان تختصان بالمشبه به، أي (العروس)، فالاستعارة تصريحية مرشحة.

١١- شبه علي الجندي اللغة العربية بالمرأة، وحذف المشبه به، وترك القرينة (العقم)، ثم أتىٰ بلفظة تلائم المشبه به المحذوف، وهي لفظة (ولودا) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

١٢- شبه الرصافي الليالي بالنساء، وحذف المشبه به، وترك قرينته (حوامل)،



ومن أجل ادعاء التطابق بين المشبه والمشبه به أتىٰ بلفظة تلائم النساء الحوامل، وهي لفظة (الطلق) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

١٣- شبه الرصافي المكارم بالنبات، وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ومن أجل تقوية العلاقة بين المشبه والمشبه به جاء بعبارة (جنىٰ ثمر العلا غضا طريّاً)، وهي العبارة التي تختص بالمشبه به المحذوف، فالاستعارة مكنية مرشحة.

١٤- شبه الشاعر قصائد صديقه بعقود الجمان علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة (يراعا)، لكنه بعد استيفاء القرينة ذكر كلمة (الحبر)، وهي كلمة تلائم المشبه، لا المشبه به، وهو يوحي بإنْحال علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه، فالاستعارة تصريحية مجردة.

١٥- شبه الشاعرُ أفكار الممدوح بالدرر علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، ثم رشح الاستعارة بكلمة (غارقا)، ثم جرّدها بكلمة (صَحِيف).

١٦- شبه مفدي زكريا جنة الخلد بالسلعة، وحذف المشبه به، والقرينة (يشتري)، ثم ذكر بعد القرينة حفنة من الكلمات جميعها تختص بالمشبه به المحذوف، وهي: (بائعه، البيع، الربح، مدخر، المصرف، البنك)، وذلك من أجل ادعاء التطابق بين طرفي التشبيه، فالاستعارة مكنية مرشحة.

١٧- شبه الشاعر نفسه بسليمان نبيِّ الله، وشبه المحبوبة ببلقيس ملكةِ سبأ، غير أنه لم يأت علىٰ ذكر ما يلائم المشبه أو المشبه به، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية المطلقة.

١٨- شبه الشاعر الجلالَ بالإنسان، وحذف المشبه به علىٰ سُنَّة الاستعارة المكنية، والقرينة (غفا)، ثم ذكر لفظًا يلائم المشبه به المحذوف، وهو لفظ (ليصحو)، وذلك علىٰ سبيل الاستعارة المكنية المرشحة..



تمرين

تعرّفْ علىٰ الاستعارة المرشحة، والمجردة، والمطلقة في النماذج الآتية:

قال محمد المويلحي إمامُ السجع في العصر الحديث يصف ليلةً: «سَمِعْتُ صَدِيقِي يُنَادِينِي نِدَاءً مُتَتَالِيًا، فَقُمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا ومُلَبِّيًا، وطَلَبَ مِنِّي أَنْ نُحْيِيَ اللَّيْلَةَ بِالسَّمَر، وأَنْ أَقْتُلَهَا مَعَهُ بِالسَّهر، فَجَلَسْنَا نَتبَادَلُ أَطْرَافَ الحَدِيث، مِنْ قَدِيمٍ فِي الزَّمَنِ وحَدِيث، إِلَىٰ أَنْ صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرَيَاتِ الشَّبَاب، فَاسْتَهَانَتْ بِالإِزَارِ والنِّقَاب، ثُمَّ دَبَّ المَشِيبُ فِي فَوْدِهَا[1]، وبَانَ أَثَرُ البَيَاضِ فِي جِلْدِهَا، فَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنْثُورٍ ومَنْظُوم، مِنْ دُرَرِ الكَوَاكِبِ ولَآلِئِ النُّجُوم، وأَلْقَتْ بِالفَرْقَدَيْنِ مِنْ أُذُنَيْهَا، وخَلَعَتْ خَوَاتِيمَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدَيْهَا، ثُمَّ إِنَّهَا مَزَّقَتْ جِلْبَابَهَا، وهَتَكَتْ حِجَابَهَا، وبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَىٰ عَصَا الجَوْزَاء، تُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ البَقَاء، فَسَتَرَهَا الفَجْرُ بِمُلَاءَتِهِ الزَّرْقَاء، ودَرَجَهَا الصُّبْحُ فِي أَرْدِيَتِهِ البَيْضَاء، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الفَضَاء، وقَامَتْ عَلَيْهَا بَنَاتُ الهَدِيل، نَائِحَةً بِالتَّسْجِيعِ والتَّرْتِيل، ثُمَّ انْقَلَبَ المَأْتَمُ فِي الحَالِ عُرْسَ اجْتِلَاء، وتَغَيَّرَ النَّحِيبُ بِالغِنَاء، لِإِشْرَاقِ عَرُوسِ النَّهَار، وإِسْفَارِ مَلِيكَةِ البُدُورِ والأَقْمَار».

قال جبران خليل جبران في الحثِّ علىٰ العمل: «أُحِبُّ ذَلِكَ الَّذِي يَجِدُ فِي حَدِيقَةٍ وَرِثَهَا عَنْ أَبِيهِ شَجَرَةَ تُفَّاحٍ وَاحِدَة، فَيَغْرِسُ إِلَىٰ جَانِبِهَا شَجَرَةً ثَانِيَة، وذَلِكَ الَّذِي يَشْتَرِي كَرْمَةً تُثْمِرُ قِنْطَارًا مِنَ العِنَب، فَيَعْطِفُ عَلَيْهَا ويُدَلِّلُهَا، لِتُعْطِيَ قِنْطَارَيْن، أُحِبُّ الَّذِي يَحُوكُ مِنَ القُطْنِ قَمِيصًا، ومِنَ الصُّوفِ جُبَّةً، ومِنَ الحَرِيرِ

---

(١) الفود: جانب الرأس ممّا يلي الأذن.

رِدَاءً، وأُحِبُّ الحَدَّادَ الَّذِي مَا أَنْزَلَ مِطْرَقَتَهُ عَلَىٰ سِنْدَانِهِ إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهَا قَطْرَةً مِنْ عَرَقِه، وأُحِبُّ الخَيَّاطَ الَّذِي يَخِيطُ الأَثْوَابَ بِأَسْلَاكٍ مُشْتَبِكَةٍ بِأَسْلَاكٍ مِنْ نُورِ عَيْنَيْه، وأُحِبُّ النَّجَّارَ الَّذِي لَا يَدُقُّ المِسْمَارَ إِلَّا إِذَا دَفَنَ مَعَهُ شَيْئًا مِنْ عَزِيمَتِه».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «أَيُّهَا المُجْرِمُ الفَاتِكُ الذي يَسْلُبُ الأَجْسَامَ أَرْوَاحَهَا، إِنَّ شَرِيكَكَ فِي الجَرِيمَةِ أَبُوك، فَهُوَ الَّذِي غَرَسَ الجَرِيمَةَ فِي نَفْسِك، وتَعَهَّدَهَا بِالسُّقْيَا، حَتَّىٰ أَيْنَعَتْ، ونَمَتْ، وأَثْمَرَتْ».

قال نزار قباني معلّقا علىٰ غضبه في قصيدته (هوامش علىٰ دفتر النكسة): «هَلْ كَانَ عَلَيَّ يَا تُرَىٰ أَنْ أَنْتَظِرَ انْحِسَارَ مِيَاهِ الطُّوفَانِ حَتَّىٰ أَكْتُبَ عَنِ الطُّوفَان؟ وبِالتَّالِي هَلْ كَانَ عَلَىٰ الأَدَبِ العَرَبِيِّ أَنْ يَضَعَ أَعْصَابَهُ فِي ثَلَّاجَةٍ حَتَّىٰ تَرْحَلَ العَاصِفَة؟».

وقال أيضًا: «أَنَا مِنْ أُمَّةٍ تَتَنَفَّسُ الشِّعْر، وتَتَمَشَّطُ بِه، وتَرْتَدِيه».

وقال نزار قباني في قصيدة بعنوان (اعتذار لأبي تمام):

فَقُلْ لِي أَيُّهَا الشَّاعِرْ:

لِمَاذَا شِعْرُنَا العَرَبِيُّ قَدْ يَبُسَتْ مَفَاصِلُهُ

مِنَ التَّكْرَارِ وَاصْفَرَّتْ سَنَابِلُهُ؟

وَقُلْ لِي أَيُّهَا الشَّاعِرْ:

لِمَاذَا الشِّعْرُ حِينَ يَشِيخُ

لَا يَسْتَلُّ سِكِّينًا.. وَيَنْتَحِرُ؟

قال علي الجارم في وصف باخرة:

يَا حُسْنَهَا جَنَّةً فِي المَاءِ سَابِحَةً ... تَلْقَى النَّعِيمَ بِهَا وَالحُورَ وَالعِينَا

وقال الجارم في وصف أشجار النخيل:

مَاسَتِ البَاسِقَاتُ فِي ضِفَّةِ الوَا ... دِي وأَرْخَتْ شُعُورَهَا للرِّيَاحِ

وقال الجارم مادحًا:

فَلَكَمْ تَمَنَّى الدِّينُ طَالِعَ صُبْحِهِ ... واهْتَزَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ المِنْبَرُ

تَمْشِي المُنَى فِيهِ تَجُرُّ خِمَارَهَا ... خَفَرًا ويَزْهُوهَا الجَمَالُ فتُسْفِرُ

قال أبو القاسم الشّابي مخاطبًا الإنسان:

وكَمْ نَسَجْتَ مِنَ الأحْلَامِ أرْدِيَةً ... قَدْ مَزَّقَتْهَا اللَّيَالِي وَهْيَ تَبْتَسِمُ

وقال الشابي في قصيدة (صوت من السماء):

الفَجْرُ يُولَدُ بَاسِمًا، مُتَهَلِّلًا ... فِي الكَوْنِ، بَيْنَ دُجُنَّةٍ وَضَبَابِ

وقال الشابي في قصيدة (للتاريخ):

وَالحَقُّ مَقْطُوعُ اللِّسَانِ مُكَبَّلٌ ... وَالظُّلْمُ يَمْرَحُ مُذْهَبَ الجِلْبَابِ

وقال الشابي في رائعته (إلىٰ طغاة العالم):

وَرَوَّيْتَ بِالدَّمِ قَلْبَ التُّرَابِ ... وَأَشْرَبْتَه الدَّمْعَ حَتَّى ثَمِلْ

قال بطرس كرامة في ديوانه (سجع الحمامة):

وَصَادَقَتْهُ المَعَالِي وَهْيَ بَاسِمَةٌ ... تَهْتَزُّ حُبًّا لَهُ كَالشَّارِبِ النَّهِمِ

وله أيضًا في مادحا أحد الشعراء:

الشَّاعِرُ الفَرْدُ الَّذِي أَهْدَى لَنَا ... دُرَرَ البُحُورِ نُظِمْنَ فِي الأَوْرَاقِ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ حَمْلِ سَرِيرِهِ ... أَنَّ البُحُورَ تَحُلُّ فِي الأَخْشَابِ

قال الشاعر السوري أمين الجندي في المدح:

يَا خَاطِبَ العَلْيَاءِ ضَلَّ بِكَ السُّرَى ... أَقْصِرْ حِبَالَ رَجَاكَ فَهْيَ فَتَاتُهُ

قال محمد توفيق علي متغنيًا بجمال مصر:

وَيَحْسِدُ نَهْرُ الكَوْثَرِ العَذْبُ نِيلَهَا ... وَقَدْ رَاحَ فِي أَعْطَافِهَا يَتَصَبَّبُ

وقال محمد توفيق علي في مدح الشفيع:

وَتَرْتَدُّ عَيْنُ الشِّعْرِ عَنْكَ حَسِيرَةً ... كَلِيلَةَ لَحْظٍ نُورُهَا مُتَضَائِلُ

وقال محمد توفيق علي:

غَرَسَتْ هَوَاهَا فِي الفُؤَادِ فَلَمْ أَزَلْ ... أَسْقِيهِ مِنْ عَيْنِي حَتَّى أَوْرَقَا

قال عمر الأنسي:

عَرَائِسُ مِنْ خُدُورِ الشِّعْرِ زُفَّتْ ... بِلَا مَهْرٍ إِلَيْهِ وَلَا صَدَاقِ

قال مفدي زكريا:

وَسَيْفُكَ مِنْ فَوْقِ الغَلَاصِمِ سَاجِدٌ ... يُصَلِّي، وَلَكِنْ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُ

وقال مفدي زكريا مفتخرًا بشعره:

أَنَا مَنْ أَسْكَرَ الوُجُودَ بِأَنْغَا ... مِي، وَمَنْ هَزَّ عِطْفَهُ بِالتَّغَنِّي

قال إسماعيل صبري:

بِعُلَاكَ يَخْتَالُ الزَّمَانُ تَبَخْتُرَا ... وبِقَدْرِكَ الأَسْمَى يَتِيهُ تَكَبُّرَا

وقال إسماعيل صبري:

عَلَا ودَعَانِي لِلْمَدَائِحِ فَضْلُهُ ... فَنَظَّمْتُ حَبَّاتِ الكَوَاكِبِ فِي عِقْدِ

قال الشاعر محمد العيد آل خليفة في حسناء جزائرية ماتت في عزّ شبابها:

المَوْتُ جَاءَكِ خَاطِبًا فَرَضِيتِهِ ... زَوْجًا وبَاءَ بِصَدِّكِ الخُطَبَاءُ

فزُفِفْتِ فِي عُرْسٍ لِزَوْجِكِ صَاخِبٍ ... لَكِنْ خِضَابُكِ يَا عَرُوسُ دِمَاءُ

وقال محمد العيد في رثاء أحمد شوقي:

يَا أَمِيرِ الشِّعْرِ أَيْنَ غَوَانٍ ... مَا لَهَا إلَّا حِجَاكَ خُدُورُ؟

قال خليل مطران في وصف أدب الشيخ عبد الله البستاني:

يَصْطَادُ أَغْلَى الدُّرِّ مِنْ قَامُوسِهِ ... ومَنَالُهُ مِنْ أَقْرَبِ الشُّطْآنِ

قال محمود غنيم مفتخرًا بشعره:

ومِنَ الحُرُوفِ المُعْجَمَاتِ عَصَرْتُ ... مَا لَا يَعْصِرُ الخَمَّارُ مِنْ أَعْنَابِهِ

يَا عُصْبَةَ الأَدَبِ الحَدِيثِ سَلِمْتِ ... مِنْ ظُفْرِ الزَّمَانِ عَلَى الأَدِيبِ ونَابِهِ

قال محمود سامي البارودي:

تَبَسَّمَتْ فَجَلَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا ... يَاقُوتَةً أُودِعَتْ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرَرِ

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

أَنْتَ غَرَسْتَ الحُبَّ فِي أَضْلُعِي ... فَكَيْفَ لَا أَسْقِيهِ مِنْ أَدْمُعِي؟

قال إيليا أبو ماضي واصفا شِعره:

بَنَيْتُ فِرْدَوْسِي وزَخْرَفْتُهُ ... حَتَّى إذَا مَا تَمَّ ضَيَّعْتُهُ

أَجْرَيْتُ فِي أَنْهَارِهِ كَوْثَرًا ... فَذَاقَهُ النَّاسُ ومَا ذُقْتُهُ

قال نزار قباني:

أَلَا تَرَانِي بِبَحْرِ الحُبِّ غَارِقَةً ... والمَوْجُ يَمْضَغُ آمَالِي ويَرْمِيهَا؟

انْزِلْ قَلِيلًا عَنِ الأَهْدَابِ يَا رَجُلًا ... مَا زَالَ يَقْتُلُ أَحْلَامِي ويُحْيِيهَا

قال معروف الرصافي:

فَلَا عَجَبٌ أَنَّا نَرَى كُلَّ سَاعَةٍ ... أَكُفَّ المَنَايَا دَامِيَاتِ الأَظَافِرِ

قال حافظ إبراهيم مهنئًا ممدوحه بشفائه منْ مرضٍ ألمّ به:

لَبِسْتَ الشِّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا فَأَلْبَسْتَنَا ثَوْبًا مِنَ العِزِّ نَرْضَاهُ

وكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُهُ فَلَمَّا شَفَاكَ اللهُ أَهْدَأْتَ أَحْشَاهُ

وقال حافظ إبراهيم في مدح الأديب أمين الرافعي:

يَجُولُ بَيْنَ رِيَاضِ الفِكْرِ مُقْتَطِفًا مِنْ طِيبِ مَغْرِسِهَا وَرْدًا ورَيْحَانَا

فَيَنْشَقُ الذِّهْنُ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرَجًا وتُبْصِرُ العَيْنُ فَوْقَ الطِّرْسِ بُسْتَانَا

وقال حافظ إبراهيم مادحًا:

وأشْرَقْتَ فِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ زَائِرًا فَبَاتَ عَلَيْكَ النِّيلُ يَحْسُدُ زَمْزَمَا

ولحافظ إبراهيم:

فَمَا لِي أَرَى الأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا وحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ ودَبَّ سُقَامُ؟





الاسْتِعَارَةُ الأَصْلِيَّة والاسْتِعَارَةُ التَّبَعِيَّة

الاستعارة الأَصْلِيَّة: الاسْتِعَارَةُ تُعَدُّ أصْلِيَّةً إذا كَانَ اللَّفْظُ المُسْتَعَارُ، أو اللَّفْظُ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ اسْمًا جَامِدًا غَيْرَ مُشْتَقٍّ(١).

شواهد الاستعارة الأصلية:

قال الشاعر المصري عبد الله فكري:

وَعِنْدِيَ مِنَ الأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبُحْ بِهِ ... لِسَانُ يَرَاعٍ فِي مَسَامِعِ قِرْطَاسِ

حيث شبه الشاعر اليراع والقرطاس بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، أما اللفظان اللذان جرت فيهما الاستعارتان فهما (لسان، ومسامع)، وهما اسمان جامدان كما رأيت، مما يجعلنا نقول إن الاستعارتين أصليتان.

قال نزار قباني مخاطبًا (تونس الخضراء):

لَا تَعْذِلِينِي إنْ كَشَفْتُ مَوَاجِعِي ... وَجْهُ الحَقِيقَةِ مَا عَلَيْهِ نِقَابُ

في الشطر الثاني شبه الشاعر الحقيقة بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والملاحظ أن اللفظ المستعار (وجه) هو اسم جامد، فالاستعارة مكنية أصلية.

قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي:

مَا المَجْدُ إلَّا ابْتِسَامَاتٌ يَفِيضُ بِهَا ... فَمُ الزَّمَان، إذَا مَا انْسَدَّتِ الحِيَلُ

شبه الشَّابي في عجز البيت الزمان بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والملاحظ أن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة (فم) هو اسم جامد، فالاستعارة مكنية أصلية.

---

(١) علم البيان عبد العزيز عتيق (ص ١٨١).

قال رياض معلوف في وصف ليلةٍ مَاطِرة:

وعَيْنُ السَّمَاءِ تُرَقْرِقُ دَمْعًا عَلَى خَدِّ هَذَا الزُّجَاجِ النَّدِي

فقد شبه الشاعر (السماء) و(الزجاج) بالإنسان مثلا، على سبيل الاستعارة المكنية، ومن الملاحظ أن اللفظين اللذين جرت فيهما الاستعارتان هما اسمان جامدان، فالاستعارتان مكنيتان أصليتان.

ومن بدائع الاستعارة الأصلية التصريحية قول محمود غنيم:

لَئِنْ يَكُ تَحْتَ بَطْنِ الأَرْضِ كَنْزٌ فَكَمْ كَنْزٍ عَلَى قِمَمِ الجِبَالِ

وَإِنْ يَكُ فِي قَرَارِ البَحْرِ دُرٌّ فَكَمْ فِي سَطْحِهِ دُرَرٌ غَوَالِ

شبه الشاعر المناظر الطبيعية البديعة والخلابة في فصل الربيع، والتي تتراءى من قمة الجبل، وكذا من سطح البحر بالكنوز والدرر، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، والملاحظ أن اللفظين المستعارين (كنز، ودرر) اسمان جامدان، فالاستعارتان تصريحيتان أصليتان.

ومنها قول غُنيم في وصف الغيد الحسان على شاطئ البحر:

طَيَّبَ اللهُ خَاطِرَ الصَّحْرَاءِ أَصْبَحَ البَحْرُ مَرْتَعَ الآرَامِ

حيث شبه الشاعر الحسناوات بالأرام، ومفردها (ريم)، وهو الظبي الأبيض، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، وهي استعارة أصلية لأن اللفظ المستعار (آرام) وردَ اسما جامدًا.

ومن الاستعارات الأصلية ما غرد به بلبل سوريا بطرس كرامة:

أَبْكِي لَهُ مِمَّا لَقِيتُ مِنَ النَّوَى دُرَرًا، فَيَبْسِمُ عَنْ عُقُودِ جُمَانِ

نقول شبه الشاعر دموعه بالدرر على سبيل الاستعارة التصريحية، وشبه ثغر من يتغزل بها بعقود الجمان على سبيل الاستعارة التصريحية كذلك،

ولعلك لاحظت أن اللفظين الذين جرت فيها الاستعارة هما اسمان جامدان، وبالتالي فالاستعارتان تصريحيتان أصليتان.

ومنها قول محمود سامي البارودي يصف ليلة أنس رُفقة مَنْ يهوىٰ:

وكَيْفَ لا تَبْلُغُ الأفْلَاكَ مَنْزِلَتِي وَالبَدْرُ فِي مَجْلِسِي والشَّمْسُ فِي قَدَحِي؟

شبه البارودي المرأةَ الغانيةَ بالبدر، وشبه الخمرَ بالشمس، واللفظان المستعاران (البدر)، و(الشمس) اسمان جامدان يجعلان من الاستعارة تصريحية أصلية.

قال بشارة الخوري:

فَعُيُونُ النُّجُومِ تَرْنُو إلَيْنَا ولِسَانُ الدُّجَى يَكَادُ يَفُوهُ

شبَّهَ الشاعرُ النجومَ والليلَ بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (عيون، لسان)، ومما يلاحظ علىٰ الاستعارة أن اللفظين المستعارين (عيون، لسان) هما اسمان جامدان، فالاستعارتان بهذا الوضع تكونان أصليتين.

قال إيليا أبو ماضي:

فَتَحَ الفَجْرُ جَفْنَهُ فَإذَا الطُّوفَانُ يَغْشَى المَدِينَةَ البَيْضَاء

فالشاعر شبه الفجر بالإنسان أو الحيوان، والقرينة (جفن)، وهو من الأسماء الجامدة، فالاستعارة مكنيّة أصليّة.

قال معروف الرصافي في رثاء أستاذه محمود شكري الألوسي:

أمَّا العِرَاقُ فَأمْسَى الرَّافِدَانِ بِهِ سَطْرَيْنِ للدَّمْعِ مِنْ خَدَّيْهِ قَدْ سَالَا[1]

الشاعر شبه نهري دجلة والفرات بسطرين من الدمع علىٰ سنة التشبيه البليغ، ثم شبه العراق بالإنسان، وحذف المشبه به، والقرينة (خَدَّيْهِ)،

---

(١) الرافدان: دجلة والفرات.

والملاحظ أنّ اللفظ المستعار (خَدَّيْهِ) هو اسم جامد، وبالتالي تكون الاستعارة مكنية أصلية.

قال حافظ إبراهيم في مدح خليل مطران:

إنَّا لَنَلْهُو وإذْ نَجِدُّ وإنَّهُ ... لَيَجِدُّ إذْ يَلْهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ

حيث شبه حافظُ شعرَ مطران بالجُمان علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظ المستعار (جُمَانِه) هو اسم جامد، فالاستعارة تصريحية أصلية.

قال أحمد شوقي في واحدة من استعاراته النادرة:

فَلَم أَرَ قَبْلَهُ المَرِّيخَ مُلْقَىً ... ولَم أَسْمَعْ بِدَفْنِ النَيِّراتِ

لاحظ أن شوقي قد شبَّهَ مَرْثِيّهُ بالمرّيخ، وصرّح بذلك علنًا، وأكّد ذلك في عجز البيت، وهذا اللّفظ المستعار (المرّيخ) اسمٌ جامد كما لم يخْفَ عليك، وبالتالي نقول إنّ هذه الاستعارة تصريحية أصلية.

الاستعارة التَّبَعِيَّة: وهِيَ مَا كَانَ اللَفْظُ المُسْتَعَارُ فِيهَا اسْمًا مُشْتقًّا، أو فِعْلًا، أَوْ حَرْفًا[1].

شواهد الاستعارة التبعية:

شواهد الاستعارة التَّبَعِيّة في الاسم المشتق:

ومثالها في اسم الفاعل قول خليل مطران:

وَالأَرْضُ رَاقِصَةٌ والرِّيحُ عَازِفَةٌ ... وَالْجِدُّ يَمْزَحُ والأَخْطَارُ تَبْتَسِمُ

الشاهد في الاستعارة التبعية: (رَاقِصَة - عَازِفَة).

ومثالها في اسم المفعول قول حافظ إبراهيم:

فَاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا ... فَالمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلمُجِدِّ

(١) علم البيان بسيوني عبد الفتاح فيود (ص ١٩٦).

ومثالها في اسم الآلة قول خليل مطران في وصف ليلة زاهرة:

فَمَصَابِيحُ تَمْلَأُ الأَرْضَ نُورًا   وَمَصَابِيحُ مِثْلُهَا فِي السَّمَاءِ

حيث شبه الشاعرُ النجوم في الشطر الثاني بالمصابيح علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظ المستعار (مصابيح) هو اسم آلة كما ترىٰ.

ومنها في النثر قولُ مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «لَا مِحْرَاثَ لِلْقَلْبِ غَيْرُ الشِّعْرِ». فاللفظ المستعار (مِحْرَاث)، هو اسم آلة كما رأيت. ومثالها أيضا قول أحمد أمين: «لَقَدْ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ قَبْلَهُ يَحْمِلُ مِصْبَاحًا لِقَوْمِه، فَجَاءَ مُحَمَّدٌ يَحْمِلُ مِصْبَاحًا لِلْعَالَم». مشبهًا الهداية بالمصباح، ومصرّحًا بالمشبه به، فاللفظ المستعار (مِصْبَاح) كما ترىٰ اسم آلة علىٰ وزن (مِفْعَال).

ومثالها في اسم المكان قول مفدي زكريا يصف جمال الجزائر لجمال عبد الناصر:

هَا هُنَا مَصْنَعُ البُطُولَةِ وَالمَجْ   دِ، وَمَرْعَى الظِّبَا، وَمَهْدُ القَسَاوِرْ

الشاهد في الاستعارة التبعية: مَصْنَع، مَرْعَىٰ.

ومنها قول إسماعيل صبري مخاطبًا (نَزِيلَ فُؤَادِهِ):

رِفْقًا بِمَنْزِلِكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ   يَا مَنْ يُخَرِّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ

نقول: شبه الشاعر فؤاده بالمنزل علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظ المستعار كما هو واضح هو لفظ (منزل)، وهو اسم مكان كما رأيت.

ومثالها في اسم المكان أيضًا قول حافظ إبراهيم في مدح خليل مطران:

هَلْ لِلْخَيَالِ ولِلْحَقِيقَةِ مَنْهَلٌ   لَمْ يَبْغِهِ الرُّوادُ فِي دِيوَانِهِ؟

فاللفظ المستعار (مَنْهَل) هو اسم مكان كما ترىٰ، والمَنْهَلُ مَوْرِدُ المَاء.

ومثالها أيضًا قول حافظ مادحًا:

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أنْ تَدْأَبَا

لم يخفَ عليك أنّ اللفظ المستعار (مَرْقَد) هو اسم مكان علىٰ وزن (مَفْعَل).

ومثالها في الصفة المشبهة قول حافظ إبراهيم في رثاء محمود سامي البارودي:

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبَى لا تُطَاوِعُنِي؟ ومَا لِحَبْلِ القَوَافِي غَيْرُ مَمْدُودِ؟

فاللفظ المستعار (غَضْبَىٰ) صفةٌ مشبهةٌ علىٰ وزن (فَعْلَىٰ) التي مذكرُّها علىٰ وزن (فَعْلَان).

ومثالها في الصفة المشبهة علىٰ وزن (فَعْلَان) قول محمد العيد آل خليفة في وصف البادية:

والوَحْشُ سَلْوَانُ في الغَابَاتِ مُنْطَلِقُ وَالطَّيْرُ جَذْلانُ في الأوْكَارِ زَقْزَاقُ

فاللفظان المستعاران (سَلْوَان)، و(جَذْلَان) هما صفتان مشبهتان علىٰ وزن (فَعْلان).

ومثالها في الصفة المشبهة أيضًا قول الشاعر الجزائري في وصف «موسم الورد»:

انْظُرِ المَوْجَ هَادِيًا يَلْثُمُ الشُّطْآنَ صَحْوَ الأَدِيمِ، طَلْقَ المُحَيَّا

لاحظ أن اللفظين المستعارين (صَحْو، طَلْق) هما صفتان مشبهتان كلّ منهما علىٰ وزن (فَعْل).

ومثالها في اسم التفضيل قول قول الشاعر علي الجارم في وصف الإذاعة:

سِرْ يَا هَوَاءُ فَأَنْتَ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ وَاهْتِفْ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الصَّدَّاحِ

دَارَ الإذَاعَةِ، أَنْتِ أَمْرَحُ أَيْكَةٍ صَدَحَتْ، فَكَانَتْ أَيْكَةَ الأَفْرَاحِ

الشاهد: (أَوْطَأُ) - (أَمْرَحُ).

ومنها قول الشاعر المصري محمود غنيم:

لَعَمْـرُكَ قَـدْ يَكُـونُ المَـوْتُ أَحْـنَى   عَلَـى الأحْيَـاءِ مِـنْ أُمٍّ رَؤُومِ

اللفظ المستعار (أَحْنَىٰ) هو اسم تفضيل.

ومنها قول حافظ إبراهيم مخاطبًا نفسه:

فَهَـذَا فِـرَاقٌ بَيْنَنَـا فَتَجَمَّلِـي   فَـإِنَّ الـرَّدَى أحْلَـى مَـذَاقًا ومَطْعَمَـا

ومثالها في صيغة المبالغة قول علي الجارم:

ونَضْـحَكُ للـدُّنْيَا اللَّعُـوبِ وزُورِهَـا   ونَمْـرَحُ فِي زَهْـوِ الشَّـبَابِ ونَرْتَـعُ

اللفظ المستعار (لَعُوب) هو صيغة مبالغة علىٰ وزن (فَعُول).

ومنها قول محمد العيد آل خليفة:

حَيَّتْـكَ فِي البَـدْوِ كُـلُّ الكَائِنَـاتِ بِـهِ   الـرِّيحُ عَازِفَـةٌ والـرَّوْضُ صَـفَّاقُ

لعلك أدركت أن اللفظ المستعار (صَفَّاق) هو صيغة مبالغة علىٰ وزن (فَعَّال).

الاستعارة التبعيّة في الفعل: ومن أمثلتها قول محمد توفيق علي يصف روضةً:

شَـاهَدْتُ فِيهَـا الحُسْـنَ بَـاحَ بِسِـرِّهِ   وَالفَضْلَ - حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ - يُنَادِي

ومنها قول إيليا أبي ماضي في رثاء صديقه أمين الريحاني:

فَابْسِـمِي فَـوْقَ قَـبْرِهِ يَـا نُجُـومُ   وَتَـرَنَّمْ مِـنْ حَوْلِـهِ يَـا نَسِـيمْ

الاستعارة التبعية في الحرف: وتكثر هذه الاستعارة في كتاب الله، ومن أمثلتها قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[1]. لاحظْ أنّ لامَ التعليل في كلمة (لِيَكُونَ) لمْ تستعمل استعمالًا حقيقيًا، بل

---

(١) [القصص: ٨].



مجازيًا. فالتقاطُ موسىٰ ليس علَّةً حقيقيةً ليكون عدوًّا، بل علة ليكون مصدرَ عونٍ وأمنٍ. لذلك شبه اللهُ العونَ بالعداوة، ثم استعار اللام لعلةٍ غائيةٍ، لتدلّ مجازًا علىٰ العداوة.



التطبيق

ميز بين الاستعارات الأصلية، والتبعية مع التعليل في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمد توفيق علي في رثاء حافظ إبراهيم:

فَتَعَازَلَتِ الأَقْلَامُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَكَى الحُسَامُ وَنَاحَتِ الهَيْجَاءُ

٢- قال خليل مطران في رثاء أديبة لبنانية:

رَبَّةَ النُّبْلِ والجَمَالِ المَصُونِ هَلْ يَنَالُ الشُّمُوسَ رَيْبُ المَنُونِ؟

٣- قال بطرس كرامة متغزلا:

هَلَّا عَلِمْتِ بِأَنَّ قَدَّكِ نَاهِبٌ مِنَّا القُلُوبَ وَأَنَّ لَحْظَكِ خَاطِفُ

٤- قال عمر الأنسي:

وَمَا لِلْمَجْدِ قَدْ رَقَصَ ابْتِهَاجًا كَأَنَّ يَدَ السُّرُورِ سَقَتْهُ رَاحَا

٥- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

أَرْخِي النِّقَابَ فَنُعْمَايَ الحَنِينُ إِلَى ذَيَالِكَ الفَلَكِ البَادِي مِنَ الحَلَكِ

٦- قال مفدي زكريا يصف الزوارق في شاطئ الجزائر:

الحَالِمَاتُ عَلَى الشَّاطِئِ زَوَارِقُهُ العَابِثَاتُ، وَمَوْجُ البَحْرِ وَسْنَانُ

٧- قال محمود غنيم يصف مؤتمرًا:

مَنْ هؤُلاءِ بِدَارِ النَّدْوَةِ اجْتَمَعُوا؟ الدَّهْرُ يَنْظُرُ، وَالتَّارِيخُ يَسْتَمِعُ

٨- وقال غنيم في رثاء الشاعر علي الجارم:

عَرْشٌ يَنُوحُ أَسًى عَلَى سُلْطَانِهِ قَدْ غَابَ كِسْرَى الشِّعْرِ عَنْ إِيوَانِهِ

٩- وقال محمود غنيم في رثاء أحد القضاة:

بَكَتِ العَدَالَةُ يَوْمَ مَاتَ، كأنَّهُ صَخْرٌ بَكَتْهُ مُقْلَتَا خَنْسَائِهِ

١٠- قال معروف الرصافي:

بِلَادٌ بِهَا جَهْلٌ وفَقْرٌ كِلَاهُمَا أَكُولٌ شَرُوبٌ لِلْحَيَاةِ قَتُولُ

١١- قال خليل مطران في مدح أديبة لبنانية:

إنْ حَدَّثتْ أرْوَتْ ظِماءَ النُّهَى مِنْ مَنْهَلٍ، يَا طِيبَهُ مَنْهَلاَ!

١٢- وقال خليل مطران في شأن الأمة العربية:

جِرَاحُكِ فِي أكْبَادِنَا، وجِرَاحُنَا بِهَا المَجْدُ يُدْمَى والعُلَا تَتَأَلَّمُ

١٣- وقال مطران في وصف الفلاح المصري الفقير:

وإذَا مَا شَكَا هَوَاهُ أعَادَتْ مُرْضِعُ الحَقْلِ شَدْوَهُ بِالخَرِيرِ

١٤- قال مصطفى صادق الرافعي مفتخرا بقصيدته:

والطَّيْرُ قَدْ كَانَ فَوْقَ مِنْبَرِهِ عَيًّا، فَلَمَّا سَكَبْتُهَا صَدَحَا

١٥- قال محمود سامي البارودي:

يَا رَائِدَ الوُدِّ قَدْ صَادَفْتَ مُنْتَجَعًا بَيْنَ الجَوَانِحِ فَانْزِلْهُ ولَا تَرِمِ

١٦- قال علي الجارم واصفًا:

وَالزَّهْرُ فِي جِيدِ الرِّيَاضِ قَلَائِدٌ والنَّهْرُ فِي خَصْرِ الرِّيَاضِ حِزَامُ

١٧- قال إسماعيل صبري في الرثاء:

أَتَعْلَمُ عَيْنُ الرَّدَى مَنْ تُصِيبُ؟ وَتَدْرِي يَدُ المَوْتِ مَنْ تَضْرِبُ؟

١٨- قال علي الجندي بمناسبة حفل تكريم الأستاذ (زكي المهندس):

مَحْفِلٌ زَادَهُ السُّرُورُ وَقَارَا وتَجَلَّتْ فِيهِ البُدُورُ نَهَارَا

حل التطبيق

١- أتىٰ الشاعر بثلاث استعارات، حيث شبه (الأقلام، والحسام، والهيجاء) بالإنسان، والقرائن علىٰ الترتيب (تعازلت، بكىٰ، ناحت) وذلك علىٰ سبيل الاستعارات المكنية، والملاحظ أن الألفاظ التي جرت فيها الاستعارات: (تعازلت، بكىٰ، ناحت) هي أفعال، وبالتالي فالاستعارات الثلاثة هي استعارات تبعية.

٢- شبه الشاعر الأديبة الفقيدة بالشمس علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وهي استعارة أصلية لأن اللفظ الذي أجريت فيه الاستعارة (الشموس) هو لفظ جامد.

٣- شبه الشاعر في الشطر الأول (القدَّ) بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، واللفظ المستعار (ناهب) هو اسم فاعل، فالاستعارة تبعية، وفي الشطر الثاني شبه (اللحظ) بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، واللفظ المستعار (خاطف) هو اسم فاعل أيضا، فالاستعارة تبعية كذلك.

٤- شبه الشاعر في الشطر الأول المجد بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية التبعية، لجريانها في الفعل (رقصَ). وفي الشطر الثاني شبه السرورَ بالإنسان، واللفظ الذي جرت فيه الاستعارة (يد) هو اسم جامد فالاستعارة أصلية.

٥- شبه الشاعر وجه الحسناء بالفَلك، وشبه شعرها بالحلك (الليل) علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظان المستعاران (فلك، حلك) هما اسمان جامدان، فالاستعارتان أصليتان.

٦- شبه الشاعر الزوارق بالإنسان، علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (حالمات)، وهو اللفظ المستعار، وهو اسم فاعل، وبالتالي فالاستعارة تبعية، ثم شبه موج البحر بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية كذلك، والقرينة (وسنان)، وهذا اللفظ المستعار (وسنان) هو صفة مشبهة، فالاستعارة تبعية.

٧- شبه الشاعر في الشطر الثاني الدهر بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لجريانها في الفعل (ينظر)، وفي قوله (التاريخ يبتسم) استعارة مكنية تبعية لجريانها في الفعل (يبتسم).

٨- شبه الشاعر العرش بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لأنها جرت في الفعل (ينوح)، كما شبه مرثّيه بالسلطان علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وبما أن اللفظ المستعار (سلطانه) هو اسم جامد فالاستعارة أصلية، وفي الشطر الثاني شبه مرثّيه بـ (كسرىٰ) علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، لأن اللفظ المستعار اسم جامد، وشبه مملكة الشعر بالإيوان علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، لأن اللفظ الذي جرت فيه اسم جامد كذلك.

٩- شبه الشاعر العدالة بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لأنها جرت في الفعل (بكتْ).

١٠- شبه الرصافي الجهل والفقر بالإنسان علىٰ سبيل الاستعارة المكنية التبعية، لأن اللفظين المستعارين (أكول، شروب) هما صيغتا مبالغة.

١١- في قول الشاعر (ظماء النُّهىٰ) استعارة مكنية جرت في الصفة المشبهة، وفي قوله (من منهل) استعارة تصريحية أجراها الشاعر في اسم المكان، فالاستعارتان تبعيّتان.

١٢- شبه خليل مطران في هذا البيت المجد بالإنسان مثلًا وحذف المشبه



به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وقد أجرىٰ الشاعر الاستعارة في الفعل (يُدمىٰ) فالاستعارة بهذا الشكل تكون تبعية، كما شبه العلا كذلك بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لكون اللفظ المستعار فعلًا (تتأفف).

١٣- المقصود بـ (مُرضِع الحقل) السّاقية، فالشاعر قد شبه الحقلَ بالرضيع علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لكون اللفظ المستعار (مرضِع) اسم فاعل.

١٤- في الشطر الأول شبه الرافعي الغصن بالمنبر علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وبما أن الاستعارة قد جرت في اسم المكان (منبر) فهي استعارة تبعية، وفي الشطر الثاني شبه قصيدته بالماء مثلا، وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة تبعية لجريانها في الفعل (سكبتُها).

١٥- شبه البارودي قلبه بالمنتجع علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، وهي استعارة تبعية لأن اللفظ المستعار (مُنْتَجَع) هو اسم مكان علىٰ وزن مضارعه.

١٦- في الشطر الأول شبه علي الجارم الرياضَ بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ونوع هذه الاستعارة أصلية لأن اللفظ الذي جرت فيه (جِيد) هو اسم جامد، وفي الشطر الثاني شبه الرياض بالإنسان أيضا وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ونوعها أصلية كذلك، لأن اللفظ الذي جرت فيه (خَصْر) اسمٌ جامد.

١٧- شبه إسماعيل صبري الردىٰ (الموت) بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وهي استعارة أصلية لكون اللفظ المستعار (عين) اسما جامدًا، كما شبه الموت بالإنسان وحذف المشبه به علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وتلك استعارة أصلية لكون اللفظ المستعار (يد) اسما جامدًا.

١٨- شبه الشاعر علي الجندي الأدباء الحضورَ بالبدور، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، غير أن اللفظ المستعار (البدور) كان اسما جامدًا لا مشتقا، فالاستعارة تصريحية أصلية.

تمـرين

تعرّف علىٰ الاستعارات الأصليّة، والتبعيّة في النماذج البلاغية الآتية:

قال ميخائيل نُعيمة: «غَدًا تَعُودُ مَيَادِينُ الحَرْبِ حُقُولًا وغَابَاتٍ ومُدُنًا آهِلَة، فَيَخْطُو المِحْرَاثُ في أَثَرِ المِدْفَع، والثَّوْرُ في أثَرِ الدَّبَّابَة، وتَقْتَفِي الفَأْسُ الرَّصَاصَة، والمِطْرَقَةُ القُنْبُلَة، ويَعُودُ النُّورُ مِنْ مَنْفَاه، والّذين في الأَرْحَام يَبْرُزُونَ إلىٰ العَالَم، ولكنَّ كِبَارَهُمْ سَيُوَقِّعُونَ في خَلَدِهِمْ أنَّ عَالَمَ الأمْسِ غَيْرُ عَالَمِ اليَوْم، وأمَّهَاتِهِمْ سَيُرْضِعْنَهُمْ مَعَ اللَّبَنِ حُبَّ الانْتِقَام، وأمَّا اليَدُ الَّتِي عَلَىٰ المِحْرَاثِ فَسَتَبْذُرُ مَعَ كُلِّ حَبَّةٍ لَعْنَة، وَالّتي عَلَىٰ الفَأْسِ سَتَقْطَعُ مَعَ كُلِّ عُودٍ يَدًا، والّتي عَلَىٰ المِطْرَقَةِ سَتَسْحَقُ بِكُلِّ طَرْقَةٍ جُمْجُمَة، ولَوْ بِالخَيَال، وفِي مَكَانٍ مَا مِنْ بِلَادٍ مَا يَجْتَمِعُ جَمْهَرَةٌ مِنْ زُعَمَاءِ أُمَمِ الأَرْض، ويَنْكَبُّونَ عَلَىٰ أكْدَاسٍ مِنَ الأوْرَاقِ والخَرَائِطِ يُفَصِّلُونَ مِنْهَا أَرْضًا جَدِيدَةً لأُمَمٍ جَدِيدَة، فَلِلسِّعَايَاتِ طَنِينٌ ودَبِيب، وللمَطَامِعِ أزِيزٌ ولَهِيب، وللبُغْضِ فَحِيحٌ وزَئِير، وللرِّيَاءِ بَسَمَاتٌ صَفْرَاء، وقَهْقَهَاتٌ بَلْهَاء، أمَّا المَحَبَّةُ فالتَّلَفُّظُ باسْمِهَا مَجَازٌ، وأمَّا الحَقُّ فَمِمْسَحَةٌ لأرْجُلِ الدَّاخِلِينَ والخَارِجين».

قال محمد المويلحي: «مَا تَخَيَّلْنَا فِي هَذَا الرَّوْضِ مُذْ رَأَيْنَاهُ إلَّا أَنَّنَا فِي حَفْلَةِ عُرْس، جَمَعَتْ أَسْبَابَ اللَّهْوِ وأَطْرَافَ الأُنْس، قَدَ نَصَبَ الغَيْمُ عَلَيْهَا سُرَادِقَه، ومَدَّ مُلْتَفُّ النَّبَاتِ فِيهَا نَمَارِقَه، وأشْرَقَتِ الأغْصَانُ بِالأَنْوَار[1]، إشْرَاقَ المَصَابِيحِ بِالأَنْوَار، والأَفْنَانُ مُتَرَنِّحَةَ الأعْطَافِ مِنْ خَمْرِ النَّدَىٰ، مُهْتَزَّةَ القُدُودِ بِغَمْزِ الصَّبَا،

(١) الأنوار جمع نَوْر: وهو الزهر الأبيض.



تَبْسَمُ عَنْ أَقَاحٍ نَضِيد، يَزْرِي بِثَنَايَا الغِيد، ثُمَّ تَمِيلُ بِرَشِيقِ القَوَام، فَتَلْتَقِطُ مَا يَنْقُطُهَا بِهِ الغَمَام، والجَدْوَلُ يَجْرِي تَحْتَ أَذْيَالِهَا ويَتَعَثَّر، ويَنْسَابُ المَاءُ فِي ظِلَالِهَا ويَتَكَسَّر، كَأَنَّ حَصْبَاءَهُ اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَان، فِي نُحُورِ الحِسَان، أَوْ قَلَائِدُ العِقْيَان، فِي أَجْيَادِ القِيَان، ولَمَّا مُلِئْنَا مِنْ هَذِهِ الجَنَّةِ طَرَبًا، وقَضَيْنَا عَجَبًا، قُلْنَا: مَا شَاءَ الله، لا قُوَّةَ إِلَّا بِالله».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «يَنْظُرُ الغَدُ إلىٰ آمَالِنَا، وأَمَانِينَا نَظَرَاتِ الاسْتِهْزَاءِ والسُّخْرِية، قائِلا فِي نَفْسِه: لَوْ عَلِمَ جَامِعُ المَالِ أَنَّهُ يَجْمَعُ لِلْوَارِث، وعَلِمَ هَذَا البَانِي أَنَّهُ يَبْنِي لِلْخَرَاب، وعَلِمَ هَذَا الوَالِدُ أَنَّهُ يَلِدُ لِلْمَوْت، مَا جَمَعَ جَامِعٌ، ولا بَنَىٰ بَانٍ، ولا وَلَدَ وَالِد».

قال توفيق الحكيم في معرض حديثه عن دور الصحافة: «قَدِيمًا كَانَ النَّاسُ فِي البَدْوِ والحَضْرِ يَتَنَاوَلُونَ أَيْضًا غِذَاءَهُمُ العَقْلِيّ فِي كُلِّ حِين، لِأَنَّ البَشَرِيَّةَ لَمْ تَنْقَطِعْ يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الطَّعَامِ الذِّهْنِيّ، إِلَىٰ جَانِبِ الطَّعَامِ المَادِيّ، ولَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ صِحَافَةً يَوْمِيَّةً ولَا أُسْبُوعِيَّة، كَانَتْ تَعْرِفُ شُعَرَاءَ الحَيّ، وفَلَاسِفَةَ الأَسْوَاق، وكَانَ هَؤُلاءِ قَوْمًا مُمْتَازِين: أَنْبَتَتْهُمُ العَبْقَرِيَّةُ وأَرْضَعَهُمُ النُّبُوغ، هَكَذَا كَانَ المَطْبَخُ العَقْلِيّ فِي المَاضِي، فَهَلْ لَنَا أَنْ نَتَفَاءَلَ بِالمَطْبَخِ الحَدِيث؟».

قال نزار قباني:

أرواحُنا تَشْكُو الإفْلاس

هلْ نحنُ خَيْرُ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس؟

لوْ أنَّنا لمْ نَدْفِنِ الوِحْدَةَ في التُّرَاب

لوْ بَقِيَتْ في دَاخِلِ العُيون

والأهْدَاب

لَمَا اسْتَبَاحَتْ لَحْمَنَا الكِلَاب.

وقال نزار قباني:

قَبْلَ عَامٍ الْتَقيْنَا

كَانَ جُرْحِي لا يَزَالُ فِي طُفُولَتِه، وكَانَ حُزْنِي

لا يَزَالُ يَتَعَلَّمُ الكَلِمَاتِ الأُولَى.

قال بشارة الخوري واصفا جمال لبنان:

لُبْنَانُ كَمْ لِلْحُسْنِ فِيكِ قَصِيدَةٍ نَثَرَتْ مَبَاسِمَهَا عَلَيْهَا الأَنْجُمُ

كَيْفَ الْتَفَتَّ فَجَدْوَلٌ مُتَأَوِّهٌ تَحْتَ الغُصُونِ ورَبْوَةٌ تَتَبَسَّمُ

وقال الخوري يصف حسناء:

تَعَجَّبَ اللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ تُسَلْسِلُ النُّورَ فِي عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا

وَتَمْتَمَتْ نَجْمَةٌ فِي أُذْنِ جَارَتِهَا لَمَّا رَأَتْهَا، وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرآهَا:

انْظُرْنَ يَا إِخْوَتَا هَذِي شَقِيقَتُنَا فَمَنْ تُرَاهُ عَلَى الغَبْرَاءِ أَلْقَاهَا؟

قال أبو القاسم الشابي في قصيدة (إلىٰ الطاغية):

وَلَعْلَعَةُ الحَقِّ الغَضُوبِ لَهَا صَدًى وَدَمْدَمَةُ الحَرْبِ الضَّرُوسِ لَهَا فَمُ

وقال الشابي واصفا:

وَالرَّبِيعُ الجَمِيلُ يَرْقُصُ فَوْقَ الوَرْدِ، وَالعُشْبِ، مُنْشِدًا تَيَّاهَا

قال جعفر الحلي مخاطبا ممدوحه:

وَإِذَا الثَّنَايَا وَالثُّغُورُ طَلَعْتَهَا ضَحِكَتْ ثَنِيَّاتُ العُلَا وَثُغُورُهَا

قال الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد في الوصف:

جَاءَ الخَرِيفُ وَفِيهِ آخِرُ بَسْمَةٍ مِنْ ثَغْرِ صَيْفٍ رَاحِلٍ أَلْقَاهَا

وقال واصفًا أيضًا:

وَقَدْ خَيَّمَ الصَّفْصَافُ لِلْمَاءِ عَاشِقًا ... عَلَى ضِفَّةٍ خَضْرَاءَ فِي ظِلِّ أَطْوَادِ

قال حافظ إبراهيم متحسِّرًا على مجد الأمة العربية:

كُنَّا قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَانفَرَطَتْ ... وفِي يَمِينِ العُلَا كُنَّا رَيَاحِينَا

وقال حافظ إبراهيم يرثي ابْنَة البَارُودي:

دَاسَ الحِمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى ... يَا لَيْتَ شِعْرِي أيْنَ كَانَ أبُوكِ؟

وقال حافظ في تحية أحمد شوقي:

النِّيلُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْهِ بِمَسْمَعِهِ ... والمَاءُ أَمْسَكَ فِيهِ عَنْ جَرَيَانِهِ

والزَّهْرُ مُصْغٍ والخَمَائِلُ خُشَّعٌ ... والطَّيْرُ مُسْتَمْتِعٌ عَلَى أَفْنَانِهِ

قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي:

سَتَجْمَعُنَا الأَيَّامُ وَالخَيْرُ ضَاحِكٌ ... يَعُمُّ الوَرَى وَالشَّرُّ يَبْكِي وَيَلْطِمُ

قال إيليا أبو ماضي في وصف الطبيعة:

والجَدْوَلُ الجَذْلَانُ يَضْحَكُ لَاهِيًا ... وَالنَّرْجِسُ الوَلْهَانُ مُغْفٍ يَحْلُمُ

قال محمد العيد في تحية الرئيس جمال عبد الناصر في أثناء زيارته للجزائر:

ضَحِكَتْ حَدَائِقُهَا إِلَيْكَ بِزَهْرِهَا ... وَثِمَارِهَا ضِحْكَ الحَبِيبِ السَّافِرِ

وَاهْتَزَّ شَاطِئُ بَحْرِهَا لَكَ عَازِفًا ... وَمُصَفِّقًا بِهَدِيرِ مَوْجٍ زَاخِرِ

قال مفدي زكريا:

سَلِ الفُصْحَى وقُلْ للضَّادِ رِفْقًا ... لِسَانُ الحَالِ أفْصَحُ مِنْكِ نُطْقَا

وقال مفدي مفتخرًا بشعره:

كَمْ صَفَّقَتْ لِأَنَاشِيدِي مَدَافِعُنَا ... وَأَطْرَقَتْ لِتَسَابِيحِي نَوَادِينَا

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

لِي جِـراحٌ إنْ أَتَى تَشْـرِينُ تَصْـحُو   إنَّ أَوْفَى أَصْـدِقَاءِ المَـرْءِ جُـرْحُ

قال محمود غنيم يصف البحر و(ظبيات) البحر:

هَـا هُنَـا لُؤْلُـؤٌ بِغَـيْرِ مَحَـارِ   سَـابِحٌ بَاحِـثٌ عَـنِ الغَـوَّاصِ

وَظِبَـاءٌ لَـمْ تَـدْرِ مَعْـنَى النِّفَـارِ   تَضَـعُ السَّـهْمَ فِي يَـدِ القَنَّـاصِ

وقال محمود غنيم في وصف الربيع:

مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى سَطْحِ الغَدِيرِ ضُحًى   وَمَـاؤهُ مُطْبِـقُ الجَفْنَـيْنِ نَعْسَـانُ

فِـيمَ التَّجَعُّـدُ إذْ مَـرَّ النَّسِـيمُ بِـهِ؟   سَلُوا الغَـدِيرَ سَـلُوهُ: أَهْوَ غَضْبَانُ؟

قال خليل مطران:

عَـلَا مَفْـرِقِي بَعْـدَ الشَّـبَابِ مَشِـيبُ   فَفَـوْدِي ضَـحُوكٌ والفُـؤادُ كَئِيـبُ

شَـبَابٌ تَقَضَّـى بَـيْنَ لَهْـوٍ ونِعْمَـةٍ   إذِ الـدَّهْرُ مُصْـغٍ والسُّـرُورُ مُجِيـبُ

وقال مطران يصف منازلَ في لبنان:

حِجَارَتُهَـا ضَـحَّاكَةٌ عَـنْ بَيَاضِـهَا   وَآجُرُّهَـا عَـنْ حُمْـرَةٍ يَتَبَسَّـمُ

قال محمود سامي البارودي في وصف ليلة:

لَيْـلٌ غَيَاهِبُـهُ حَـيْرَى وأَنْجُمُـهُ حَسْـرَى   وَسَـاعَاتُهُ فِي الطُّـولِ كَـالحِجَجِ

وقال البارودي يصف غيثًا:

يَجِـدُّ بِنَـا فِي أَمْـرِهِ وَهْـوَ لَاعِـبٌ   وَيَضْـحَكُ أَحْيَانًـا وَعَيْنَـاهُ تَـذْرِفُ

قال مصطفى صادق الرافعي في وصف الغروب:

تَـدَرَّجَتِ الشَّـمْسُ وَسْنَى الجُفُـونِ   لِمَضْـجَعِهَا فِي سَـرِيرِ الأُفُـقْ



قال علي الجارم في المدح:

أحْيَـا النُّفُـوسَ بِآمَـالٍ تُضَـاحِكُهَا فَاليَأسُ فِيهَا غَرِيبُ الأهْلِ والدَّارِ

وقال علي الجارم في الرثاء:

ولَمْ نَدْرِ أنَّ المَوْتَ بَاسِطٌ كَفَّهُ إلى الغُصْنِ فِي رَيْعَانِهِ وَهْوَ مُونِعُ

وقال واصفًا (المَوْتَ) في الحرب العالمية الأولى:

يَحْسُو دَمَ القَتْلَى، فَأَظْمِئْ بِهِ! وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ، فَمَا أجْشَعَا!

قال معروف الرصافي:

وَإنَّ أَصْدَقَ بَرْقٍ أَنْتَ شَائِمُهُ بَرْقٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ الصَّارِمُ الخَذِمُ

وقال الرصافي يصف امرأة شبَّ حريق في دارها:

تَبْكِي وقَدْ ضَحِكَ الحَرِيقُ بِدَارِهَا كَالبَرْقِ يَضْحَكُ فِي الدُّجَى ويَلُوحُ

قال الشاعر القروي في الوصف:

رَأَيْتُ الوَحْشَ يَأْنَسُ للأغَانِي وَصَدْرَ الرِّيحِ يَخْفِقُ بالحَنَانِ

وعُشْبَ الحَقْلِ يَبْسِمُ عَنْ جُمَانٍ وَلَمْ أرَ عَابِسًا غَيْرَ الدُّخَانِ

وقال القروي في الحكمة:

أشْبِعِ العَقْلَ حِكْمَةً واخْتِبَارَا وَامْلإِ القَلْبَ رَحْمَةً وحَنَانَا



جمالية الاستعارة

التشبيهُ، والاستعارةُ، والكنايةُ، والمجازُ هي أقطاب البلاغة، وأعمدة الإعجاز، غير أنّ علماء البلاغة يعتبرون الاستعارة قطبَ البلاغة الرئيس، وجوهرها النفيس، وقد عبّرَ عبد القاهر الجرجاني عن فضيلة الاستعارة بقوله: «اعْلَمْ أَنَّ الاسْتِعَارَةَ هِيَ أَمَدُّ مَيْدَانًا، وأَشَدُّ افْتِنَانًا، وأَكْثَرُ جَرَيَانًا، وأَعْجَبُ حُسْنًا وإِحْسَانًا، إِنَّهَا تُبْرِزُ البَيَانَ فِي صُورَةٍ تَزِيدُ قَدْرَهُ نُبْلًا، وتُوجِبُ لهُ بَعْدَ الفَضْلِ فَضْلًا، وإِنّكَ لَتَجِدُ اللَّفْظَةَ الوَاحِدَةَ قَدِ اكْتَسَبَتْ فَوَائِد، حَتَّىٰ تَرَاهَا مُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِع، ولَهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ تِلْكَ المَوَاضِعِ شَأْنٌ مُفْرَد، وشَرَفٌ مُنْفَرِد، إِنَّهَا تُخْرِجُ لَكَ مِنْ بَحْرِهَا جَوَاهِرَ تَمُدُّ فِي الشَّرَفِ والفَضِيلَةِ بَاعًا لا يَقْصُر، وتُبْدِي مِنَ الأَوْصَافِ الجَلِيلَةِ مَحَاسِنَ لا تُنْكَر، ومِنْ مَنَاقِبِهَا أَيْضًا أَنَّهَا تُعْطِي الكَثِيرَ مِنَ المَعَانِي بِاليَسِيرِ مِنَ الأَلْفَاظ، حَيْثُ تُخْرِجُ مِنَ الصَّدَفَةِ الوَاحِدَةِ الغَزِيرَ مِنَ الدُّرَر، وتَجْنِي مِنَ الغُصْنِ الوَاحِدِ الكَثِيرَ مِنَ الثَّمَر»[١].

ومن حسناتها التَّشْخِيصُ والتَّجْسيد في المعنويّات، وبثُّ الحياة في الجَمَاد، يقول الجرجاني: «فَإِنَّكَ لَتَرَىٰ بِهَا الجَمَادَ حَيًّا نَاطِقا، والأَعْجَمَ فَصِيحًا، والأَجْسَامَ الخُرْسَ مُبَيِّنَةً، والمَعَانِيَ الخَفِيَّةَ بَادِيَةً جَلِيَّة، وإِنْ شِئْتَ أَرَتْكَ المَعَانِيَ اللّطِيفَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ خَبَايَا العَقْلِ، كَأَنَّهَا قَدْ جُسِّمَتْ، حَتَّىٰ رَأَتْهَا العُيُونُ»[٢].

---

(١) أسرار البلاغة للجرجاني (ص ٣٢).

(٢) المرجع نفسه (ص ٣٣).

وهذا ما جَسَّدَهُ الشاعر الأمير شكيب أرسلان في مدح أمير الشعراء أحمد شوقي:

والشِّـعْرُ مَـا تَـرَكَ المَعَـانِيَ مُـثَّلا ... فَتَكَـادُ تَلْمِـسُ بِـالأكُفِّ هَبَاءَهَـا

كما جسده خليل مطران حين وصف شعر شوقي:

وَسَـبْكٌ يُعِيـدُ اللَّفْـظَ لَحْنًـا مُوَقَّعَـا ... ويُبْـدِي لَنَـا المَعْـنَى الخَفِـيَّ مُجَسَّـدَا

كما عبَّرَ عنه معروف الرصافي أحسن تعبير، وصوّره أدقّ تصوير:

أرَى الحُسْـنَ فِي لُبْنَـانَ أَيْنَـعَ غَرْسُـهُ ... وقَـارَبَ حَـتَّى أَمْكَـنَ الكَـفَّ لَمْسُـهُ

فالحُسنُ هذا المعنىٰ المجرَّدُ في العقل قد قارب مرمىٰ البصر، حتىٰ وقع في شباك النظر، فأبصرتهُ العيون، ولمستهُ الأكفّ.

والآن إنْ أردتَ أن تقف علىٰ مفاتن الاستعارة فاصغِ إلىٰ قول حفني ناصف مهنئا إسماعيل صبري حين تقلد وظيفة النائب العام:

طَمَحَـتْ أَنْفُـسٌ إلَيْهَـا فَصَـانَتْ ... حُسْـنَهَا عَـنْهُمْ صِـيَانَةَ بِكْـرِ

رَاوَدُوهَـا عَـنْ نَفْسِـهَا فَاسْـتَخَفَّتْ ... بِنُهَـاهُمْ، وَقَـابَلَتْهُمْ بِهَجْـرِ

وَابْتَغَـتْ كُفْأَهَـا فَكُنْـتَ رِضَـاهَا ... فَهِـيَ شَـمْسٌ جَـرَتْ إلَى مُسْـتَقَرِّ

والله ما أنت حائدٌ لو قلت إنها غرّةٌ في وجه البيان، بل غادةٌ تسحر اللُّبَّ وتملك الطرف بجمالها الفاتن الفتّان.

وإنْ قلت هل من مزيد، فاسمع إلىٰ هذا التغريد:

ومَـنْ إذا قِيـلَ: إنَّ البَـدْرَ يُشْـبِهُهُ ... حُسْـنًا أَتَى البَـدْرُ مِمَّـا قِيـلَ يَعْتَـذِرُ

أرأيت كيف صوّر الشاعرُ البدرَ إنسانا؟ ألم يجعل له عينين وشفتين ولسانا؟! صورةٌ استعارية بعثت الحياة في البدر، ونشرت في جوانبه الحركة، وبعثت في قلبه أجمل الفضائل.

وأروع منه في (أحاسيس) الجماد قولُ محمد جربوعة في قصيدة (قنديل بني هاشم):

هَـذَا النَّـبِيُّ. اخْضِـرَارُ الأَرْضِ نَظْرَتُـهُ وَبَسْـمَةُ الثَّغْـرِ مِنْهَـا الضَّـوْءُ يَحْتَشِـمُ

أرأيت أسلوبًا أرْشق من هذَا تعبيرًا، وأرقّ تأثيرًا، وأدقّ تصويرًا؟

ومن الاستعارات الخالدات قول شوقي في الرثاء:

وَبَعْضُ المَنَايَا تُـنْزِلُ الشُّـهْدَ فِي الـثَّرَى وَيَحْطُطْنَ فِي التُّرْبِ الجِبَالَ الرَّوَاسِـيَا

لعَمري إنّ وُفود الشعراء في العصر الحديث حين بايعوا أميرَهم علىٰ إمارة الشعر فقد تمّت البَيْعة تحت مِثل هذه الشجرة التي يثمر الغصنُ منها بدل الثمرة الواحدة العديد من الثمار.

ومن الاستعارات الحِسان قول عبد الحميد الرافعي يصف المرأة الفقيرة المتعففة:

وَلَكَـمْ مِـنْ كَـرَائِمَ عَضَّـهَا الفَـقْ ـرُ فَعَضَّـتْ عَلَـى نِقَـابِ العَفَـافِ

يا لها من استعارة لو «صافحتِ الأسماعَ تبسَّمتْ لها الضمائرُ والقلوب».

وإن أردتَ أن تقطف من أفنان الاستعارة ثمراتٍ تشتهيها نفسك، وترغب فيها روحك، فاقرأ قول الرافعي في الفخر:

فَلِـذَاكَ قَـدْ هَنَّـأْتُ فِيـكَ قَصَـائِدِي وَهَـزَزْتُ فِي بُـرْدِ التَّفَـاخُرِ مِعْطَفِـي

استعارةٌ سامية القدر، بل جوهرة من جواهر هذا العصر، بل تلك - والله - واسطة عقد الفخر.

ومن الاستعارات التي تبهر الناظرين معانيها، وتطرب السامعين أغانيها قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في تصويرٍ يهزّ أوتار الفؤاد:

حَيَّتْـكَ فِي البَـدْوِ كُـلُّ الكَائِنَـاتِ بِـهِ الـرِّيحُ عَازِفَـةٌ والـرَّوْضُ صَـفَّاقُ

وَالحَقْلُ مُحْتَفِلُ الأشْجَارِ مِنْ طَرَبٍ تَشْدُو وتَهْفُو بِهِ وِرْقٌ وأوْرَاقُ

أطرِب بها من حفلةٍ تحييها (أوركسترا) الطبيعة! الريحُ تعزف لحنَها العذب الرشيق، والروض قد احمرّت أكفّهُ من التصفيق، وبناتُ الهديل على الأعواد، يتسابقن في الغناء والإنشاد، والنسيم يغني أغنيتهُ للأوراق، فتهتزُّ للرقص على ساق... لله ما أجملها من أبيات! وما أبعد شأو شاعرِنا في التشييد! وأجلّ شأنه في البناء والتجديد!

وعلى الإيقاع نفسه يطربك شادي الكنانة حفني ناصف بأغنية لا تملك معها إلا أن تجثوَ، وتثنيَ لها الرُّكَب:

أَفَلَا تَرَى الأمْوَاجَ تَرْقُصُ تَحْتَنَا وَالرِّيحَ تَتْبَعُ ذَاكَ بِالتَّصْفِيقِ

وَالجَوَّ يَبْسِمُ عَنْ ثَنَايَا مُزْنَةٍ جَذِلًا وَيَبْسِمُ عَنْ وَمِيضِ بُرُوقِ؟

وممّا ترنَّمَ به عندليبُ دوحة الأدب إبراهيم اليازجي في وصف العُود (الآلة الموسيقية) قوله:

تَعَشَّقَهُ طَيْرُ الأَرَاكَةِ أخْضَرًا وَحَنَّ إلَيْهِ رِيشُهُ وَهُوَ يَابِسُ

بالله عليك أسمعتَ لحنًا أعذب من هذا طَرَبًا، أو آيةً من آيات البيان أكثرَ من هذه عَجَبًا؟

ومن حسناوات الاستعارات قول الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلا:

جَاءَتْكَ تَبْسِمُ وَالبَنَانُ نِقَابُهَا فَأَرَتْكَ بَدْرًا بِالهِلَالِ تَنَقَّبَا

يا لها من بائية غرَّاء، بل غانية عراقية عذراء، برزتْ من خدرها تخطرُ دلالًا، وتسحبُ أذيال البلاغة اختيالًا، أتتك تبتسمُ، وقد حَدَرَتْ بالبنان نقابَها، فأخجلتْ بالحسن أترابَها!

دع عنك كل ذلك، وتدبَّرْ في هذه الزهرات التي قطفتها لك من حدائق

الشاعر محمد توفيق علي، تنسَّمْ عبيرها، ثم بعد ذلك أخبرني:

إنِّي أَغَارُ عَلَى الأَقْلَامِ فِي يَدِهَا ... يَنْظِمْنَ أَبْهَى نِثَارِ الشُّهْبِ فِي نَسَقِ

لَوْلَا يَرَاعَتُهَا تَهْوَى أَنَامِلَهَا ... لَمْ تَبْكِ فِي يَدِهَا عِشْقًا عَلَى الوَرَقِ

بِرَبِّك: أتفتَّحتْ أكمامُ رياضِ البيانِ عن مثلِ هذا الزَّهر؟ أم تضوَّعتْ أنفاسُ نسيمِ الصَّبا عن مثلِ هذا النشر؟

واستمع إلىٰ هذا العرض الممتع، والتصوير المبدع، حين ينتحل البارودي شخصية عَالِم الجمال العارِفِ بأسراره، والمُحيط بأخباره، فيشبه لك أسنان العاج باللؤلؤ في الصفاء والنقاء والبياض واللمعان، ويشبه الشفتين بالحجر الكريم الأحمر الذي يُعرف بالعقيق، فيقول:

وَتَبْسَمُ عَنْ جُمَانٍ فِي عَقِيقٍ ... يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الذَّوْقِ ثَغْرُ

«تصويرٌ يملك الجِنان، ويعقل اللسان، ويبعث في النفس إعجابا يتعالىٰ عن التصوير، ونشوةً تفرّ من الوصف والتعبير!».

وإن أردت أن تزداد بالاستعارة كلفا، وتتعلق ببيانها شغفا، فاستمع إلىٰ تغريدة أنشدها محمود سامي البارودي في وصف قلمه:

غَرِدٌ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَحِيفَةٍ ... سَجَدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الأَوْتَارُ

فكأنّ قلمَك يا «سامي» البيان عُودٌ يشدو ويغرّد، وكأنّ وَتَرَه عابدٌ يركعُ ويسجد. والله الذي علّم بالقلم، ومنح خيرَ خلقه جوامعَ الكَلِم، لَكأنَّ قلمك يا سَامِي مِنَ السِّحرِ المُبين ما تخرُّ له سَحَرَةُ البيان ساجدين.

ومثلها في الحسن والبهاء قول شكيب أرسلان في مدح شوقي وذكر فضائله علىٰ أمة العرب:

فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ يَرَاعِهِ ... وَتَرٌ يُثِيرُ سُرُورَهَا وَبُكَاءَهَا

واقرأ معي قول الأمير شكيب أرسلان في رثاء البارودي:

وَلَطَالَمَا قُلْتُ إِذْ جَادَ الزَّمَانُ بِهِ: مَنْ عَلَّمَ الدَّهْرَ هَذَا الجُودَ وَالكَرَمَا؟

يا لها من درةِ بيانٍ تسحر بجمالها الأحداق! بل يا لها من حوريةِ جنانٍ تأسر بحسنها العشاق!

واسمع معي إلىٰ قول حافظ إبراهيم في رثاء ابنة البارودي:

دَاسَ الحِمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى يَا لَيْتَ شِعْرِي أيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟

صورة بيانية تجعلك تدين لحافظٍ باعتراف، وليس ذاك سوىٰ أنها صورةٌ تلقي بالنفس الرّوعة، وتستجدي من المآقي الدمعة.

ثم دع ناظريك يكتحلان بهذه الاستعارة الحسناء، التي اصطفاها لك حافظ إبراهيم من مملكة البيان، وكيف أبدع في تجميلها وتطييبها، لتُزَفَّ إلىٰ كلّ عقل عاشق لحِسان البلاغة العربية:

فَاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيل وجِدُّوا فَالمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلمُجِدِّ

لا شك أنّ شاعر النيل بشاعريَّته الفيّاضة قد كان شاهدًا عدْلا علىٰ عقد قِرَان المَعَالي بالإنسان المُجِدّ السّاعي، فالمعالي بعد أنْ كانت اسمًا من أسماء المعاني في قواميس العربية، خلقها الشّاعر في أحسن تقويم، غادةً مدلّلةً تحتفل بخطوبتها بفارس أحلامها! والله لقد صدق قولُ (حافظٍ) فيك: فأنتَ البحرُ الذي في أحشائهِ الدُّرُّ كامن.

وهذا ما وافقهُ عليه حفني ناصف في تهنئة إسماعيل صبري حين أنشد:

لَمْ يَنَلْهَا سِوَاكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ وَالمَعَالِي بِالخَاطِبِ الكُفْءِ تَدْرِي

ومن تشخيص المعاني وتشبيهها بالمرأة الحسناء لكَ أنْ تقرأ قول الأمير شكيب أرسلان في مدح أمير الشعراء:

غَدَتِ المَعَانِي كُلُّهَا مِلْكًا لَهُ ... فَأَصَابَ مِنْهَا كُلَّ بِكْرٍ شَاءَهَا

يا له من بيتٍ قَرُبَ طرفاه وبعُد مُنتهاه!

ومن الاستعارات التصريحية التي يرُوعك سحرُها، ويهزّ وجدانَك تأثيرُها، ويُبهر نفسَك تصويرُها قول علي الجارم في وصف جمال (الإسكندرية):

نَظَمْنَا لُؤْلُؤَ الفِرْدَوْسِ فِيهَا ... وَسَمَّيْنَاهُ تَضْلِيلًا كَلَامَا

فالشاعر لم يكتف بإبهار نفسك، وانتزاع الإعجاب من فؤادك حين شبه ألفاظ قصيدته باللآلئ في صدر البيت، إنه أراد أن يضلّلك، ويسحر عيونك في عَجُز البيت، فألقىٰ عليك تعويذةً جعلتك تعجز عن تمييز الحقيقة من المجاز.

واقرأ معي قول خليل مطران:

حَتَّى الهُمُومُ سَمَتْ إِلَيْكَ بِوُدِّهَا ... مَنْ كَانَ يَحْسَبُ لِلْهُمُومِ قُلُوبَا؟

تأمّلْ يا خليلي كيف برع الشاعر حين زعم للهموم قلوبا تحبّ بها، ولم تكن الهمومُ تُعرف بالوداد من قبلُ، حتىٰ جاء مطرانُ وسَمَا بجوهرها، وخلق لها قلوبًا مشحونة بالأحاسيس والعواطف! استعارةٌ تنفي بلابل الصُّدور، وتجلّي بواعث السرور.

واسمع إلىٰ قول محمود غنيم حين يشبه عَرَقَ الفلاح باللؤلؤ، ويشبه الفلاح المصريّ البسيطَ بأمير يختال في حديقة قصره:

شَاهَدْتُ لُؤْلُؤَةً كَالبَرْقِ تَأْتَلِقُ ... عَلَى جَبِينِ أَمِيرٍ سَارَ مُخْتَالًا

هل هذه أيّها الشاعرُ كلماتٌ أم دُرٌّ نظيم؟ وتلك أمَعَانٍ هي أمْ جوهرٌ يتيم؟

وإن آثرتَ لَقْطَ المرجان، فاسمع إلىٰ غُنيم وهو يصف لك البحر و(ظباءَ) البحر:

هَا هُنَا لُؤْلُؤٌ بِغَيْرِ مَحَارِ ... سَابِحٌ بَاحِثٌ عَنِ الغَوَّاصِ

وَظِبَاءٌ لَمْ تَدْرِ مَعْنَى النِّفَارِ ... تَضَعُ السَّهْمَ فِي يَدِ القَنَّاصِ

وإن أردت أن يكتحل ناظراك برؤية ظبيةٍ غيداءَ ترتع في حدائق الكلام، وتسبي العقول والخواطر، فاقرأ قول الرافعي:

ظَبْيَاتُ شِعْرِي فِي ثَنَاهُ أَوَانِسٌ ... تَسْبِي الخَوَاطِرَ لَفْتَةً وَلِحَاظَا

ظَرُفَتْ مَعَانِيهَا وَلَا بِدْعًا إِذَا ... حَسَدَ الكَوَاكِبُ هَذِهِ الأَلْفَاظَا

ثم احكم بربِّكَ علىٰ هذه اللؤلؤة النفيسة، واسأل الغوّاص عن سحرها:

تَبَسَّمَتْ عَنْ جَوْهَرِ العِقْدِ ... فَأَكْثَرَتْ عَيْنِي مِنَ النَّقْدِ

تأمل كيف شبه الشاعرُ ثغرَ المحبوبة بالجواهر المنظومة في العقود، وكيف أكثرَ من التأمُّل في هذه الجواهر واللآلئ، ليتعرّف أغلاها وأنفسها، حقا شتان بين اللَّمّاس والنّقّاد.

وقريب منه في وصف لآلئ الثغر قول شاعر المهجر إلياس عبد الله طعمة:

عَرَفْتُ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ صُنوفَهُ ... وَمَا كُنْتُ غَوَّاصًا بِبَحْرِ عُمَانِ

وحقِّكَ أليس هذا الجمان، بدليل علىٰ أنَّ الاستعارةَ سلطان، وبيانُها هو البيان؟

وتأمل معي تلك المعجزة البيانية التي ينشد فيها نزار قباني:

أَلَا تَرَانِي بِبَحْرِ الحُبِّ غَارِقَةً ... وَالمَوْجُ يَمْضَغُ آمَالِي ويَرْمِيهَا؟

انْزِلْ قَلِيلًا عَنِ الأَهْدَابِ يَا رَجُلًا ... مَا زَالَ يَقْتُلُ أَحْلَامِي ويُحْيِيهَا

وتفكَّرْ في سِحْرِ الاستعارة، وروعة العبارة، تجدِ الشّاعر يعدُّ الآمالَ لُبَانًا، ويجعل الأحلامَ إنسانا، فيشبّهُ ما هو معنويّ بما هو حسيّ، من أجل بعْث الصورة، وإحيائها، وتشخيصها.

ثم تأمل معي قول نزار قبّاني، وهو يعتلي ذُروة البلاغة، ويبلغ منتهىٰ البراعة، حين يصوِّر قرطاجة غادةً تسبي الورىٰ بجمالها وعينيها الزرقاوين، ويصوِّر الزمان شيخًا، لَوَتِ السنينُ كفه علىٰ العصا:

بَحْرِيَّـــة العَيْنَـــيْنِ يَـــا قَرْطَاجَـــةُ   شَـاخَ الزَّمَـانُ وأنْـتِ بَعْـدُ شَـبَابُ



المَجَازُ المُرْسَل

تعريف المجاز المرسل: «هُوَ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ لِعَلَاقَةٍ غَيْرِ المُشَابَهَة، مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إرَادَة المَعْنَىٰ الوَضْعِيّ»[١]. وذكَرَ الدّكتورُ يوسف أبو العدوس في كتابه (المجازُ المرسل والكناية): «هُوَ مَجَازٌ لُغَوِيّ، يَرْتَبِطُ فِيهِ المَعْنَىٰ الحَقِيقِيّ بِالمَعْنَىٰ المَجَازِيّ، بِعَلاقَةٍ غَيْرِ المُشَابَهَة، وسُمِّيَ بِالمُرْسَلِ لأَنَّهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِعَلاقَةِ المُشَابَهَة، فالإرْسَالُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الإطْلَاق، والمَجَازُ الاسْتِعَارِيّ مُقَيَّدٌ بِادِّعَاءِ أَنَّ المُشَبَّهَ مِنْ جِنْسِ المُشَبَّهِ بِهِ، والمَجَازُ المُرْسَلُ مُطْلَقٌ عَلَىٰ هَذَا القَيْد».

وقِيل: إنّمَا سُمِّيَ مُرْسَلًا لأَنَّهُ لَمْ يُقَيَّدْ بِعَلَاقَةٍ مَخْصُوصَة، بَلْ رُدِّدَ بَيْنَ عَلَاقَاتٍ كَثِيرَة. «وقَدْ أَحْصَىٰ البَيَانِيُّونَ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ عِشْرِينَ عَلَاقَةً مِنَ العَلَاقَاتِ الَّتِي يَسْمَحُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِاسْتِعْمَالِ المَجَازِ المُرْسَل، لَدَىٰ وُجُودِهِ بَيْنَ المَعْنَىٰ الأَصْلِيِّ لِلَّفْظ، والمَعْنَىٰ الآخَر، الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اللَّفْظُ مَجَازًا»[٢].

علاقات المجاز المُرْسَل:

١) السَّبَبِيَّة: وذَلِكَ إذَا كَانَتِ الكَلِمَةُ المَذْكُورَةُ الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ سَبَبًا فِي المَعْنَىٰ المُرَادِ مِنَ القَوْل، كقول إيليا أبي ماضي مخاطبا الإنسان المغرور:

وَعَلَامَ تَصْعَدُ كَالسَّحَابَةِ فِي الفَضَا ... وإلَى التُّرَابِ مَصِيرُ كُلِّ سَحَابِ؟

---

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٥٠٠).

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني (ص ٢٧٤، ٢٧٥).

ذكر الشاعر كلمة (السحاب)، والمراد (المطر)، والسحاب علة وسبب في المطر.

ومن تلك العلاقة إطلاق اليد على النعمة، لأنها سببُها، قال مفدي زكريا:

لا يَجْحَدُ الشَّعْبُ أَيَادِيكُمُ ... مَا كَانَ هَذَا الشَّعْبُ بِالجَاحِدِ

فالمقصود (النعم)، والمذكور (الأيادي)، فهي سببُها.

ومثلها في قول علي الجارم:

إذا اصْطَنَعَ اللهُ أمْرًا جَلَّ سَعْيُهُ ... وَعَمَّتْ أيَادِيهِ، وطَابَتْ نَقَائِبُهْ

وقد وردت (اليد) بمعناها الحقيقي ومعناها المجازي في قول محمود سامي البارودي:

فَمَا مَدَدْتُ يَدِي إلَّا لِمَنْحِ يَدٍ ... ولَا سَعَتْ قَدَمِي إلَّا لإِسْعَادِ

وقد ورد السّبب، والمسبَّب في قول ناصيف اليازجي:

كَمْ مِنْ أيَادٍ لَهُ مَا زِلْتُ أذْكُرُهَا ... ونِعْمَةٍ لَسْتُ أنْسَاهَا مَدَى الحِجَجِ

ووردا أيضًا في قول الرافعي:

أنْتَ الَّذِي مَلَأَ الزَّمَانَ فَضَائِلًا ... وَفَوَاضِلًا وَمَكَارِمًا وَأَيَادِي

٢) **المُسَبَّبِيَّة**: وذَلِكَ حِينَمَا يَكُونُ اللفظُ المَذْكُورُ مُسَبَّبًا عَنِ المَعْنَىٰ المُرَاد، فَيَكُونُ المَعْنَىٰ المُرَادُ هُوَ السَّبَبُ فِي اللَّفْظِ المَذْكُور. كقول الشاعر إبراهيم ناجي:

تَطُوفُ مَطَافَ الحَنَانِ العَمِيمِ ... وَتَسْقُطُ كَالنِّعْمَةِ الوَافِرَهْ

ذكر الشاعر المسبَّب، (النعمة)، وقصد السبب، (المطر).

وقد ورد السبب (الماء)، والمسبب (الرزق) معًا في قول إسماعيل صبري في قصيدة (النيل):

لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا ... وَإنَّمَا هِيَ أرْزَاقٌ وأرْبَاحُ

٣) الآليّة: وهُوَ أنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَةُ آلَةً، أو أداةً لِمَا هُوَ مُرَاد، ومنها قولنا: «شرَّفَ اللاعِبُ الكُرةَ الجزائرية»، أو «شرّف الحَكَمُ الصّافرةَ العربيّة»، والمراد في الأولىٰ مستوىٰ اللّعب، وفي الثانية مستوىٰ التحكيم، فالكرة آلة (أداة) اللعب، والصّافرةُ أداة التحكيم.

ومثالها قول الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

مَلاكَ الرَّدَى هَلَّا دَخَلْتَ عَلَى قَسْرٍ مَعَاهِدَ أَرْبَابِ الوَجَاهَةِ وَاليُسْرِ

لِتَقْتَصَّ مِنْ ذَاكَ الغَنِيِّ الَّذِي غَدَا يَضِنُّ بِبَذْلِ المَالِ فِي سُبُلِ البِّرِّ

وَتَجْلِدَهُ خَمْسِينَ سَوْطًا عَشِيَّةً وَتَجْلِدَهُ خَمْسِينَ عِنْدَ ضِيَا الفَجْرِ

فالشاعر في البيت الأخير أطلق لفظ (سَوْطًا) الذي هو آلة الضرب، والمراد (خمسين ضربة بالسوط).

ومنها قول محمود غنيم في قصيدة (الراديو):

إنِّي سَمِعْتُ لِسَانًا قُدَّ مِنْ خَشَبٍ فَهَلْ تُرَى بَعْدَ هَذَا يَنْطِقُ الحَجَرُ؟

فقد أطلق الشاعر لفظ (اللسان)، وأراد (الكلام)، وبما أن اللسان هو أداة (آلة) الكلام، فالعلاقة آلية.

ومثالها أيضًا قول نزار قباني:

وحَارَ الجَوَابُ بِحُنْجُرَتِي وجَفَّ النِّدَاءُ ومَاتَ الفَمُ

فقد أطلق الشاعر لفظ (الفم)، وأراد (الكلام)، وبما أن الفم هو أداة (آلة) الكلام، فالعلاقة آلية.

ومنها قول نزار:

مَاذَا سَأقْرَأُ مِنْ شِعْرِي ومِنْ أَدَبِي؟ حَوَافِرُ الخَيْلِ دَاسَتْ عِنْدَنَا الأَدَبَا

وحَاصَرَتْنَا، وآذَتْنَا، فَلَا قَلَمٌ قَالَ الحَقِيقَةَ إلَّا اغْتِيلَ أوْ صُلِبَا

فنزار قباني أطلق لفظ (قلم)، وأراد به الشاعر، والقلمُ هو أداة الكتابة، أو أداة الشاعر، فالعلاقة آلية.

٤) **الكُلِيّة**: وفِيهَا يَرِدُ اللَّفْظُ الدَّالُ عَلَىٰ الكُلّ، ويُرَادُ بِهِ الجُزْء، ومثالها قول محمود غنيم:

إذا مَـلأَ الحِقْـدُ الصُّـدُورَ، فـإنَّنِي ... لَأَحْمِلُـهُ صَـدْرًا مِـنَ الحِقْـدِ صَـافِيَا

حيث ذكر الشاعر الكل (الصدور)، وقصد الجزء (القلوب).

ومن نماذج هذه العلاقة في النثر قول أحمد حسن الزيات: «وأجْمَلُ شَيْءٍ فِي الرَّبِيعِ أَصَائِلُهُ وأَمَاسِيه، فَفِي هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ تَزْدَهِرُ شَوَارِعُ القَاهِرَةِ بِزَهَرَاتٍ شَتَّىٰ مِنْ بَنَاتِ الإنْسَان، فَتَمْلَأُ الجَوَّ عِطْرًا، والعُيُونَ سِحْرًا، والقُلُوبَ فِتْنَةً». فالمجاز وقع بعلاقته الكلية في قوله: (شوارع القاهرة)، ووقع كذلك في قوله: (تملأ الجو عطرًا، والعيون سحرًا، والقلوب فتنة). لأنّ الحقيقة أن بعضًا فقط من شوارع القاهرة تزدهر بتلك الزهرات، كما أن تلك الزهرات لا تستطيع أن تملأ الجو كله عطرا والعيون كلها سحرًا، والقلوب كلها فتنة.

٥) **الجزئية**: وفِيهَا يَرِدُ اللَّفْظُ الدَّالُ عَلَىٰ الجُزْء، ويُرَادُ بِهِ الكُلّ، ومثالها قول أحمد حسن الزيات في مقالة بعنوان (في المرأة): «كَتَبْنَا كَلِمَةً عَنِ العِيدِ جَاءَ فِيهَا أَنَّ غِيَابَ المَرْأَةِ عَنِ المُجْتَمَعِ الإنْسَانِيِّ جَرَّ عَلَيْهِ فِيمَا جَرَّ الجَفَاءَ وَالجَفَافَ وَالسَّآمَةَ وَالفَوْضَىٰ». فالكاتب ذكر لفظ (كلمة)، وأراد (مقالة)، وهي مقالة كتبها سنة ١٩٣٣ بعنوان «في العيد».

ومثالها شعرًا قول الشاعر المصري المبدع محمد توفيق علي شاكيًا غربته وألمه من فراق بلاده:

فَلَـوْ أَنَّ مَـاءَ النِّيـلِ مَـازَجَ أَدْمُعِـي ... لَمَـا كَـانَ يَحْلُـو فِي الشِّـفَاهِ وَيَعْـذُبُ

حيث ذكر الشاعر الشفاه (الجزء)، وأراد الفم (الكل).

ومنها قول الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي في تقريظ ديوان الرافعي:

إنْ تُنْتَخَبْ مِنْ سِوَاكَ قَافِيَةٌ فَذِي قَوَافِيكَ كُلُّهَا نُخَبُ

فالشاعر ذكر القافيةَ (الجزء)، وقصد القصيدةَ (الكل).

ومنها قول إسماعيل صبري مادحا:

وَلا زَالَ بِالتَّوْفِيقِ بَدْرُكَ زَاهِيًا كَمَا يَزْدَهِي دُرُّ البُحُورِ فِي النَّحْرِ

فالشاعر ذكر الجزء (النحر)، وقصد الكل (الجيد). فالعلاقة جزئية.

وقوله أيضًا:

مَنْ ذَا يُجَارِي أَخْمَصَيْكَ إِلَى مَدًى وَهَوَاكَ سَبَّاقٌ وعَزْمُكَ أَسْبَقُ

يريد الشاعر بـ (الأخمصين) القدمين، والأخمص في الأصل ما لا يمسُّ الأرض من باطن القدمين، فالشاعر ذكر الأخمصين (وهو الجزء)، وقصد القدمين (وهو الكل).

ومنها قول الشاعر الجزائري محمد جربوعة في مدح الرسول ﷺ في قصيدته العظيمة (قَدَرٌ حُبُّهُ ولا مَفَرَّ لِلْقُلُوب):

يُحِبُّهُ مُوَلَّهٌ

عَلَى جِبَالِ الألْبِ والأنْدِيزِ فِي زَقْرُوسَ

فِي جِبَالِ القُطْبِ فِي تَجَمُّدِ العِظَامْ

يَذْكُرُهُ مُسْتَقْبِلًا

تَخْرُجُ مِنْ شِفَافِهِ الحُرُوفُ فِي بُخَارِهَا

تَخْتَالُ فِي تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامْ.

ففي العبارة: (تَخْرُجُ مِنْ شِفَافِهِ الحُرُوفُ) أطلق الشاعرُ (الشفاه)، والمقصود (الفم)، والشفاهُ جزء من الفم.

٦) المَحَلِيّة: وفِيهَا يَرِدُ اللّفظُ الدَّالُ عَلَىٰ المَحَلّ، ويُرَادُ مَا حَلَّ بِه، ومثالها قول أحمد حسن الزيات: «فَالحَوَانِيتُ سَامِرَة وَإنْ لَمْ تَبعْ، وَالمَصَانِعُ سَاهِرَةٌ وَإنْ لَمْ تُنْتِجْ». حيث أطلق الكاتب لفظ (الحوانيت)، وأراد أصحابَها، فهم في سمر، وإن لم يبيعوا، كما أطلق لفظ (المصانع)، وأراد العُمَّال، فهم ساهرون، وإن لم ينتجوا.

ومنها شعرا قول محمد جربوعة أيضًا في قصيدته (قَدَرٌ حُبُّهُ ولا مَفَرَّ لِلْقُلُوب):

تُحِبُّهُ الصُّفُوفُ فِي صَلَاتِهَا
يُحِبُّهُ المُؤتَمُّ فِي مَالِيزْيَا
وفِي جِوَارِ البَيْتِ فِي مَكَّتِهِ
يُحِبُّهُ الإمَامْ

فالمجاز المرسل في قوله: (تُحِبُّهُ الصُّفُوفُ في صَلَاتِها): حيث أطلق الشاعرُ لفظَ الصُّفوف، وأراد المصلِّين.

ومنها قوله أيضًا:

وإذَنْ لِمَـــاذَا لَا تَسِــيلُ عُيُونُهَــا ... أَمْ أَنَّهَــا تَخْشَــى ابْتِــلَالَ البُرْقُــعِ ؟

يريد الشاعرُ بالعيون الدموع، فالدموع هي التي تسيل، والعيون محلٌّ للدموع، فالشاعر أطلق المحلّ، وأراد الحال، فالمجاز مرسل، والعلاقة محلية.

ومنها كذلك قول حافظ إبراهيم:

رَكِبُــوا البِحَــارَ وقَــدْ تَجَمَّــدَ مَاؤهَــا ... وَالجَــوُّ بَــيْنَ تَنَــاوُحِ الأرْوَاحِ

الشاعر أراد أن يقول إنّ القوم ركبوا السفن الحربية رغم تجمد الماء، واضطراب الرياح، فذكر (البحار)، وأراد (السفن)، فالعلاقة محليّة، لأنّ السفن محلُّها أو مكانها البحر، ومن أمثلتها قول محمود درويش:

سَيِّدِي القَاضِي:

أنَا لَسْتُ بِجِنْدِيّ

وأنَا لَا شَأْنَ لِي فِي مَا تَقُولُ المَحْكَمَة.

المُرادُ من (المحكمة) القُضاة.

٧) **الحاليّة**: وفِيهَا نَذْكُرُ الحَال، بَدَلًا مِنَ المَحَلِّ الَّذِي حَلَّ فِيه، ومن بدائعها قول الشاعر القروي:

يُقَدِّمُ ثَغْرُكَ لِي سُكَّرًا فَتُرْجِعُهُ لَكَ عَيْنَايَ مِلْحَا

لعل الشاعر أراد بـ (السكر) الكلامَ الحلو، ولمَّا كان (السكر) حالة في الكلام فإن العلاقة حالية، وربما كان المقصود من السكر (الريق). وأمّا المقصود من (الملح) الدموع، فلما كان (الملح) حالة في الدموع كان المجاز مرسلًا والعلاقة حالية.

٨) **المَاضَوِيّة (اعتبار ما كان)**: وتُطْلَقُ هَذِهِ الحَالَةُ عِنْدَمَا نَسْتَعْمِلُ كَلِمَةً تُطْلَقُ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ الشَّيْء، ونَحْنُ نَقْصِدُ مَا آلَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِك، ومثالها قول أحمد شوقي في وصف المِدفع عند إطلاقه:

إذَا عَصَفَ الحَدِيدُ احْمَرَّ أفْقٌ عَلَى جَنَبَاتِهِ وَاسْوَدَّ أُفْقُ

فالمقصود (المدفع)، والمذكور (الحديد)، والمدفع قبل أن يصير كذلك كان حديدًا.

ومنها قول محمد توفيق علي في مساوئ (أم الكبائر):

أَيُّهَا الكَرْمُ كَمْ جَنَيْتَ حُرُوبًا ... حُمَّ فِيهَا عَلَى البَرَايَا البَلَاءُ

لاحظ أن المذكور (الكرم)، والمقصود (الخمر)، والخمر كانت قبل ذلك كرْما.

٩) **المُسْتَقْبَلِيّة (اعتبار ما سوف يكون)**: وهُنَا نَذْكُرُ مَا سَوْفَ يَؤُولُ إِلَيْهِ الشَّيْء، ومثالها قول محمد العيد آل خليفة مخاطبًا رجال الجزائر:

أَوْلَادُكُمْ خُلَفَاؤُكُمْ مِنْ بَعْدِكُم ... فَلِدُوا الكِرَامَ وأَخْلِفُوا الأَخْيَارَا

والمقصود: لِدُوا الأطفالَ الصِّغَارَ الذين سيكونون في المستقبل كِرَامًا وأَخْيَارَا، لأنَّ تلك الصفتين لا يمكن اكتسابهما حقيقة إلا في مستقبل أيام الطفل.

ومثلها في قول مفدي زكريا:

إنَّ الجَزَائِرَ كَالكِنَانَةِ حُرَّةٌ ... تَلِدُ الرِّجَالَ، وَتُنْجِبُ العُظَمَاءَ

المقصود: تلدُ الجزائرُ صغارًا سيكونون رجالًا، وتنجب أطفالًا سيصيرون عظماء.

١٠) **الضِّدِّيّة**: وفِي هَذِهِ العَلاقَةِ يُطْلَقُ اللّفْظُ، ويُرَادُ بِهِ ضِدُّ مَعْنَاه، ويُسْتَعْمَلُ هَذَا المَجَازُ لِأغْرَاضِ السُّخْرِيَّة، والاسْتِهْزَاء، والتَّهَكُّم، ومن هذه العلاقة قولُ بعض الصِّحَافِيّين: «أَكْرَمَ الفَرِيقُ المُضِيفُ مَرْمَىٰ الضُّيوف بِوَابِلٍ مِنَ الأَهْدَاف».

ومن شواهدها قول الشاعر القروي في قصيدة (العزيز والذليل):

جَادَ العَزِيزُ عَلَى الذَّلِيلِ بِصَفْعَةٍ ... تَرَكَتْ بِصَحْنِ الخَدِّ طَابَعَ خَمْسِهِ

ومَضَى العَزِيزُ يَحُكُّ رَاحَةَ كَفِّهِ ... ومَضَى الذَّلِيلُ يَحُكُّ جِلْدَةَ رَأْسِهِ

بلاغة المجاز المرسل:

«يؤدّي المجازُ المرسلُ دورًا هامًّا في بلاغة التعبير، لأنهُ يوسّع دلالتَهُ،

ويَبْعَثُ علىٰ التأمّل الذي يُخَلِّصُ العبارةَ من قيود المباشرة، ويفتح المجال واسعًا أمام الخيال»[(١)]. وتَكْمُنُ أهميته كذلك في كونهِ «يُضْفِي علىٰ الصُّورة رونقا بديعا، ويوسّعُ دائرة الإيحاء، ويكمِّلُ وظيفة اللّغة من خلال الرُّؤية الفنيّة للأشياء، وإذا كان مُسْتَحَبًّا فيه الغموضُ الفنّي، فإنّ هذا الأخير لا يعني التّعقيد، ففي المجاز المرسل يتشوّقُ القارئُ إلىٰ تحصيل الصُّورة كاملةً، فيشعرُ بلذّةِ الاكتشاف، بعد أنْ أعمل عقلهُ، وخياله في اكتشاف العلاقات القائمة بين ضروبه»[(٢)].

والمجاز يحقق الإيجاز، وهو مقصدٌ من أهم مقاصد البلاغة، مثل قول محمد العيد: «لِدُوا الكِرَامَ، وأَخْلِفُوا الأَخْيَارَا»، والمقصود لِدُوا الصِّغَارَ الذين سيكونون في المستقبل كِرَامًا وأَخْيَارًا. «وهكذا لا يلجأ إلىٰ المجاز إلا لتحقيق غاية في صناعة الكلام، فإذا لم يحقق المجاز غاية من الغايات السابقة، ولم يكن له أثر في تقويم اللفظ أو تحسين المعنىٰ، فلا ينبغي العدول عن الحقيقة إليه»[(٣)].



(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ٢٣٠).
(٢) المرجع نفسه (ص ٢٣١).
(٣) البيان العربي دكتور بدوي طبانه (ص ٢٩٧).

التطبيق

حدّد المجاز المرسل، واذكر علاقته في النماذج الآتية:

١- قال خليل مطران:

إذا وَالِـدِي قَـدْ طَـوَّقَتْنِي يَمِينُـهُ وَفِي وَجْهِـهِ دَمْـعٌ مِـنَ العَـيْنِ مُرْسَـلُ

٢- وقال مطران في وصف حفلة:

في حَفْلَـةٍ بِـذَوِي الأحْسَـابِ حَافلـةٍ سَـرَّتْ قلوبًـا، وكانـتْ قُـرَّةَ الحَـدَقِ

٣- قال مصطفىٰ صادق الرافعي في رثاء الشيخ عبد الرحمان الكواكبي:

وهـلْ حَمَلُـوا التَّقْـوَى إلَى حُفْـرَةِ الـثَّرَى وَسَارُوا بِذَاكَ الطَّوْدِ فَوْقَ المَنَاكِـبِ؟

٤- قال علي الجارم مدح الطبيب الحاذق الدكتور علي إبرهيم باشا:

إذا مَـا امْـرُؤ أهْـدَى الحيـاةَ لِمَيِّـتٍ فـذلكَ قـدْ أهـدَى الوُجُـودَ ومَـا ضَـمَّا

٥- قال معروف الرصافي:

وَكَمْ نَصَحْتُ فمَا أسْعَدْتُ مِنْ أحَدٍ حَـتَّى لَقَـدْ جَـفَّ لِي رِيـقٌ وكَـلَّ فَـمُ

٦- قال أحمد شوقي:

وبِمِصْـرٍ لِلْعِلْـمِ دَارٌ، ولِلضَّـيْفَانِ نَـارٌ عَظِيمَـةٌ حَمْـرَاءُ

٧- وقال أحمد شوقي في شأن (سورية):

بِـلادٌ مَـاتَ فِتْيَتُهَـا لِتَحْيَـا وَزَالُـوا دُونَ قَـوْمِهُم لِيَبْقُـوا

٨- قال حافظ إبراهيم في وصف القطار:

يَـا حَدِيـدًا يَنْسَـابُ فـوقَ حديـدٍ كانْسِـيَابِ الرَّقْطَـاءِ فَـوق الرَّغَـامِ



٩- وقال حافظ إبراهيم:

سَـــنُطْرِي أيَادِيـــكَ الَّـــتِي أفَضْـــتَهَا عَلَيْنَـــا، فَلَسْـــنَا أمَّـــةً تَجْحَـــدُ اليَـــدَا

١٠- قال محمود سامي البارودي:

تَلُـــومِينِي عَلَـــى عَـــبَرَاتِ عَيْـــنِي وَلَـــوْلَا الحُـــبُّ لَـــمْ تَجْـــرِ المَـــآقِي

١١- قال ناصيف اليازجي متغزلًا مستعطفًا:

إنْ يَمْنَـعِ القَـوْمُ إلْمَـامِي فَمَـا مَنَعُـوا أنْ أنْظُـرَ الـحَيَّ أوْ أسْتَنْشِـقَ الأرَجَـا

١٢- قال محمود غنيم في حفظ كرامة الأستاذ والمعلم:

وَيَنْطَبِـــعُ الوَلِيـــدُ عَلَـــى هَـــوَانٍ إذَا مَـــا هَـــانَ أُسْـــتَاذُ الوَلِيـــدِ

١٣- وقال غنيم مفتخرًا بشعره:

عَصَـرَ النَّـاسُ كُـلَّ خَمْـرٍ، وخَمْـرِي عَصَـرَتْ كَرْمَهَـا يَـدُ الرَّحْمَـانِ

١٤- قال علي الجندي واصفًا بعض الدول الغربية:

أفْنَـوا الشُّـعُوبَ وسَـارُوا فِي جَنَازَتِهَـا يَبْكُـونَ بِالـدَّمْعِ، لَا جَفَّـتْ لَهُـمْ مُقَـلُ

١٥- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

لَكِنَّـــنِي فِي كُـــلِّ لَيْلَـــةِ جُمْعَـــةٍ أَدَعُ القَصِـــيدَةَ جَانِبًـــا وأتُـــوبُ

١٦- قال محمد العيد آل خليفة مخاطبًا أمة العرب:

قَـــدْ آنَ أَنْ تَلِـــدِي النَّوَابِـــغَ مِثْلَمَـــا أنْبَغْـــتِ مِـــنْهُمْ فِي الزَّمَـــانِ الغَـــابِرِ

المثال	المجاز المرسل	علاقته	التعليل
١	يمينُه	سببية	ذكر اليمين وقصد النعمة، فهي سببها
١	وجهه	كلية	ذكر الكل (الوجه)، وقصد الجزء (الخد)
٢	الحَدَق	جزئية	ذكر الجزء (الحدق)، وقصد الكل (العين)
٣	التقوىٰ	حالية	ذكر التقوىٰ، وقصد الفقيد نفسه، لأن التقوىٰ حالة فيه
٤	ميّت	مستقبلية	ذكر (الميت) وقصد الحي الذي شارف علىٰ الموت
٥	فَمٌ	كلية	ذكر الكل (الفم)، وقصد الجزء (اللسان)
٦	نار عظيمة	سببية	ذكر النار وقصد الطعام، فهي سبب في إنضاجه
٧	فتيَتُها	كلية	ذكر الكل (الفتية)، وقصد الجزء (البعض منهم)
٨	حديدا	ماضوية	فالحديد المادة التي صنع منها القطار فهي أصله
٩	أياديك	سببية	فالمقصود (النعمة)، والمذكور (اليد)، فهي سببُها.
١٠	المآقي	مكانية	المقصود الدموع، والمذكور المآقي، فهي مكانها
١١	الحيَّ - الأرَج	كلية	ذكر في الكلمتين الكلَّ، وقصد جزءا منه.
١٢	الوليد	ماضوية	ذكر الوليد، وقصد التلميذ، فالتلميذ كان وليدا
١٣	خمرٍ	مستقبلية	ذكر الخمر والمقصود العنب، فالعنب سيكون خمرا
١٤	أفنوا الشعوبَ	كلية	ذكر الكل (الشعوب)، وقصد الجزء (البعض منهم)
١٥	القصيدة	جزئية	أطلق الجزء (القصيدة) وأراد الكل (الشعر)
١٦	الكرامَ - الأخيارَ	مستقبلية	المقصود لدوا الصغار الذين سيكونون كراما أخيارا





تمـرين

اكتشف المجاز المرسل، وعلاقته فيما يأتي:

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

أُحَدِّثُ كُلَّ قَارِئَةٍ

تُفَتِّشُ فِي بَقَايَا البُنِّ

فِي الفِنْجَانِ

عَنْ بَخْتٍ.

وقال أيضًا:

فقيرٌ

يكسرُ الأحجارَ في (دِلْهِي)

ويُخْرِجُ خُبْزَهُ مُرًّا

ويَحْلُمُ بالمَسَاءِ الحُلْوِ.

وله كذلك:

فَيُرْسِلُ العُيُونَ فِي انْدِهَاشِهَا

ويُرْسِلُ الشِّفَاهَ فِي سَلَامِهَا مُصَلِّيَا.

قال إيليا أبو ماضي في الرثاء:

مَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ طَارَ نَعْيُهُ أنَّ النُّفُوسَ مِنَ العُيُونِ تَسِيلُ

وقال في الغزل:

وَلَمْ نَشْتَمِلْ بِاللَّيْلِ والحَيُّ نَائِمٌ وَلَمْ نَسْتَتِرْ بِالرَّوْضِ واللَّيْلُ مُمْتَدُّ

وقال في وصف الطبيعة:

وَاشْرَبْ بِعَيْنَيْكَ الجَمَالَ فَإِنَّهُ خَمْرٌ بِغَيْرِ يَدِ الهَوَى لَنْ تُعْصَرَا

ولإيليا أبي ماضي في الإنسان المُتكبِّر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وعَرْبَدْ

قال محمود غنيم:

أَعْدَدْتُ للنُّقَادِ صَدْرًا لَمْ يَضِقْ يَوْمًا بِمُنْتَقِدٍ فَسِيحُ رِحَابِهِ

قال أحمد شوقي في شأن سورية:

دَمُ الثُّوَّارِ تَعْرِفُهُ فِرَنْسَا وَتَعْرِفُ أَنَّهُ نُورٌ وحَقُّ

وقال أحمد شوقي في وصف شاعرٍ موسيقيّ:

يَكَادُ إذَا هُوَ غَنَّى الوَرَى بِقَافِيَةٍ يُنْطِقُ القَافِيَهْ

قال بشارة الخوري:

أَنَا أَدْرَى بِالطَّيْرِ حِينَ تُغَنِّي كَمْ جِرَاحٍ سَالَتْ عَلَى الأَعْوَادِ

قال حافظ إبراهيم:

وَشَاعَ فِيَّ سُرُورٌ لَا يُعَادِلُهُ رَدُّ الشَّبَابِ إِلَى شَعْرِي وجُثْمَانِي

وقال حافظ واصفًا قصرًا:

فَيَا لَكَ مَنْزِلًا رَحْبًا سَرِيًّا بَنَتْهُ أَنَامِلُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ

وقال حافظ إبراهيم:

الشَّعْبُ يَدْعُو اللهَ يَا زَغْلُولُ أَنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى يَدَيْكَ النِّيلُ

قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون:

إِلَى الثَّــأْرِيَــا مَعْشَــرَ المُسْــلِمِين   إِلَى القُــدْسِ كَــيْ نَنْصُــرَ المَسْــجِدَا

قال الشاعر القروي في الحكمة:

وَلَوْ كَانَ يُغْنِي الحُبُّ أَوْ يَدْفَعُ الرَّدَى   لَمَـا نَـامَ تَحْـتَ الـتُّرْبِ حَيٌّ لَـهُ أُمُّ

قال علي الجارم في مولد (فريال) ابنة الملك فاروق:

صَفَّقَتْ مِصْرُ حِينَمَا جَاءَتِ البُشْـ   رَى، فَــأَهْلًا بِمَوْلِــدِ الآمَــال

وقال علي الجارم:

هَذِي الإِذَاعَةُ يَا مَوْلَايَ قَدْ نَطَقَتْ   بِمَـا بَــذَلْتَ بِإِفْصَــاحٍ وتِبيَــانِ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

لَـكَ خُلُـقٌ لَـوْ ذَاقَـهُ مُجْتَـنِي النَّحْـلِ   دَعَـا: مَـا جَنَيْـتُ مَـا عِشْـتُ نَحْـلَا



المَجَازُ العَقْلِيّ

تعريف المجاز العقليّ: «هُوَ إسْنَادُ الفِعْل، أوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إلَىٰ غَيْرِ مَا هُوَ لَه، لِعَلاقَةٍ مَا، مَعَ وُجُودِ قَرِينَةٍ تَمْنَعُ مِنْ إرَادَةِ الإسْنَادِ الحَقِيقِيّ»[1]، والمَقْصُودُ بِـ (مَا فِي مَعْنَاه): المُشْتَقَّاتُ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلَ الفِعْل، كالمَصْدَر، واسْمِ الفَاعِل، واسْمِ المَفْعُول، والصِّفَةِ المُشَبَّهَة، واسْمِ التَّفْضِيل.

علاقات المجاز العقليّ:

السَّبَبِيَّة: وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ، أوْ مَا فِي مَعْنَاه، إلَىٰ السَّبَبِ الَّذِي أدَّىٰ إلَيْه. ومثالها: «أهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَار»، لاحظْ أننا أسندنا الفعل «أهلك» إلىٰ الدّينار، والدينارُ لا يهلك الناسَ حقيقة، بل هو سببُ الفتنة التي تؤدي إلىٰ الهلاك، فالمجاز عقليّ، والعلاقة سببيّة. ومنها شعرًا قول الشاعر العراقي جعفر الحلّي متغزلًا:

سَفَرْتَ فَقَطَّعْتَ القُلُوبَ صَبَابَةً كَمَا قَطَّعَ الأَيْدِي شَبِيهُكَ يُوسُفُ

لو تأملت البيت لوجدت أن الشاعر قد أسند فعل القطع إلىٰ يوسف عليه السلام، ويوسفُ لم يقطع أيادي النساء حقيقة، بل كان جماله سببًا في ذلك.

ومن شواهدها قول مفدي زكريا في إشارةٍ إلىٰ (عصبة الأمم) غير المأسوف عليها:

كَمْ خَانَ فِيهَا قَضَايَا العَدْلِ نَاصِعَةً قَوْمٌ يَسُوقُهُم (الدُّولَارُ) كَالبَقَرِ!

---

(١) المعجم المفصل في علوم البلاغة الدكتورة إنعام نوّال عكاوي (ص ٦٣٩).

ومن هذه العلاقة قول أحمد أمين: «بِفَضْلِ النَّقْدِ كَثُرَتِ الكُتُبُ التي يَطْبَعُهَا المُؤَلِّفُون، وأَصْبَحَ الإِنْتَاجُ الأَدَبِيّ أَضْعَافَ مَا كَان». فالمؤلفون ليسوا في الحقيقة مَنْ يطبعون الكتب، وإنما الفاعل الحقيقي هم عُمَّال المطبعة، ولمَّا كان المؤلفون هم السبب في طبع الكتب أُسْنِدَ الفعلُ إليهم.

ومن هذه العلاقة قول بعضهم: «شَفَىٰ الطَّبِيبُ المَرِيض»، فالشافي هو الله تعالىٰ، والطبيبُ سببٌ في الشفاء، ومنها أيضا قولنا: «بَنَىٰ رَئِيسُ الجُمْهُورِيَّةِ جَامِعَ الجَزَائِرِ الأَعْظَم»، فالرئيس ليس في الحقيقة فاعلًا، وإنما هو مَنْ أصدر قراره بالبناء، فكان بناء الجامع في عُهدته، نقول: لقد أسندنا الفعل (بنىٰ) إلىٰ الرئيس، ولكنه ليس الفاعل الحقيقي، إنما الفاعل الحقيقي هم العُمّال، والبناؤون الذين يبنون الجامع بقرار صادر من الرئيس.

الزَّمَانِيَّة: وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَىٰ الزَّمَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيه، ومثالها قول مفدي زكريا:

نُوفَمْبَرُ غَيَّرْتَ مَجْرَى الحَيَاة ... وَكُنْتَ نُوفَمْبَرُ مَطْلَعَ فَجْرِ

المَكَانِيَّة: وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ، أَوْ مَا فِي مَعْنَاه، إِلَىٰ مَكَانِ المُسْنَدِ إِلَيْه، أيْ يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَىٰ المَكَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيه، ومنها قول الشاعر إبراهيم ناجي:

لَاحَتْ لَهُ بَعْدَ الهَوَاجِرِ أَيْكَةٌ ... غَنَّاءُ تَبْسُطُ ظِلَّهَا المَمْدُودَا

منَ الواضح أنّ الأيكة لا تغنّي، وإنما أسندنا الغناء إلىٰ غير فاعله الحقيقي، وبما أنّ الفاعل الحقيقي الذي يغنّي هو الطيور، والعصافير، التي مكانها الأيكة، لذلك أسندنا الغِناء إلىٰ الأيكة، علىٰ سبيل المجاز العقلي، الذي علاقته مكانية.

وقد جمع الشاعرُ خليل الخوري بين الفاعلين الحقيقي، والمجازي في قوله:

فِي الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ كَمْ غَنَّى ... لَنَا طَيْرُ الهِزَارِ عَلَى غُصُونِ البَانِ

المَصْدَرِيَّة: وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَىٰ مَصْدَرِهِ، بَدَلًا مِنَ الفَاعِلِ الحَقِيقِيّ، ومثالها قول ميخائيل نعيمة في وصف الحرب: «كَأَنَّ العَالَمَ فِي حُمَّىٰ، وفي هَذَيَان، أَوْ كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ جُنَّ جُنُونُهُم». والمعنىٰ: جُنّ الناسُ، ومثالها أيضًا قول نزار قباني:

فَـــذُنُوبُ شِـــعْرِي كُلُّهَـــا مَغْفُـــورَةٌ ... واللهُ جَـــلَّ جَلَالُـــهُ التَّـــوَّابُ

والمعنىٰ: جَلَّ اللهُ. حيث أسند الشاعرُ الفعلَ إلىٰ مصدره، بدل أنْ يسنده إلىٰ الفاعل الحقيقي.

ومثلها في قول شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

نُـــوفَمْبَرُ جَـــلَّ جَلَالُـــكَ فِينَـــا ... أَلَسْـتَ الـذي بَـثَّ فِينَـا اليَقِينَـا؟

ومثالها كذلك (جَدَّ جِدُّهُمْ)، فنحن جعلنا المصدر (جِدُّهُم) فاعلًا، وأسندنا الفعل إليه بدلًا من الفاعل الحقيقي.

المفعولية: وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَىٰ صِيغَةِ اسْمِ الفَاعِلِ، والمُرَادُ اسْمُ المَفْعُول، قال ميخائيل نعيمة: «إنِّي أُنْكِرُ عَلَىٰ النِّفْطِ قِيمَةً جَدِيرَةً بأَنْ تُهْدَرُ في سَبِيلِهَا الدِّمَاءُ البَشَرِيَّةُ الزَّكِيَّة، فَتُزْهَقُ الأَرْوَاح، وتَتَفَتَّتُ الأَكْبَاد، وتَغْدُو المُدُنُ الآهِلَةُ والقُرَىٰ العَامِرَةُ خَرَابًا، والحُقُولُ والبَسَاتِينُ الغَنَّاءُ يَبَابًا». ففي قوله: (المُدُنُ الآهِلَةُ، والقُرَىٰ العَامِرَةُ) استخدم الكاتبُ صيغة اسم الفاعل، وأراد صيغة اسم المفعول، فالمقصود: المُدُن المَأْهُولَة، والقُرىٰ المَعْمُورَة.

ومثالها في الشعر قول الشاعر أمين الجندي:

أُنَادِي فَلَا أَلْقَى مُجِيبًا سِوَى الصَّدَى ... فَأَحْسَـــبُ أَنَّ الـــحَيَّ لَـــيْسَ بِآهِـــلِ

استخدم الشاعرُ (آهِل)، بصيغة اسم الفاعل، والمقصود: (مأهُول)، بصيغة اسم المفعول.



ومنها قول محمد العيد آل خليفة:

رِيَاضٌ دَنَتْ للطَّامِعِينَ قُطُوفُهَا ... فَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهُمْ عَنِ القَطْفِ طَاعِمُ

فالمذكورُ اسمُ الفاعل: (طَاعِم)، والمقصودُ اسمُ المفعول: (مَطْعُوم).

ومثالها قول محمود سامي البارودي:

جُودِي عَلَيَّ ولَوْ بِوَعْدٍ كَاذِبٍ ... فَالوَعْدُ فِيهِ تَعِلَّةٌ ورَجَاءُ

المقصود: (جُودي عليَّ ولو بوعد مكذوب).

ومنها قول خليل مطران:

مَا أَسْخَفَ العَبَرَاتِ سَاكِبَةً ... وَالنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمِ

فالعبرات تكون مسكوبة، لا ساكبة.

الفَاعِلِيَّة: وهِيَ عَكْسُ العَلَاقَةِ السَّابِقَة، وفِيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَىٰ صِيغَةِ اسْمِ المَفْعُول، والمُرَادُ هُوَ اسْمُ الفَاعِل، ومثالها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥]، فالحِجَابُ في أصله سَاتِرٌ، لا مَسْتُور، نقول: لقد حَلَّ اسمُ الفاعل مَحَلَّ اسم المفعول، فالعبارة إذن مجازٌ عقليّ، والعلاقة فاعِلِيّة.

بلاغة المجاز العقليّ:

المجازُ العقليّ أسلوبٌ راقٍ، يُعَبِّرُ عن سعة اللغة العربية، وقُدرتها علىٰ تجاوز حدود الحقيقة إلىٰ الخيال، ويسمّيه بعضُ البلاغيّين الإسنادَ المجازي، لذلك ترىٰ كثيرا من الباحثين يدرجونه في علم المعاني، لا في علم البيان. ويُعتبَر المجازُ العقلي من الأساليب البلاغية التي وسَّعَتْ مجالاتِ التعبير، وأضْفتْ علىٰ اللّغة طابع الجمال، فبِوَسَاطَتِهِ أثبتت اللّغةُ العربية قُدرتَها علىٰ القفز فوق حدود الحقيقة، بُغية استيعاب الصُّور الخياليّة السّاحرة، وقد أطلق أئمةُ البلاغة

العِنان في الحديث عن بلاغة المجاز العقلي، فقال ابن رشيق القيرواني في كتابه (العُمْدَة): «إنّ العرب كثيرًا ما تستعمل هذا المجاز، وتعُدُّهُ من مفاخر كلامها، وهو دليل الفصاحة، وبه بانتْ لغتُها عن سائر اللغات، والمجازُ في كثيرٍ من الكلام أبْلَغُ من الحقيقة، وأحْسَنُ موقعًا في القلوب، والأسماع».



التطبيق

حدد المجاز العقلي، وعلاقته مع التعليل في النماذج الآتية:

١- قال خليل مطران:

مَتَى تَصْدَحِ الأطْيَارُ فَالفَجْرُ صَادِحٌ وإنْ تَسْكُبِ الأمْطَارُ فَالبَحْرُ سَاكِبُ

٢- قال محمود سامي البارودي:

فَيَا مِصْرُ مَدَّ اللهُ ظِلَّكِ وارْتَوَى ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقِ

٣- قال إسماعيل صبري:

بُشْرَاكَ بِالعِيدِ السَّعِيدِ فَإنَّهُ قَدْ أَمَّ بَابَكَ رَاضِيًا مُسْتَبْشِرَا

٤- قال معروف الرصافي:

أقُولُ ولَيْلُ الغَرْبِ لَيْسَ بِنَائِمٍ: أَمَا لِنِيَامِ القَوْمِ فِي الشَّرْقِ مِنْ بَعْثِ؟

٥- وقال الرصافي:

تَبَصَّرْ تَجِدْ هَذِي البَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرَ اليَتَامَى عَامِرًا بِالمَآتِمِ

٦- قال محمود غنيم في وصف شعر علي الجارم:

يَا رُبَّ دِيوَانٍ تَأنَّقَ رَبُّهُ فِي طَبْعِهِ وافْتَنَّ فِي عُنْوَانِهِ

٧- قال محمود غنيم:

الفَنُّ إنْ يَأْخُذْ بِسَاعِدِ أُمَّةٍ نَهَضَتْ، وتَذْهَبُ رِيحُهَا بِذَهَابِهِ

٨- قال أحمد شوقي:

كُلُّنَا وَارِدُ السَّرَابِ، وكُلٌّ حَمَلٌ فِي وَلِيمَةِ الذِّئْبِ طَاعِمْ

٩- قال محمد العيد آل خليفة:

جَـدَّ جِـدُّ الإسْـلَامِ فِي كُـلِّ أَرْضٍ وَانْجَلَـى عَـنْ بَنِيـهِ دَاءُ الفُتُـورِ

١٠- وقال محمد العيد:

فَـإِذَا الصَّـحَارِي جَنَّـةٌ مُخْضَـرَّةٌ غَنَّـاءُ، فِيهَـا الـرَّوْحُ وَالرَّيْحَـانُ



حل التطبيق

المثال	المجاز العقلي	علاقته	التعليل
١	الفجر صادح	زمانية	أُسند الصُّدَاحُ إلىٰ الزمن الذي وقع فيه (الفجر)
١	البحر ساكب	مفعولية	البحر مسكوب فيه ماء المطر
٢	دافق	مفعولية	استعمل اسم الفاعل في موضع اسم المفعول
٣	العيد السعيد	زمانية	نسب السعادة إلىٰ الزمان الذي وقعت فيه (العيد)
٤	ليس بنائم	زمانية	نسب النوم إلىٰ الليل، والليل زمانُ النوم
٥	عامرًا بالمآتمِ	مفعولية	أطلق اسم الفاعل، وأراد اسم المفعول (معمور)
٦	تأنّق في طبعه	سببية	الشاعر ليس فاعلًا حقيقيًا بل السبب في طبع الديوان
٧	الفن يأخذ بساعد...	سببية	الفاعل الحقيقي هم الفنانون، وما الفن سوىٰ سبب
٨	كلُّنا طاعم	مفعولية	استعمل اسم الفاعل (طاعم) والمقصود اسم المفعول (مطعوم)
٩	جدَّ جِدُّ الإسلام	مصدرية	أُسند الفعل (جَدَّ) إلىٰ المصدر (جِدُّ) بدل الفاعل الحقيقي
١٠	جنة غناء	مكانية	أسند الغناء إلىٰ المكان الذي وقع فيه (الجنة)





الكِنَايَة

تعريف الكناية لغة: «الكِنَايَةُ من الاكْتِنَان، وهو السَّتْر، وأَصْلُهَا كِنَانَة، وإِنَّمَا قُلِبَتْ النُّونُ يَاءً هَرَبًا مِنْ تَكْرَارِ نُونَيْن»[١]. فالكِنَايَةُ أَنْ تتكلّمَ بِشَيْءٍ، وتُرِيدُ غَيْرَهُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْه. وهِيَ الكَلَامُ عَلَىٰ الشَّيْءِ عَلَىٰ نَحْوٍ غَيْرِ مُبَاشِر، إذْ هِيَ عَكْسُ الإيضَاح، وعَكْسُ المُصَارَحَة. قال الأديب أحمد حسن الزيات في هذا المعنىٰ: «وَمَجَالِسُ الشَّبَابِ وَهُمْ يَتَبَادَلُونَ فِي احْتِشَامٍ كِنَايَاتِ الغَزَلِ الحَيِيِّ».

ومنه قول أحمد شوقي في الغزل:

يَـا فَتَـاةَ العِـرَاقِ، أَكْـتُمُ مَـنْ أَنْـ ... ـتِ، وأَكْـنِي عَـنْ حُـبِّكُمْ بِـالعِرَاقِ

وهذا ما عناه البارودي أيضًا حين أنشد هذين البيتين:

قَالتْ وقَدْ سَمِعَتْ شِعْرِي فأعْجَبَهَا: ... إنِّي أخَـافُ عَلَـى هَـذَا الغُـلَامِ يَـا أَبِي

أَرَاهُ يَهْتِـفُ بِاسْـمِي غَـيْرَ مُكْـتَرِثٍ ... ولَـوْ كَـنَى لَـمْ يَـدَعْ للظَّـنِّ مِـنْ سَـبَبِ

الكناية اصطلاحًا: عرّف الجرجاني الكنايةَ بقوله: «هِيَ أَنْ يُرِيدَ المُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَ مَعْنًىٰ مِنَ المَعَانِي، فَلَا يَذْكُرُهُ بِاللَّفظِ المَوْضُوعِ لَهُ فِي اللُّغَة، ولَكِنْ يَجِيءُ إِلَىٰ مَعْنًىٰ هُوَ تَالِيهِ ورِدْفُهُ فِي الوُجُود، فَيُومِئُ بِهِ إِلَيْه، ويَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْه»[٢]. ولقد اشتهر في الكناية التعريفُ الآتي: «الكِنَايَةُ لَفْظٌ أُطْلِقَ، وأُرِيدَ بِهِ لَازِمُ مَعْنَاه الحَقِيقِي، مَعَ قَرِينَةٍ لا تَمْنَعُ مِنْ إرَادَةِ المَعْنَىٰ الأَصْلِيّ»[٣].

---

(١) جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (ص ١٠٠).

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني (ص ١٠٥).

(٣) علم البيان عبد العزيز عتيق (ص ٢٠٣).



أقسام الكناية:

١) **الكناية عن صفة**: «وهِيَ الكِنَايَةُ الَّتِي يَسْتَلْزِمُ لَفْظُهَا صِفَةً مِنَ الصِّفَات»[١]، كالنّدم، والبُخْل، والكَرَم، والشَّجَاعَة، والجَمَال، والقُبْح، والجُبْن، والعجْز، والذَّكَاء، والحُمْق، وغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَات.

قال محمود غنيم مخاطبًا هلال السنة الهجرية، ومتذكّرًا مجد العرب:

وَلَقَدْ طَلَعْتَ عَلَى بَنِي العَبَّاسِ إِذْ ... جَلَسَ الرَّشِيدُ مَعَ السُّهَا فِي مَقْعَدِ

فالشاعر كما ترىٰ قد ذكر صفة جلوس الرشيد مع (السها)، غير أن هذه الصفة ليست الصفة المقصودة، وإنما الصفة اللازمة عنها، وهي صفة علوِّ مقام هارون الرشيد، ورفعةِ منزلته.

وقال الشاعر محمود غنيم في وصف ليلِ ونهارِ فصلِ الشتاء:

نُجُومُهُ قَدْ مَشَيْنَ حَبْوًا ... وشَمْسُهُ جَرَّهَا القِطَارُ

الشاعر يريد القول إن ليل الشتاء طويل، فعبر عن صفة الطول وهي الصفة المقصودة بصفة أخرىٰ غير مقصودة في ذاتها، وهي مشي النجوم حبوا، وفي الشطر الثاني عبر الشاعر بصفة جرِّ القطارِ للشمس، وهي ليست الصفة المقصودة، بل أراد صفة أخرىٰ لازمة عنها، وهي صفة قصر النهار في فصل الشتاء.

وقال غنيم واصفًا الحرب العالمية الثانية:

حَمَلَتْ هُمُومَ الحَرْبِ فِي بَارِيسَ مَنْ ... كَانَتْ يَدَاهَا تَشْكُوَانِ سِوَارِهَا

ذكر الشاعر صفة غير مقصودة في ذاتها، وهي شكوىٰ يديْ المرأة الباريسية من السوار، لكنه قصد الصفة اللازمة عن تلك الصفة، وهي صفة امتلاء المعصم.

---

(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ٢٤٣).



وقال في البيت التالي:

كَمْ غَبَّرَتْ بِدُخَانِهَا وَجْهًا إِذَا   بَصُرَتْ بِهِ شَمْسُ السَّمَاءِ أَغَارَهَا

فالشاعر ذكر في المصراع الأول صفة اغبرار وجه الحسناء في الحرب، غير أن هذه الصفة ليست الصفة المقصودة في ذاتها، بل الصفة اللازمة عنها، وهي الدمار والخراب الذي ألحقته الحرب بالمباني والمنازل التي صيَّرتها الحرب أطلالا، وتركتها أثرًا بعد عين، وفي المصراع الثاني ذكر الشاعر صفة غروب الشمس عند رؤية وجه الحسناء، ولكنها ليست الصفة المقصودة في ذاتها، وإنما الصفة المقصودة هي صفة الجمال والحُسن.

وقال واصفا سرعة المواصلات:

ضَيَّقُوا رُقْعَةَ البَسِيطَةِ حَتَّى   لَمْ يَعُدْ يَشْتَكِي بَنُوهَا اغْتِرَابَا

فاللفظ الذي كنَىٰ به الشاعر هو (تضييق رقعة البسيطة)، أما المعنىٰ الذي كنىٰ عنه فهو مقاربة ما بين أطراف الأرض بسرعة المواصلات.

وقال محمود غنيم في قصيدة (صاحبٌ ثقيل):

فَتَّشْتُ عِنْدَ مَسِيرِهِ عَنْ ظِلِّهِ   فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَاصَ فِي جَوْفِ الثَّرَى

فالبيت كناية عن ثقل الرجل، (ثقل ظله).

وقال محمود غنيم مادحًا:

عَهِدْتُكَ تَعْمَلُ خَلْفَ السِّتَارِ   وَتَبْذُلُ إِثْرَ الجُهُودِ الجُهُودَا

فالشاعر ذكر صفة العمل خلف الستار، وهي ليست الصفة المقصودة، إنما الصفة المقصودة اللازمة عن تلك الصفة المذكورة، وهي صفة كتمان الأمر وإخفائه، فالشاعر يريد القول إن ممدوحه (جنديٌّ جنود الخفاء) حسب تعبير العصر.

قال نزار قباني في رائعته (يا تونس الخضراء):

وَالعَالَمُ العَرَبِيُّ يَرْهَنُ سَيْفَهُ فِحِكَايَةُ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ سَرَابُ

ذكر نزار قباني صفة غير مقصودة لذاتها، وهي (رهن السيف)، والصفة المقصودة اللازمة عنها هي صفة الجبن والتخاذل، نقول إنّ (رهن السيف) هو اللفظ الذي كَنَىٰ به الشاعر، والجُبْنُ هو المعنىٰ الذي كَنَىٰ عنه.

ومن نماذج هذا النوع من الكناية قول الشاعر السوري سليمان الصولة يصف فَرَسًا:

بِسَابِحٍ لَا يَكَادُ الطَّرْفُ يُدْرِكُهُ يَقُولُ لِلْبَرْقِ: سِرْ مَهْلًا عَلَى أَثَرِي

حيث ذكر الشاعر صفة عدم إدراك الطرف لهذا الفرس، ولكنها ليست الصفة المقصودة في ذاتها، بل هناك صفة لازمة عنها وهي مُراد الشاعر، وهذه الصفة هي صفة السرعة، لكنْ ليس هذا الفرس سريعا كالبرق فحسب، بل إن البرق يسير خلفه متمهلا عاجزا عن اللحاق به!

ومن نماذجها أيضًا قول فوزي المعلوف في شأن النازحين عن لبنان بسبب الحرب:

وَدَّعُوهَا والمَاءُ مِلْءُ المَآقِي لِنَوَاهَا وَالنَّارُ مِلْءُ الكُبُود

ذكرَ الشاعرُ النازحين عن وطنهم، ونسب إليهم صفتين: الأولىٰ: (امتلاء المآقي بالدموع)، والثانية: (تأجّج النيران في الأكباد)، ولكنّ الشاعر لم يُرد تلك الصفتين لذاتهما، وإنما أراد الصفتين اللازمتين عن كلٍّ منهما، وهما: الحزن الشديد، وحرقة القلب.

ومنها قول شكيب أرسلان في مدح أحمد شوقي:

وَفَرْتَ يَا شَوْقِي السَّبَاقَ عَلَى الوَرَى بِرِيَاسَةٍ بَاتَ السِّبَاقُ وَرَاءَهَا

وهي كناية عن تفوقه ونبوغه في الشعر ولذا استحق لقب أمير الشعراء.

ومن روائع الكناية قول الشاعر حيدر الحلي واصفًا وجه حسناء حَدَرَتْ نقابها:

حَدَرَتْهُ عَنْ قَمَرٍ يَوَدُّ رَقِيبُهُ ... لَوْ أَنَّهَا اسْتَغْشَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا

يُقال: استغشىٰ ثيابه أو بثيابه، أي تغطىٰ به كي لا يسمع، ولا يرىٰ، فالشاعر قد ذكر صفة الاستغشاء بالثياب، ولست تلك الصفةَ المقصودة في ذاتها، وإنما الصفة اللازمة عنها، وهي صفة جمالِ المُحَيَّا، وإشراقة الوجه.

وقال واصفًا شَعر المحبوبة:

فَتَسَتَّرَتْ بِظَفَائِرٍ لَوْ تَحْتَهَا ... سَرَتِ الكَوَاكِبُ مَا اهْتَدَتْ لِمَسِيرِهَا

معلوم أن الكواكب تهتدي لمسيرها ليلًا، لكنَّ فحمة شَعرِ المحبوبة من شدة السواد تجعل الكواكب تَضِلُّ طريقها، وتنحرف عن مسارها!

ومن بدائع هذا النوع من الكناية قول الشاعر العراقي جعفر الحلي متغزلًا:

خُرْسٌ خَلَاخِلُهَا إِذَا خَطَرَتْ بِهَا ... لَكِنَّ أَلْسِنَةَ الوِشَاحِ فِصَاحُ

إِنْ أَخْبَرَتْ بِالصَّدِّ فَهِيَ جُهَيْنَةٌ ... أَوْ وَاعَدَتْ بِالوَصْلِ فَهِيَ سَجَاحُ

في البيت الأول ذكر الشاعر صفتين اثنتين: الأولىٰ خَرَسُ الخلاخل، والثانية فصاحة ألسنة الوشاح، ولكن تلك الصفتين ليستا المقصودتين، بل إن هناك صفتين لازمتين عنهما، وهما مُراد الشاعر، الأولىٰ امتلاء الساقين، والثانية رقة الخصر.

وفي البيت الثاني وردت كناية أخرىٰ، وهي صدق المحبوبة في الهجران، وكذبها في الوصال.

ومن هذه الكناية قول جعفر الحلي مادحًا:

أَقُولُ لِمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يُبَارِي عُلَاكَ، وَغَرَّهُ الأَمَلُ الكَذُوبُ:
نَعَمْ سَتَنَالُ مَا تَبْغِي وَلَكِنْ إِذَا مَا عَادَ لِلضَّرْعِ الحَلِيبُ

والقول كناية عن استحالة بلوغ الممدوح في علاه وسمو قدره.

ومنها قوله أيضًا:

فَإِلَى مَسَاعِيهِ الأَكُفُّ مُشِيرَةٌ وَعَلَى مَكَارِمِهِ الخَنَاصِرُ تُعْقَدُ

حيث ذكر الشاعر صفتين اثنتين: الأولىٰ إشارةُ الأكف إلىٰ الممدوح، والثانيةُ عقد الخناصر علىٰ مكارمه، ولكن تلك الصفتين ليستا المقصودتين، بل هناك صفتان لازمتان عنهما، وهما مُراد الشاعر، الأولىٰ صفة شهرة الممدوح وصيته، والثانية صفة اتفاق الناس واجتماعهم علىٰ مكارمه.

ومن بديع هذا النوع قول بطرس كرامة:

مَاسَتْ فَبَانَتْ غُصُونُ البَانِ مِنْ خَجَلٍ وَأَسْفَرَتْ فَتَنَاجَى الحُورُ وَالعِينُ

لعلك لاحظت أن الشطر الأول استعارة مكنية سبق التطرق إليها، أما الشطر الثاني فهو كناية، إليك شرحها: ذكر الشاعر صفة تناجي الحور العين حين أسفرت هذه الحسناء، ولكن هذه الصفة المذكورة ليست هي مراد الشاعر، وإنما الصفة المقصودة اللازمة عن تلك الصفة هي صفة الجمال والحسن.

وقال كرامة في مدح أديب:

وَيَا لَكَ أَدِيبًا يُبْدِي إذَا مَا تَكَلَّمَ أَلْفَ مَعْنًى فِي عِبَارَهْ

يريد الشاعر أن يقول إن الممدوح قد أوتي جوامع الكلم، فذكر عبارة: (تكلم ألف معنىٰ في عبارة)، وهي كناية عن صفة البلاغة والفصاحة.

ومنها قول الشاعر اللبناني عمر الأنسيّ يفخر بقصيدته:

فَمَا ارْتَفَعَتْ كَعْبٌ لِكَعْبٍ أَمَامَهَا وَلا نَبَغَتْ أقْلَامُ نَابِغَةَ الجَعْدِي

فارتفاع الكعب كناية عن صفة التفوّق والتميّز، والشطر الثاني كناية عن النبوغ والتفوق في الشعر.

ومن الكنايات الراقية قول الشاعر القروي مفاخرًا بقومه العرب:

تَمِيدُ بِنَا الجِبَالُ إذَا زَحَفْنَا وَتَرْتَجُّ السُّهُولُ بِنَا ارْتِجَاجَا

سَنَفْتَحُ فِيكُمْ لِلْمَوْتِ سُوقًا تُلاقِي فِي صُفُوفِكُمْ رَوَاجَا

البيت الأول كناية عن صفة القوّة والبأس، والبيت الثاني كناية عن صفة التّهديد والوعيد.

ومنها قول علي الجارم:

لا يَنْزِلُ الضَّيْفُ صُبْحًا عُقْرَدَارِهِم إلّا وَيُمْسِي عِشَاءً صَاحِبَ الدَّارِ

الشاعر ذكر صفة امتلاك الضيف للدّار، وهي ليست الصفة المقصودة، بل أراد صفة ثانية لازمة عنها، وهي صفة الكرم، فلفظ (صاحب الدّار) هو اللفظ الذي كنىٰ به، والكرمُ هو المعنىٰ الذي كنىٰ عنه.

ومن صفة الكرم أيضًا قول محمود سامي البارودي:

فَزُرْهُمْ تَجِدْ مَعْرُوفَهُمْ دَانِيَ الجَنَى عَلَيْكَ وَبَابَ الخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قُفْلُ

ومن بدائع هذا النوع من الكناية قول أحمد شوقي مفتخرا بقومه:

يَا ابْنَ الَّذِينَ إذَا الحُرُوبُ تَتَابَعَتْ صَلَّوْا عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ وصَامُوا

فالشاعر يثبت علوّ كعبٍ في التصوير، ويذكر صفةَ صلاةِ وصيام قومه علىٰ حدِّ السيوف، ولكنها ليست الصفة المقصودة في ذاتها، بل الصفة التي قصدها

الشاعر هي شجاعة قومه في الحروب، وملازمتهم للسيوف، مثلما يلزم المتعبد صلاته وصيامه.

ومنها قول معروف الرصافي في قصيدة (مليكة غناء العرب):

نَكَادُ إذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرُ إلَيْهَا بِأَجْنِحَةٍ مِنْ طَرَبْ

وإنْ هِيَ قَامَتْ لإنْشَادِهَا جَثَوْنَا لَهَا وثَنَيْنَا الرُّكَبْ

في البيت الأول كناية عن صفة الإعجاب والانبهار بغناء المطربة، وفي البيت الثاني كناية لطيفة عن صفة الإنصات أو الإصغاء للطرب الأصيل.. (فكأنّ علىٰ رؤوسهم الطّير).

ومن نماذج هذه الكناية قول الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

نَبِيَّ اللهِ، هَلْ يُرْضِيكَ أنّا نُدَاسُ - وَنَحْنُ جُنْدُكَ - بِالنِّعَالِ؟

لعلك أدركت أن الشطر الثاني كناية عن صفة المذلة والمهانة.

ومن نماذجها قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

يَا لَمَجْدٍ مُضَيَّعٍ غَيْرُمُجْدٍ عَضُّ كَفٍّ عَلَيْهِ أَوْ قَرْعِ سِنِّ

فالشاعر ذكر صفتين (عضّ الكفّ)، و(قرْع السّن)، وتلك صفتان غير مقصودتين، وإنما كان مُراد الشاعر صفتين لازمتين عنهما، وهما الندم والحسرة.

ومن نماذجها أيضًا قول محمد العيد مخاطبًا شهر رمضان الكريم:

حَمَلْتَ لَهَا مِنَ الزَّيْتُونِ غُصْنًا كَمَا حَمَلَتْهُ سَالِفَةُ الحَمَامِ

الشاعر يريد القول إن شهر رمضان الفضيل يحمل للبَرَايَا التراضيَ والسلام بعد العداواتِ والخصام، لكنه عبّر عن تلك الصفات المقصودة بصفة أخرىٰ غير مقصودة في ذاتها، وهي (حمل غصن الزيتون).

ومن نماذج الكناية عن الصفة قول إسماعيل صبري:

يَا صَاحِبَ النِّيلِ الَّذِي جَرَتْ بِهِ ... مِصْرُ عَلَى البُلْدَانِ ذَيْلًا أَخْضَرَا

حيث كنىٰ الشاعرُ بالذَّيْلِ الأخضر عن الخصب والنعمة.

ومن نماذجها قول حافظ إبراهيم في وصف إنسان حائر:

يَمْشِي إِلَى كَنَفِ الفِرَاشِ مُحَاذِرًا ... وَجِلًا يُؤَخِّرُ رِجْلَهُ ويُقَدِّمُ

حيث ذكر الشاعر صفة (تأخير الرِّجل وتقديمها)، ولكنه لم يرد تلك الصفة في ذاتها، وإنما كان مرادُه الصفة اللازمة عنها، وهي صفة التردّد، أو الحَيْرة.

ومنها قولُ إيليا أبي ماضي في صفة الجُبْن:

وَقُلُوبُهُم قَدْ أَسْرَعَتْ ضَرَبَاتُهَا ... وتَظُنُّهَا وَقَفَتْ عَنِ الخَفَقَانِ

مُتَلَفِّتِينَ إِلَى الوَرَاءِ بِأَعْيُنٍ ... تَتَخَيَّلُ الأَعْدَاءَ فِي الأَجْفَانِ

ومن الكنايات الظريفة قول محمود غنيم:

أَأُنْشِئُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ بَيْتٍ ... وَأَسْكُنُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالكِرَاءِ؟

فالشطر الأول كناية عن صفة الإكثار في الشعر، والشطر الثاني كناية عن صفة الفقر.

ومن هذا النوع من الكنايات قول مصطفىٰ صادق الرافعي:

وَلَوْ هَبَّ النَّسِيمُ عَلَيَّ يَوْمًا ... لَزَحْزَحَنِي ورَبِّكِ عَنْ مَكَانِي

فالشاعر يشكو فراق من يحبُّ، وقد نسب لجسده صفة غير مقصودة لذاتها (زَحْزَحَتُه عن مكانه بفعل هبوب النسيم)، وإنما أراد الصفة اللازمة عن تلك الصفة، وهي صفة النحول، والهزال.

أمّا الآن فسأتركك أيّها القارئ الكريم مع طائفة مختارة من كنايات الشاعر

الكبير نزار قبّاني، هذا الأديب الذي لا تكاد تقع عينك علىٰ بيت له، أو سطر، أو عبارة، إلا وقد ضمّنها كناية رائعة، فكأنما يغرف الكنايات من البحر، أو كأنما يدّخرُها في علب!

يقول نزار قباني: «يُرِيدُ بَعْضُ النُّقَّادِ القَوْلَ إنَّ جَمِيعَ الثِّيَابِ الّتِي لَبِسْتُهَا خِلَالَ أَرْبَعِينَ عَامًا كَانَتْ مَلَابِسَ مُسْتَعْمَلَة، وإنَّ كُلَّ القُمَاشِ الّذي اسْتَعْمَلْتُهُ كَانَ مِنْ وَبَرِ الجَمَل، وإنَّنِي لا أَزَالُ أَرْبِطُ نَاقَتِي عَلَىٰ أَبْوَابِ فَنَادِقِ لُنْدُن».

وقال في مَنْ يعترضون علىٰ شعره التجديدي: «طَبْعًا أَنَا لا أُسْقِطُ الحُطَيْئَةَ والفَرَزْدَقَ والنَّابِغَةَ مِنْ شَجَرَةِ العَائِلَة، ولَكِنَّنِي بالتَّأْكِيدِ لا أَطْلُبُ إذْنَهُمْ، وأُهَاتِفُهُمْ كُلَّمَا جَلَسْتُ لأَكْتُبَ قَصِيدَة».

ومن كناياته الشعرية قوله:

لأَنَّني حَاوَلْتُ أنْ أكْشِفَ عنْ حُزْنِي وَعَنْ بَلَائِي
ضُرِبْتُ بِالحِذَاءْ
يَا سَيِّدِي السُّلْطَانْ
لأَنَّ نِصْفَ شَعْبِنَا ليس لهُ لِسَانْ..
نُرِيدُ جِيلًا يَفْلَحُ الآفَاق
ويَنْكُشُ التَّارِيخَ مِنْ جُذُوره
ويَنْكُشُ الفِكْرَ من الأعْمَاق
نُرِيدُ جِيلا لا يَنْحَنِي.. لا يَعْرِفُ النِّفَاق
يا أيُّهَا الأَطْفَال
أنتُمُ الجِيلُ الّذِي سَيَكْسِرُ الأغْلَال
ويَقْتُلُ الأفْيُونَ في رُؤُوسِنَا

ويَقْتُلُ الخَيَال.

وقال أيضًا:

مَا زِلْنَا مُنْذُ حُزَيْرَان... نَحْنُ الكُتّاب
نَتَمَطّى فَوْقَ وَسَائِدِنَا
نَرْكَبُ أحْصِنَةً مِنْ خَشَب
وَنُقَاتِلُ أشْبَاحًا وَسَرَاب.

ولنزار قباني:

ونَلْبَسُ جِلْدَ النُّمورِ وَنَحْنُ حَمَام
ونَزْعُمُ أنّا جِبَال
وَنَحْنُ نَطِيرُ بِكُلِّ اتّجَاهٍ كَرِيشِ النّعَام.

وقال أيضا:

فَمَا زِلْنَا نُطَقْطِقُ عَظْمَ أرْجُلِنَا
ونَقْعُدُ فِي بُيُوتِ اللهِ نَنْتَظِرُ
بأنْ يَأتِيَ الإمَامُ عَلِيّ.. أوْ يَأتِيَ لَنَا عُمَرُ
ولنْ يَأتُوا.. وَلَنْ يَأتُوا
فلا أحَدَ بِسَيْفِ سِوَاهُ يَنْتَصِرُ.

٢) **الكناية عن موصوف**: «وهِيَ الكِنَايَةُ الَّتِي يَسْتَلْزِمُ لَفْظُهَا ذَاتًا، أوْ مَفْهُومًا»[(١)].

وإليك طائفة من نماذجها البليغة:

قال محمود غنيم بمناسبة تكريم الأديب عزيز أباظة:

عَصْرُ الحُسَامِ وعَصْرُ الذَّرَّةِ اقْتَرَنَا ... فِي شِعْرِهِ، والْتَقَى الصَّارُوخُ بِالجَمَلِ

---

(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ٢٤٥).



ذكر الشاعرُ (عصر الحُسام)، والتركيبُ كناية عن موصوف هو العصر القديم، و(عصر الذرة) وهو كناية عن موصوف هو العصر الحديث، وفي لفظ (الصاروخ) كناية عن موصوف أيضًا هو الأدب الحديث، وفي لفظ (الجَمل) كناية عن موصوف هو الأدب القديم.

ومنها قول غنيم في وصف بعض المدن الأوربية إبَّان الحرب العالمية الثانية:

مَـاذَا أَصَـابَ مَدِينَـةَ الأَزْيَـاءِ هَـلْ أَبْلَـى القِتَـالُ المُسْـتَحَرُّ إِزَارَهَـا؟

فـ (مدينة الأزياء) كناية عن موصوف، وهو مدينة (باريس) الفرنسية.

وقال غُنيم في (زفاف الفاروق):

مِـنْ عَهْـدِ فَاتِنَـةِ القَيَاصِـرِ لَـمْ تَـزَلْ مِصْـرٌ مَـرَاحَ نَـوَاعِمِ الأَجْسَـادِ

فـ (فاتنة القياصر) كناية عن (كليوبترة)، و(نواعم الأجساد) كناية عن النساء.

ومنها قول غنيم يصف (أُنس الطبيعة):

فَأَنْـتَ تَخَـالُنِي فَـرْدًا وَحَـوْلِي بَنَـاتُ الفِكْـرِ تُسْـرِفُ فِي الـدَّلَالِ

فـ (بنات الفكر) كناية عن الخواطر والمشاعر، وهي كناية عن موصوف.

وقال محمود غنيم في قصيدة (عصفورةٌ تتحدىٰ النسور)، والتي وصف فيها الآنسة المصرية التي فازت بمسابقة الطيران:

إِنَّمَـا المَجْـدُ دُرَّةٌ سَـبَحَتْ فِي الأُ فْـقِ، لَا فِي مَسَـابِحِ الحِيتَـانِ

فالشاعر كنىٰ بـ (مسابح الحيتان) عن البحر، وهي كناية عن موصوف، يقول: إن للطيران الآن المقامَ الأول في عالم المجد والقوة.

ومن هذا النوع من الكناية قول مفدي زكريا:

عَـانِقُوا الأَرْوَاحَ فِي هَـذَا الحِـمَى وَاهْبِطُـوا (الخَضْـرَاءَ) إِخْوَانًـا كِرَامَـا

(الخضراء): كناية عن تونس، وهي كناية عن موصوف.

قال شاعر الخضراء أبو القاسم الشابي مخاطبًا (الشادي المغرد):

وَاتْـرُكْ دُمُـوعَ الفَجْـرِ فِي أَوْرَاقِهَـا ... حَـتَّى تُرَشِّـفَهَا عَـرُوسُ النُّـورِ

فـ (دموع الفجر) كناية عن الندىٰ، وهي كناية عن موصوف، و(عروس النور) كناية عن الشمس، وهي كناية عن موصوف كذلك.

قال إسماعيل صبري:

يَهِـيمُ مِـنْ وَجْـدٍ وَمِـنْ لَوْعَـةٍ ... فِي الجَانِـبِ الأَيْسَـرِ مِـنْ أَضْـلُعِي

ذكر الشاعر عبارة (الجانب الأيسر من أضلعي)، وقصد (القلب)، وهي كناية عن موصوف.

ومن الكناية عن القلب كذلك قول شاعر المهجر رشيد أيوب:

تَـذَكَّرْتُ أَوْطَـانِي عَلَـى شَـاطِئِ النَّهْرِ ... فَجَـاشَ لَهِيـبُ الشَّـوْقِ فِي مَوْضِـعِ

فـ (موضع السِّر) كناية عن موصوف، هو الفؤاد.

ومن هذا النوع من الكناية قول (شاعر النيل) في الحرب اليابانية الرُّوسية:

قَـدْ أَقْسَـمَ البِـيضُ بِصُـلْبَانِهِمْ ... لَا يَهْجُـرُونَ المَـوْتَ أَوْ يُنْصَـرُوا

وأَقْسَـمَ الصُّـفْرُ بِأَوْثَـانِهِمْ ... لا يَغْمِـدُونَ السَّـيْفَ أَوْ يَظْفَـرُوا

أَشْـبَعْتِ يَـا حَـرْبُ ذِئَـابَ الفَـلَا ... وغَصَّـتِ العِقْبَـانُ والأَنْسُـرُ

إنْ كَـانَ هَـذَا الـدُّبُّ لا يَنْثَـنِي ... وَذَلِـكَ التِّنِّـينُ لا يُقْهَـرُ

في البيت الأول ذكر حافظ إبراهيم كلمة (البِيض)، وهي كناية عن موصوف، هو الشعب الياباني، وفي البيت الثاني ذكر كلمة (الصُّفر)، وهي كناية عن موصوف، هو الشعب الروسي، أما البيت الثالث فهو كناية عن صفة، لا موصوف، وهي كثرة القتلىٰ في الحرب، أما في البيت الرابع، فقد ذكر الشاعر

لفظين: (الذُّب)، والمقصود (روسيا)، و(التِّنِّين)، والمقصود (اليابان)، وكلاهما كناية عن موصوف.

ومنها قول حافظ إبراهيم راجيًا ومخاطبًا (بناتِ الشِّعر):

وَحُلِّي عُقْدَةً مِنْ أصْغَرَيْهِ يَلِنْ لِهُتَافِهِ قَاسِي الحَدِيدِ

فالأصغران كناية عن موصوفين هما القلب واللسان.

ومن النماذج الرفيعة لهذا النوع من الكناية قول مصطفىٰ صادق الرافعي في حجاب المرأة المسلمة:

أَلَا أَبْقُوا الحِجَابَ عَلَى الغَوَانِي قَدِ اشْتَبَه الحَمَائِمُ والصُّقُورُ

فالحمائم كناية عن الفتيات، والصقور كناية عن الشباب.

ومنها قول علي الجارم:

خُلُقٌ كَمَا يَصْفُو النُّضَارُ وطَلْعَةٌ أَزْهَى مِنْ ابْنِ اللَّيْلِ فِي هَالَاتِهِ

والمقصود من (ابن الليل) القمر، وهو كناية عن موصوف كذلك.

ومنها قول علي الجارم:

نَغَمُ الشِّعْرِ فِي رُبَى جَنَّاتِهِ أَسْكَتَ ابْنَ الغُصُونِ فِي دَوْحَاتِهِ

فـ (ابن الغصون) كناية عن موصوف هو الطير المغرد.

ومنها قول عليٰ الجارم أيضًا:

وَدَمُ الشَّبَابِ لَهُ رَوَائِعُ نَشْوَةٍ مَا نَالَهَا يَوْمًا دَمُ العُنْقُودِ

فـ (دمُ العنقود) كناية عن الخمر.

ومنها قول محمود سامي البارودي في وصف الخمر:

إذَا وَلَجَتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ رَأَيْتَهَا وَرَاءَ بَنَاتِ الصَّدْرِ تَسْفُلُ أَوْ تَعْلُو

فـ (بيتُ الضمير) كناية عن القلب، و(بناتُ الصّدر) كناية عن الهموم.

ومن أمثلة الكناية عن الموصوف قول محمد العيد آل خليفة:

أيُّهَا المُحْتَفُونَ بِالضَّادِ هَذَا حَرَمُ الضَّادِ فِي سُمُوٍّ وَأَمْنِ

فـ (الضّادُ) كناية عن موصوف، هو اللغة العربية.

كما يكنىٰ عن اللغة العربية بـ (بنت الصحاري) علىٰ حدّ قول علي الجارم في المدح:

تُنَافِحُ عَنْ بِنْتِ الصَّحَارِي مُشَمِّرًا وَتَفْتَحُ مِنْ أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ

وكنىٰ عنها الشاعرُ علي الجارم بـ (سليلة عدنان) حين أنشد مفتخرًا بمصر:

وَأَعَادَتْ إِلَى سَلِيلَةِ عَدْنَا نَ شَبَابًا غَضًّا وَمَجْدًا أَثِيلَا

كما كنىٰ عنها الجارم بـ (ابنة العرب) في قوله:

مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَّاجَةَ الأَدَبِ؟ هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ العَرَبِ[١]

كما كنىٰ عنها إبراهيم طوقان بـ (أمّ اللغات) في قوله:

حَنَوْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ فَصُنْتَهَا وَكُنْتَ لَهَا الصَّرْحَ المَنِيعَ المُمَرَّدَا

ومن أمثلة هذا النوع من الكناية قول مفدي زكريا بمناسبة فرحة الشعب الجزائري بعيد الاستقلال:

وَرَأَى الفَجْرَ بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلٍ فَرَأَيْنَا بَعْدَ الخُطُوبِ انْشِرَاحَهْ

(الفجر) كناية عن الاستقلال، و(الليل) كناية عن الاستعمار، وهما كنايتان عن موصوفين.

ومن النماذج النثرية في الكناية عن الموصوف قول رفاعة الطهطاوي يصف

---

(١) كان (أعشىٰ قيس) يلقّب بصنّاجة الأدب لحسن رنين شعره.

رحلةً في البحر: «وبَعْدَهَا عَصَفَتِ الرِّيَاح، وتَلَاعَبَ مَاءُ البَحْرِ بِذَاتِ الأَلْوَاح، تَلَاعُبَ الأَشْبَاحِ بِالأَرْوَاح». فـ (ذات الألواح) كناية عن السفينة، وهي كناية عن موصوف.

ومن أمثلتها قول ميخائيل نعيمة: «وفِي هَذَا السَّيْلِ الجَارِفِ مِنَ القِيلِ والقَالِ كَلِمَاتٌ تَتَرَدَّدُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا عَلَىٰ كُلِّ شَفَةٍ ولِسَان: الذَّهَبُ الأَسْوَدُ، والذَّهَبُ الأَصْفَر...»، فالذهب الأسود كناية عن موصوف هو البترول.

ومنها قول جبران خليل جبران علىٰ لسان المطر: «أَنَا خُيُوطُ فِضَّةٍ تَطْرَحُنِي الآلِهَةُ مِنَ الأَعَالِي، أَنَا لآلئُ جَمِيلَةٌ سَرَقَتْنِي ابْنَةُ الصَّبَاح، ورَصَّعَتْ بِيَ الحُقُول».

فـ (ابنة الصباح) كناية عن الشمس، وهي كناية عن موصوف.

٣) **الكناية عن نسبة:** «وهِيَ الكِنَايَةُ الَّتِي يَسْتَلْزِمُ لَفْظُهَا نِسْبَةً بَيْنَ الصِّفَة وصَاحِبِهَا المَذْكُورَيْنِ فِي اللَّفْظ»[1]، وتَتَمَيَّزُ هَذِهِ الكِنَايَةُ عَنِ النَّوْعَيْنِ السَّابِقَيْن بأَنَّ المَعْنَىٰ الأَصْلِيَّ لِلْكَلام غَيْرُ مُرَادٍ فِيهَا، وبِأَنَّنَا نُصَرِّحُ فِيهَا بِذِكْرِ الصِّفَةِ المُرَادِ إِثْبَاتُهَا لِلْمَوْصُوف، وإِنْ كُنَّا نَمِيلُ بِهَا عَنِ المَوْصُوفِ نَفْسِهِ إِلَىٰ مَا لَهُ اتِّصَالٌ بِه.

قال الجرجاني: «إِنَّهُمْ يَرُومُونَ وَصْفَ الرَّجُل، ومَدْحَهُ، وإِثْبَاتَ مَعْنًىٰ مِنَ المَعَانِي الشَّرِيفَةِ لَه، فَيَدَعُونَ التَّصْرِيحَ بِذَلِك، ويَكْنُونَ عَنْ جَعْلِهَا فِيه، بِجَعْلِهَا فِي شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْه، ويَلْتَبِسُ بِه، ويَتَوَصَّلُونَ فِي الجُمْلَةِ إِلَىٰ مَا أَرَادُوا مِنَ الإِثْبَات، لا مِنَ الجِهَةِ الظَّاهِرَةِ المَعْرُوفَة، بَلْ مِنْ طَرِيقٍ يَخْفَىٰ، ومَسْلَكٍ يَدِقّ»[2].

وهذه طائفة من نماذجها البليغة:

قال ناصيف اليازجي:

الفَخْرُ بَيْنَ بُرُوجِهِ وَسُرُوجِهِ ... وَالنَّصْرُ بَيْنَ سُيُوفِهِ ورِمَاحِهِ

(١) علوم البلاغة (ص ٢٤٧).

(٢) المفصل في علوم البلاغة (ص ٥٤٢).

فالشاعر كما ترىٰ قد نسب الفخر إلىٰ بروج الممدوح وسروجه، ومنه إلىٰ الممدوح نفسه، ونسب النصر إلىٰ سيوفه ورماحه، ومنه إلىٰ الممدوح.

ومن أمثلة هذا النوع من الكناية قول الشاعر علي الجارم في شأن شعراء لبنان الذين هاجروا إلىٰ أمريكا (شعراء الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية):

نَزَحُوا عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلا ... وَالعَزْمُ مِلْءُ حَقَائِبِ النُّزَّاحِ

حيث نسب الشاعرُ العزمَ إلىٰ الحقائب، ومنها إلىٰ تلك (الطُّيُورِ المُهَاجِرَة).

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

مُلِئَتْ بُرْدَتَاهُ عِلْمًا وَحِلْمًا ... وَحِجًا رَاسِخًا وَجُودًا غَزِيرَا

فالشاعر أراد أن ينسب العلم والحلم والحجا والجود إلىٰ ممدوحه، لكنه عَدَلَ عن نسبتها إليه مباشرة، فنسبها إلىٰ ملابسه، كون هذه النسبة تستلزم النسبة المُرادة.

وأبلغ منه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

مَضَى نَقِيَّ بُرُودٍ مَا بِهِ دَرَنٌ ... حَاشَا مَلَابِسُهُ أَنْ تَحْمِلَ الدَّرَنَا

وقريب منه قول محمود غنيم:

هَذَا الَّذِي وَلَّى نَقِيَّ الثَّوْبِ مَا ... مِنْ شُبْهَةٍ عَلِقَتْ بِذَيْلِ رِدَائِهِ

فالشاعر أراد أن ينسب النقاء إلىٰ مَن يرثيه، لكنه عَدَلَ عن نسبته إليه مباشرة، فنسبه إلىٰ ما له اتصال به، وهو ثوبه، لأنّ هذه النسبة تستلزم النسبة المُرادة.

قال محمد توفيق علي مادحًا:

وَالسَّعْدُ فِي أَبْوَابِهِ وَالمَجْدُ فِي ... أَثْوَابِهِ مُتَلَازِمَيْنِ تَآلَفَا

حيث نسب الشاعر السعد والمجد إلىٰ ما له اتصال بالممدوح، وهما أبوابه وأثوابه، لأن هذه النسبة تستلزم النسبة المرادة.

قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

الطُّهْـرُ وَالإِيمَـانُ مِـلْءُ رِدَائِهِـمْ وَالفِكْـرُ يُلْهِـبُ فِطْنَـةً وَذَكَـاءَ

نسب الشاعرُ الطهر والإيمان إلىٰ الرداء، ومنه إلىٰ الممدوحِين.

قال خليل مطران:

وَالعِـزُّ والجَـاهُ فِي هَـذَا الحِـمَى أَبَـدًا بِكُـمْ جَدِيـدَانِ مَـا كَـرَّ الجَدِيـدَانِ[1]

حيث صرَّح الشاعرُ بالموصوف (الممدوحِين)، المعبَّر عنه بضمير المخاطب (بكم)، وصرح كذلك بصفتين: (العزّ، والجاه)، ولكنَّ الشاعر لم يصرّح بالنسبة بين هاتين الصفتين والموصوف، بل نراهُ صرَّحَ بنسبة أخرىٰ، وهي: إثباتُ العزِّ والجاهِ إلىٰ الحمىٰ، وهذه النسبة إنما تستلزم النسبة المُرادة، وهي نسبة تلك الصفتين إلىٰ الممدوحِين. وبعبارة أوضح نقول: إن الشاعر قد نسب العزَّ والجاهَ إلىٰ حمىٰ الممدوحين، ومنه إلىٰ الممدوحِين أنفسهم.

وقال خليل مطران في وصف دَارِ ممدوحه:

وَمَشِـيدٌ مِـنَ الصُّـرُوحِ رَحِيـبٌ جَمَـعَ المَجْـدَ كُلَّـهُ فِي فِنَـاءِ

حيث نسب الشاعرُ المجدَ إلىٰ فناء الدار، ومنه إلىٰ الممدوح نفسه.

ومن نماذجها قول خليل مطران كذلك:

غَانِيَـةٌ فِي جَمَـالِ صُـورَتِهَا مَـا تَشْـتَهِيهِ المُـنَى مِـنَ الصُّـوَرِ

حيث نسب الشاعرُ الاشتهاء إلىٰ المُنىٰ، ومنها إلىٰ نفسه.

قال حافظ إبراهيم:

إِنِّي لَأُبْصِـرُ فِي أَثْنَـاءِ بُرْدَتِـهِ نُـورًا بِـهِ تَهْتَـدِي لِلْحَـقِّ ضُـلَّالُ

---

(١) الجديدان: كناية عن موصوفين هما الليل والنهار.

صرّح حافظ إبراهيم بالموصوف (الممدوح) المعبَّر عنه بضمير الغائب في (بُرْدَتِهِ)، وصرّح بصفة (النُّور)، ولكنه لم يصرّح بالنسبة بين هذه الصفة والممدوح، بل صرّح بنسبة أخرىٰ (إثبات النُّور إلىٰ البردة)، وهذه النسبة تستلزم النسبة المُرادة، وهي نسبة تلك الصفة إلىٰ الممدوح، نقول إنّ الشاعر قد نسب النُّور إلىٰ بردة الممدوح، ومنها إلىٰ الممدوح نفسه.

وقال حافظ إبراهيم في مدح شيخين:

خَمْسُونَ عَامًا فِي الجِهَادِ كِلَاهُمَا شَاكِي اليَرَاعَةِ طَاهِرُ الجِلْبَابِ

حيث صرّح الشاعر بالموصوف (الممدوحَيْن)، المعبّر عنهما بضمير الغائب (هما)، وصرّح بصفة الطهارة، ولم يصرّح بالنّسبة بين هذه الصفة والموصوفَين، بل نراه يصرّح بنسبة أخرىٰ (إثبات الطهارة للجلباب)، وهذه النسبة تستلزم النسبة المُرادة، وهي نسبة هذه الصفة (الطهارة) إلىٰ الممدوحَين، فالشاعر نسب الطهارة إلىٰ الجلباب، ومنها إلىٰ الممدوحَين.

ومن نماذجها النثرية قول أحمد حسن الزيات: «مَاذَا تَفْهَمُ مِنَ الشِّتَاءِ يَا ابْنَ مِصْرَ الضَّحُوك؟ هَلْ تَفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ أَسَابِيعُ مِنْ عُمْرِ العَام، لَا تَدْرِي أَهِيَ أَوَاخِرُ خَرِيفِهِ، أمْ أَوَائِلُ رَبِيعِه؟ هَلْ تَجِدُ فِي جِسْمِكَ غَيْرَ دِفْءِ النِّعْمَة؟ وفِي نَفْسِكَ غَيْرَ بَهْجَةِ الأَرْض؟ وفِي عَيْنِكَ غَيْرَ إِشْرَاقِ الجَمَال؟».

وقد وقعت الكنايات بالنسبة في قوله: (هَلْ تَجِدُ فِي جِسْمِكَ غَيْرَ دِفْءِ النِّعْمَة؟ وفِي نَفْسِكَ غَيْرَ بَهْجَةِ الأَرْض؟ وفِي عَيْنِكَ غَيْرَ إِشْرَاقِ الجَمَال؟) فقد نسب الدفء إلىٰ النعمة، ومنها إلىٰ الجسم، ونسب البهجة إلىٰ الأرض، ومنها إلىٰ النفس، ونسب الإشراق إلىٰ الجمال، ومنه إلىٰ العين.

بلاغة الكناية:

الغَرَضُ من الكناية هو المُبالغة، والبُعْدُ عن المباشرةِ، والمبالغةُ في الصفة

سبيلٌ إلىٰ تثبيتها في النفوس، لذلك يَعتبر الجاحظُ الكنايةَ أبلغ من التَّصريح، وهي أبلغُ من الإفصاح عند الجرجاني، فللكناية قيمةٌ بلاغية، «وهي أسلوب ذكي من أساليب التعبير عن المراد، وهي من أبدع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيع تصيّد الجميل النادر منها إلا أذكياء البلغاء وفطناؤهم، وممارسو التعبير عما يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة»[١]. ومن حسنات الكناية تجسيد المعاني، وإبرازها في صور محسوسة، تزخر بالحياة والحركة، فيكون ذلك أدْعىٰ لتأكيدها ورسوخها في النفس، ومن حسناتها أيضا أننا نستطيع أن نعبّر بوساطتها عن كثير ممّا نتحاشىٰ التصريح به، فهي باب واسع، تجد النفس فيها المكمن الآمن، والطريق السالك، والمسلك الخالي من كل ما يجلب التعب، والأذىٰ، «ألا ترىٰ أن أسلوب الكناية يمكّنك أن تشفيَ غليلك؟ فكم كلمةٍ لا تودُّ التصريح بها ترفّعا، فتجد في الكناية متنفسا، فتنتقل من المعنىٰ المكشوف إلىٰ المعنىٰ المكسوف، وربما كان ذلك خشية لا ترفّعا، فتنال بأسلوب الكناية من خصمك، وتبلغ ما لا تستطيعه في غيرها، فتشفي غلة نفسك، دون أن تجعل له إليك سبيلا»[٢] هذا «ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذانُ سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم، وكلام العرب، فقد كانوا لا يعبّرون عمّا لا يحسُن ذكره إلا بالكناية، فيذكر الواحدُ منهم المعاني التي يريدها، دون أن يخدش وجه الأدب»[٣].

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني الجزء الثاني (ص١٤١).
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها الدكتور فضل حسن عباس (ص ٢٧٠، ٢٧١).
(٣) البلاغة الواضحة (ص ١٣٢).

التطبيق

حدد الكناية ونوعها في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمود غنيم بعد فشل العدوان الثلاثي علىٰ مصر وتأميم قناة السويس:

بِـاللهِ، هَـلْ نَسِـيَ الأَشْـرَارُ أَنَّهُمُـو يَـوْمَ القَنَـاةِ عَلَـى أَقْفَـائِهِمْ صُفِعُوا؟

٢- وقال محمود غنيم:

فَمَـنْ مُبْلِـغٌ (بِنْـتَ المُعِـزِّ) بِـأَنَّ لِي فُـؤَادًا عَلَيْهَـا كَـالطُّيُورِ يُحَـوِّمِ؟

٣- وقال محمود غنيم يصف صباحَ يومٍ بارد:

قَـدْ يَظْفَـرُ البَاحِـثُ بِالعَنْقَـاءِ فِيـهِ، ولَا يَـرَى ابْنَـةَ السَّـمَاءِ

٤- وقال غنيم:

وَلَسْـتُ بِمُسْـتَطِيعٍ قَـبْضَ كَـفٍّ بَرَاهَـا اللهُ مِـنْ كَـرَمٍ وجُـودِ

٥- وقال في وصف البحر في أثناء الحرب العالمية الثانية:

ضَجَّتْ بَنَاتُ المَاءِ مِنْهُ وأَوْشَكَتْ تَجْفُـو الطُّيُـورُ لِأَجْلِـهِ أَوْكَارَهَـا

٦- قال محمد توفيق علي:

قَدْ طَالَ نَوْمُ النَّصْرِ عَنْ أَسْيَافِنَا لَـمْ يَبْـقَ إِلَّا يَقْظَـةُ اليَقْظَـانِ

٧- قال ناصيف اليازجي يمدح شاعرًا صديقًا:

يَتْلُـو لَنَـا سُـورَةَ الإِخْـلَاصِ مَنْطِقُـهُ وَوَجْهُـهُ ظَـلَّ يَتْلُـو سُـورَةَ الفَلَـقِ



٨- وقال اليازجي يصف رسالةً بُعثتْ إليه:

وَكَمْ دَنْدَنَتْ مِنْ حَوْلِ كَوْرَةِ مَسْمَعِي ... لِتَبْلِيغِ مَا أوْحَاهُ رَبِّي إلَى النَّحْلِ

٩- قال علي الجارم:

يَمْلَأُ الأرْضَ وَالسَّمَاءَ رِيَاءً ... وَعُيُوبُ الزَّمَانِ مِلْءُ ثِيَابِهِ

١٠- وقال علي الجارم:

وَبَنَاتُ دَهْرٍ قَدْ زَحَمْنَ مَنَاكِبِي ... وَيْلَاهُ لَوْ أسْتَطِيعُ وَأْدَ بَنَاتِهِ

١١- وقال علي الجارم في وصف الغريب في ديار الممدوح:

يَلْقَى بِهَا أيْنَمَا ألْقَى عَصَاهُ بِهَا ... أهْلًا بِأهْلٍ وأصْهَارًا بِأصْهَار

١٢- وقال يصف قلمَ الممدوح:

تَفُلُّ مِنْ مَوْطِنِ الأسْرَارِ سَوْرَتُهُ ... وَتُوقِظُ الدِّينَ والآدَابَ والكَرَمَا

١٣- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

أذَوِي العَمَائِمِ عِلِّمُوا وتَعَهَّدُوا ... بِالوَعْظِ والذِّكْرِ ذَوَاتِ البُرْقُعِ

١٤- قال معروف الرصافي في وصف أغاني (كوكب الشرق):

كُلُّ لَحْنٍ إذَا سَمِعْنَاهُ مِنْهَا ... دَبَّ فِينَا دَبِيبَ بِنْتَ الحَانِ

١٥- وقال الرصافي:

لَنَا قَلَبَ الدَّهْرُ الخَؤُونُ مِجَنَّهُ ... وَكَرَّ عَلَيْنَا لَابِسًا جِلْدَةَ النَّمِرِ

١٦- وقال الرصافي مادحًا:

إذا سَارَ سَارَ المَجْدُ فِي طَيِّ بُرْدِهِ ... يُرَافِقُهُ، أكْرِمْ بِهِ مِنْ مُرَافِقِ!

١٧- قال محمود سامي البارودي يهجو قومًا:

مَعْشَرٌ لَا وَلِيدُهُمْ طَاهِرَ المَهْدِ ... وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفَ الوِسَادِ



١٨- قال خليل مطران في مدح حافظ إبراهيم:

يَا شَاعِرَ النِّيلِ جَارِ النِّيلَ بِالشِّيَمِ   وَحَاكِ أطْيَارَهُ بِالشَّدْوِ والنَّغَمِ



حل التطبيق

المثال	الكناية الواردة في البيت	نوع الكناية
١	(علىٰ أقْفائهمْ صُفعوا)، كناية عن المذلة	كناية عن صفة
٢	(بنت المعزّ)، كناية عن مدينة القاهرة	كناية عن موصوف
٣	(يظفَرُ الباحثُ بالعنقاءِ)، كناية عن إمكانية تحقيق المستحيل	كناية عن صفة
٣	(ابنةَ السماء)، كناية عن الشمس	كناية عن موصوف
٤	(قبضَ كفٍّ)، وهي كناية عن البخل	كناية عن صفة
٥	(بنات الماء)، وهي كناية عن الحيتان وما إليها من الأحياء المائية	كناية عن موصوف
٥	(تجفو الطيورُ أوكارها)، كناية عن الهلع والخوف	كناية عن صفة
٦	(طال نوم النصر عن أسيافنا) كناية عن الهزائم والتعطش للنصر	كناية عن نسبة
٧	(يتلو لنا سورةَ الإخلاص منطقُهُ)، كناية عن منطقه الفريد	كناية عن صفة
٧	(وجهه ظل يتلو سورة الفلقِ)، كناية عن جماله المحسود	كناية عن صفة
٨	(لتبليغ ما أوحاه ربِّي إلىٰ النَّحْلِ)، كناية عن الحلاوة والجمال	كناية عن صفة
٩	(عيوب الزمان ملءُ ثيابه)، كناية عن القبائح والرذائل	كناية عن نسبة
١٠	(وبناتُ دهرٍ)، كناية عن الهموم والغموم	كناية عن موصوف
١٠	(زحمن مناكبي)، كناية عن كثرتها ووفرتها	كناية عن صفة
١١	(ألقىٰ عصاه)، كناية عن الاستقرار بعد التَّرحال	كناية عن صفة
١٢	(موطن الأسرار)، كناية عن القلب	كناية عن موصوف
١٣	(أذوي العمائم)، كناية عن الرجال	كناية عن موصوف
١٣	(ذوات البرقع)، كناية عن النساء	كناية عن موصوف

١٤	(بنت الحان)، كناية عن الخمر	كناية عن موصوف
١٥	(قلب الدهر مجنّهُ)، كناية عن الانقلاب والمجاهرة بالسوء	كناية عن صفة
١٥	(لابسا جلدة النمرِ)، كناية عن العداوة والجهر بالسوء	كناية عن صفة
١٦	(سار المجد في طيِّ بُرده)، كناية عن المجد والسؤدد	كناية عن نسبة
١٧	(لا وليدهم طاهر المهد)، كناية عن الانحلال الخُلقي	كناية عن نسبة
١٧	(ولا كهلهم عفيف الوساد)، كناية عن المُجون	كناية عن نسبة
١٨	(شاعر النيل)، كناية عن حافظ إبراهيم	كناية عن موصوف





التمرين الأول

عيّنْ نوع الكناية في النماذج البلاغية الآتية، واشرحها:

كتب أحمد حسن الزَّيات يصفُ حديقةً قال: «كنتُ أغْشَىٰ كلَّ صَبَاحٍ هَذَا المُجْتَلَىٰ السَّاحِر، فَهَا هِيَ ذِي أمُّ الكَوْنِ قدْ لَألَأَتْ بِسِهَامِهَا ذَوَائِبَ النَّخْل، وبَنَاتُ الهَدِيل يَبْحَثْنَ كَعَادَتِهِنَّ في فُروع التِّين، وهُنَّ يُرَجِّعْنَ علَىٰ التَّقَاعُدِ ألْحَانَ الخَرِيف، والسُّكُونُ مَرْهُوبُ الجَلَال، يَعْمُقُ ثُمَّ يَعْمُقُ حتَّىٰ تكاد تَسْمَعُ صوْتَ النَّبَاتِ وَهُوَ يَنْبُتُ، وطِفْلَان يَجِيئَانِ أحْيَانًا إلىٰ الحَدِيقَة، فلَوْلَا حَرَكَتُهُمَا لَحَسِبْتَهُمَا زَهْرَتَيْنِ من زُهُورِها، أو عُصْفُورَيْنِ مِنْ طُيُورِها.. أسِيرُ في الرَّوْضَةِ، وأسْأَلُ النَّبْتَةَ الوَلِيدَةَ بالأَمْسِ مَا حَظُّهَا اليَوْمَ مِنْ سِرِّ الحَيَاةِ، ونِعْمَةِ الوُجُود؟ فأَيُّ مَنْظَرٍ يَسْحَرُ اللُّبَّ، ويَمْلِكُ الطَّرْفَ كهَذَا المَنْظَرِ الفَاتِنِ الفَتَّان؟!».

قال نزار قبّاني في تعليقه علىٰ هزيمة العرب: «أهمُّ مَا فَعَلَهُ حُزَيْرَانُ هُوَ أنَّهُ رَمَانَا جَمِيعًا مِنْ خَلْفِ مَكَاتِبِنَا، وقَلَبَ مَقَاعِدَنَا، وقَذَفَ كُتُبَنَا وأوْرَاقَنَا وأقْلَامَنَا إلىٰ الشَّارِع، حُزَيْرَانُ غَرَزَ دَبُّوسًا حَادًّا في عَقْلِنَا، كَسَرَ كُلَّ طَوَاحِينِ الهَوَاءِ التي كَانَتْ تَدُورُ في دَاخِلِنَا، ولا تَطْحَنُ شَيْئًا، ثَقَبَ كُلَّ أكْيَاسِ الغُرُورِ والعَنْتَرِيَّات، التي كَانَتْ تَمْلأُ جَماجِمَنَا، حُزَيْرَانُ كَنَسَ مُسْتَعْمَرَاتِ العَنْكَبُوتِ في رُؤُوسِنَا، واغْتَالَ جَمِيعَ الخُرَافَات، مِنْ أبِي زَيْدٍ الهِلالِي، إلىٰ الزِّير، إلىٰ الشَّاطِرِ حَسَن، إلىٰ السِّنْدِبَاد، إلىٰ كُلِّ الأبْطَالِ المَصْنُوعِينَ مِنْ مَادَّةِ الحُلُم والتَّمَنِّيَات، والَّذِينَ اخْتَبَأْنَا وَرَاءَهُمْ قُرونًا لِنُخْفِي جُبْنَنَا، وعَجَزْنَا عَنْ أنْ نَكُونَ أبْطَالًا لِحِسَابِنَا الخَاص، كَانَ الخَامِسُ مِنْ حُزَيْرَانَ الجَنِينَ المَيِّت، الّذي حَمَلْنَاهُ إلىٰ المَقْبَرَةِ

لَيْلًا حَتَّىٰ لا يَرَانَا المَارَّة، لا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَرِّئَ نَفْسَهُ مِنْ دَمِ هَذَا الطِّفْلِ الَّذِي قُتِلَ فِي يَوْمِهِ السَّادِس، كُلُّنَا بِمَا فِي ذَلِكَ الجُدْرَانُ، والأَبْوَابُ، والأَشْجَارُ، ومَصَابِيحُ الطُّرُقَاتِ، غَارِقُوْنَ في التُّهْمَةِ حَتَّىٰ الرُّكَب».

قال أحمد أمين في وصفِ ثريٍّ: «لَمْ يَذُقْ يَوْمًا طَعْمَ الحَاجَة، كَانَ يَأْكُلُ فِي الحَيَاةِ مِنْ مَائِدَةٍ فَخْمَة، لَيْسَ فِيهَا تَوَابِل، ويَنْعَمُ دَائِمًا بِلَذَّةٍ لَمْ يُلَوِّنْهَا الشَّقَاء، لَمْ يُرْزَقْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ابْنًا وَاحِدًا، وُلِدَ وفِي فَمِهِ مِلْعَقَةٌ مِنَ الذَّهَبِ كَمَا يَقُولُون، وقَدْ وَضَعَ فِيهِ كُلَّ أَمَلِه، وفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام أَخَذَتِ الوَلَدَ الحُمَّىٰ، فارْتَفَعَتْ حَرَارَتُه، وذَبُلَ جِسْمُه، واصْفَرَّ وَجْهُه، وبَذَلَ الأَبُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ لِنَجَاتِه، لَكِنْ دُونَ جَدْوَىٰ، ويَنْظُرُ الأَبُ إِلَىٰ مَزَارِعِهِ الفَسِيحَةِ، ودُنْيَاهُ العَرِيضَة، فَيَرَاهَا أَضْيَقَ مِنْ سَمِّ الخِيَاط، يَتَمَنَّىٰ لَوْ جُرِّدَ مِنْ كُلِّ ثَرْوَتِهِ لِيَنْجُوَ ابْنُهُ مِنْ هَادِمِ اللَّذَّات، ولَكِنْ هَيْهَات هَيْهَات، فَقَدْ غَلَبَ القَدَرُ، وانْطَفَأَتْ شُعْلَةُ الوَلَد».

ولأحمد أمين أيضًا: «افْعَلْ مَا هُوَ صَحِيح، ثُمَّ أَدِرْ ظَهْرَكَ لِكُلِّ نَقْدٍ سَخِيف».

وقال في المدنيَّة الحديثة: «إِنَّ المَدَنِيَّةَ الغَرْبِيَّةَ قَامَتْ عَلَىٰ أَكْتَافِ أَشْخَاصٍ يُعَدُّونَ عَلَىٰ الأَصَابِع، لَكِنَّنِي أَرَىٰ أَنَّ العِلْمَ قَدْ أَسْرَعَ فِي السَّيْر، حَتَّىٰ جَاوَزَ القَلْبَ بِمَرَاحِل، فَوَاجِبُنَا أَنْ نَمْنَحَ العِلْمَ إِجَازَة، حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ القَلْبُ».

قال صَاحِبُ النَّظَرَات: «جَاءَ أَبُو تَمَّام شَيْخُ الصِّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّة، فَسَلَكَ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ البَدِيعَةِ طَرِيقَ اللَّفْظِ المَصْنُوع، والأَسْلُوبِ المُتَكَلِّف، فَثَغَرَ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ ثَغْرَةً أَلَحَّ عَلَيْهَا السَّائِرُونَ علىٰ أَثَرِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِأَظْفَارِهِمْ وأَنْيَابِهِمْ، حَتَّىٰ صَيَّرُوهَا فُوهَةً وَاسِعَة، لا تَمْنَعُ مَا وَرَاءَهَا، ولا تَدْفَعُ مَا أَمَامَهَا».

وقال أيضا: «أَلَيْسَ غَرِيبًا فِي لُغَةِ الضَّادِ أَنْ يَكُونَ لِسَفِينَةِ البَرِّ مِئَتَا اسْم، ولا يَكُونُ لِسَفِينَةِ البَحْرِ القَلِيلُ مِنْ ذَلِكَ الحَظِّ الكَثِير؟!».

قال ميخائيل نُعيمة: «نَحْنُ سَائِرُونَ إِلَىٰ أَهْدَافِنَا، مَا فِي ذَلِكَ شَكّ، إِلَّا أَنَّنَا نَسِيرُ بِأَرْجُلِ السَّلَاحِف، وكَانَ فِي إِمْكَانِنَا أَنْ نَطِيرَ بِأَجْنِحَةِ النُّسُور».

وَصَفَ صَاحِبُ العَبْقَرِيَّاتِ أسْلُوبَهُ في الكِتَابَة، قَال: «لسْتُ مِرْوَحَةً للكُسَالَىٰ النَّائِمِين».





التمرين الثاني

حدّد نوع الكناية في النماذج الشعرية الآتية:

قال محمود غنيم في تهنئة وزير:

مَـــنْ رَاحَ يَقْــرَعُ بَابَـــهُ لَـــمْ يُثْنِـــهِ ... جَـيْشٌ مِـــنَ الحُجَّـــابِ وَالأَجْنَـــادِ

إِنِّي غَــدَوْتُ بِفَضْــلِ بَسْــمَةِ ثَغْــرِهِ ... أَلْقَـــى الـــوَزِيرَ وَلَا يَـــدُقُّ فُـــؤَادِي

وقال محمود غنيم:

أَرَى مِـــنْكُمْ فَرِيقًــا حِــينَ يَمْشِــي ... يَحُـــكُّ بِأَنْفِـــهِ ظَهْـــرَ السَّـــحَابِ

وقال محمود غنيم:

أَعْـــزِزْ عَلَيْنَـــا أَنْ نَـــرَى جِيرَانَنَـــا ... يُتَخَطَّفُــونَ وَنَحْــنُ مَكْتُوفُــو اليَــدِ!

وقال أيضًا:

لَا تَبْسُــطُوا لِلْغَــرْبِ يَــا قَــوْمِي يَــدًا ... لِلْغَــرْبِ طَــرْفٌ فِي السِّيَاسَــةِ أَحْـوَلُ

وقال غنيم راثيًا:

شَـــيَّعْتُهُ وَرَجَعْـــتُ أَقْـــرَعُ بَابَـــهُ ... بِيَـــدِي أَقُـــولُ: لَعَلَّـــهُ فِي الـــدَّارِ

وقال شاكيًا حاله:

عَلَـــى رِسْـــلِكُمْ إِنِّي أُقِـــيمُ بِقَفْـــرَةٍ ... يَجُـوزُ عَلَـى الأَحْيَـاءِ فِيهَـا الـتَّرَحُّمُ

وقال واصفًا أبناء الفقراء:

بَـــاتُوا وَأَقْصَـــى هَمِّهِـــمْ لَـــوْ أَنَّهُـــمْ ... شَـــمُّوا قُتَـــارَ اللَّحْـــمِ فِي الأَعْيَـــادِ(١)

(١) قتار اللحم: رائحته المنبعثة منه عند طبخه.



وله أيضًا:

لَيْسَ يَرْضَى الكَرِيمُ أَنْ يَلْبَسَ العَا ... رَ، وَيَرْضَى أَنْ يَلْبَسَ الأَكْفَانَا

وقال لله دره:

شَعْبُ العُرُوبَةِ صَانَ اللهُ وَحْدَتَهُ ... تُحْصَى النُّجُومُ وَلَا تُحْصَى مَفَاخِرُهْ

وقال محمود غنيم مداعبًا:

قَالُوا لَنَا: عَدَسٌ، فَأَفْزَعَنِي اسْمُهُ ... لِمَ لَا، وقَدْ تَكَوَّنَ مِنْهُ هَيْكَلِي

حَتَّى ظَفِرْتُ لَدَى الوَزِيرِ بِأَكْلِهِ ... فَلَعِقْتُ مِنْ بَعْدِ المَلَاعِقِ أَنْمُلِي

وقال واصفًا حسرته على ساعته التي أضاعها:

قَدْ لَازَمَتْ مِعْصَمِي سِنِينَ إِلَى ... أَنْ أَصْبَحَتْ قِطْعَةً مِنَ الجَسَدِ

أَرْنُو إِلَيْهَا إِنْ مَشَيْتُ وَإِنْ ... جَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ كَشَفْتُ يَدِي

قال أمير الشعراء في وصف إحدى المعارك:

نَجَوْا بِالنُّفُوسِ الذَّاهِلَاتِ ومَا نَجَوْا ... بِغَيْرِ يَدٍ صِفْرٍ، وأُخْرَى تُقَلَّبُ

يَسِيرُ عَلَى أشْلَاءِ وَالِدِهِ الفَتَى ... وَيَنْسَى هُنَاكَ المُرْضَعَ الأُمُّ والأَبُ

وقال شوقي مخاطبًا بلدته (الاستانة) وواصفًا حنين الملك فاروق إليها:

فِي كُلِّ عَامٍ أَنْتِ نُزْهَةُ رُوحِهِ ... ونَعِيمُ مُهْجَتِهِ ورَاحَةُ بَالِهِ

يَغْشَاكِ قَدْ حَنَّتْ إِلَيْكِ مَطِيُّهُ ... ويَؤُوبُ والأَشْوَاقُ مِلْءُ رِحَالِهِ

وقال أحمد شوقي أيضًا:

أَرَى مِصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السِّلَاحِ ... وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وِلْدَانُهَا

قال نزار قبّاني:

يَا تُونُسُ الخَضْرَاءَ جِئْتُكِ عَاشِقًا ... وَعَلَى جَبِينِي وَرْدَةٌ وَكِتَابُ

قال بشارة الخوري مخاطبًا الفلاحين:

مِحْـــرَاثُكُمْ صَـــدِئَ الحَدِيـــدُ بِـــهِ وَالفَـــأْسُ مِـــلْءُ عُيُونِهَـــا الوَسَـــنُ

قال حافظ إبراهيم مهنئًا الإمام محمد عبده في أثناء سياحته إلىٰ الجزائر:

أَدْرَكُـــوا قَـــدْرَ ضَـــيْفِهِمْ فَأَقَـــامُوا يَرْقُبُـــونَ الإِمَـــامَ فَـــوْقَ السَّـــحَابِ

ولحافظ إبراهيم في الهجاء:

كَـمْ صَـكَّ مَسْـمَعَنَا بِجَنْـدَلِ لَفْظِـهِ وَأَطَـــالَ مِحْنَتَنَـــا بِطُـــولِ لِسَـــانِهِ

وقال حافظ مادحًا:

ذَكَّرْتَنَـــا يَـــوْمَ ضَـــاعَتْ أَرْضُ أَنْـــدَلُسٍ الحَرْبُ فِي البَابِ والسُّلْطَانُ فِي اللَّعِبِ

وقال حافظ في وصف قطار:

رَأَيْـــتُ ابْـــنَ البُخَـــارِ عَلَـــى رُبَاهَـــا يَمُـــرُّ كَأَنَّـــهُ شَـــرْخُ الشَّـــبَاب

وقال حافظ إبراهيم في وصف شعر خليل مطران:

وَطَمِعْنَـــا فِي شَـــأْوِهِ فَقَعَـــدْنَا وَكَسَـــرْنَا مِـــنْ عَجْزِنَـــا الأَقْلَامَـــا

قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي في مدح محمود سامي البارودي:

وَتَفِـي وَوَعْـدُكَ بَعْـدُ طِفْـلٌ يَـافِعٌ وَسِـــوَاكَ يَهْـــرُمُ عِنْـــدَهُ المَوْعُـــودُ

وقال في وصف المستعمرين:

إِذَا مَـــا سَـــأَلْنَاهُمْ أَدَارُوا وُجُـــوهَهُمْ وَهَـــزُّوا لَنَـــا أَكْتَـــافَهُمْ وَتَجَهَّمُـــوا

قال الشاعر السوري سليمان الصولة في مدح الأمير عبد القادر الجزائري:

مَلِـــكٌ بِدَعْوَتِـــهِ وَجُـــودِ يَمِينِـــهِ يَحْيَـــا الـــرَّمِيمُ وَيُـــورِقُ الصَّـــوَّانُ

قال صبري في مدح الخديوي توفيق بمناسبة انتقاله من الإسكندرية إلىٰ القاهرة:

سِرْ إِلَى مِصْرَ يَقْتَفِي إِثْرَكَ الْيُمْ ... نُ وتَحْدُو رِكَابَكَ العَلْيَاءُ

قال الشاعر علي الجندي:

هَلْ طَافَ بِالأَوْهَامِ أَنَّ الدُّبَّ فِي ... بَرْلِينَ بِالأَسَدِ الغَضَنْفَرِ يَلْتَقِي؟

ثِقَةُ الوَرَى (بِالعَمِّ سَامَ) وَثِيقَةٌ ... فَلَعَلَّهُ يَقْضِي قَضَاءً مُوَفَّقِ

وقال علي الجندي متحسرًا علىٰ الصداقة:

أَكُلُّ خَلِيلٍ تَحْتَ بُرْدَيْهِ (ذِئْبٌ) ... وكُلُّ صَدِيقٍ حَشْوُ ثِيَابِهِ (ثَعْلَبُ)؟

قال علي الجارم يصف جيشًا:

لَوْ صُبَّتِ الأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهُمْ ... مَا مَسَّ مَوْطِئَ نَعْلِهِمْ أَمْطَارُ

وقال علي الجارم:

يَا ابْنَةَ اليَمِّ لا تُرَاعِي فَإِنِّي ... قَدْ رَأَيْتُ الأُمُورَ جَزْرًا ومَدَّا

وللجارم أيضًا:

للنَّصْرِ فِي أَعْلَامِهِمْ ... صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الغُمُودِ

قال خليل مطران:

المَجْدُ رَهْنُ إِشَارَةٍ بِيَمِينِهِ ... والنَّصْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالمُنْقَادِ

وَالفَخْرُ فِي رَايَاتِهِ مُتَمَثِّلٌ ... وَطَلَائِعُ العُقْبَانِ فِي تَرْدَادِ

يُلْقِي الرِّجَالَ عَلَى الثَّرَى قَتْلَى ... كَمَا يُلْقِي السَّنَابِلَ مِنْجَلُ الحَصَّادِ

وقال خليل مطران في مدح منزل الممدوح:

حَبَّذَا فِي الصُّرُوحِ صَرْحٌ مَشِيدٌ ... لِعَمِيمِ القِرَى كَثِيرِ الرَّمَادِ

وقال مطران واصفًا أخلاقَ عَرُوسِ ممدوحه:

مِـنْ بَيْـتِ مَجْـدٍ فَارَقَتْـهُ فَضَـمَّهَا   بَيْـتٌ كَفِيلَـةُ مَجْـدِهِ الأَدْهَـارُ

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة واصفًا حال الأمة العربية:

دَعِـي الجِـرَاحَ.. دَعِيهَـا فِي أكِنّتِهَـا   ولا تَصُـبِّي إنَـاءَ الزَّيْـتِ فِي الحَطَـبِ

ألا أشِـيبُ وزَهْـرُ الشَّـامِ تَقْطِفُـهُ   أَصَـابِعُ الإثْـمِ والأشْـلاءُ للرُّكَـبِ؟

وفِي العِـرَاقِ نَخِيـلٌ لَـمْ يَـنَمْ سَـنَةً   يُقَلّبُ الكَفَّ طُولَ اليَوْمِ فِي عَجَـبِ

قال معروف الرصافي مخاطبًا قومه:

فَقَدْ بُحَّ صَوْتِي واسْتَشَاطَتْ جَوَانِحِي   وَقَـلَّ اصْـطِبَارِي واسْـتَطَالَ بُكَـائِي

قال الشاعر القروي مخاطبًا (نسمةً):

قُـولِي: عَلَـى لُبْنَـانَ أَلْـفُ تَحِيَّـةٍ   مِـنْ نَـازِحٍ قَلِـقِ الوِسَـادِ مُسَـهَّدِ

وقال رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) مخاطبا نفسه، وهو يقرع السنّ أسفًا علىٰ حياته في الغربة:

دَفَنْـتَ رَبِيـعَ عُمْـرِكَ فِي بِـلادٍ   بِهَـا طَالَـتْ لَيَالِيـكَ القِصَـارُ

ثِمَـارُكَ مِـنْ طَوَافِـكَ سَـعْيُ نَمْـلٍ   وحَـظُّ صَرَاصِـرَ، بِـئْسَ الثِّمَـارُ

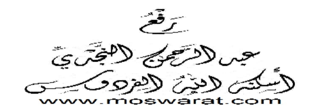
وَفِي أذُنَيْـكَ صَـوْتٌ مِسْـتَمِرٌّ:   «رَشِـيدُ» أفِـقْ صَـفَّرَ القِطَـارُ

قال الشاعر المبدع عبد الحليم المصري:

وَظَبْيَـةٍ كَنَسِـيمِ الـرَّوْضِ تَحْسَـبُهَا   مِنْ خِفَّةِ الرُّوحِ لَا تَمْشِـي عَلَـى قَـدَمِ

تَـاللهِ مَـا كُنْـتُ أَدْرِي أَنَّهَـا نَظَـرَتْ   لَـوْلَا رَأَيْـتُ عَلَـى ثَـوْبِي رَشَـاشَ دَمِي





قائمة المراجع والأعمال الأدبية

١- المراجع:

١- المفصَّل في علوم البلاغة العربية. الدكتور عيسىٰ علي العاكوب. منشورات جامعة. حلب. ٢٠٠٠.

٢- البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع. الدكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر والتوزيع. الأردن. ط ١٠. ٢٠٠٥.

٣- علوم البلاغة. الدكتور محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب. المؤسسة الحديثة للكتاب. طرابلس لبنان. ٢٠٠٣.

٤- البلاغة الواضحة. علي الجارم، مصطفىٰ أمين. دار المعارف. مصر. ١٩٩٩.

٥-علم البيان. الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. لبنان. ١٩٨٥.

٦- فن التشبيه. علي الجندي. مطبعة نهضة مصر. جمهورية مصر العربية. ط ١. ١٩٥٢.

٧- التصوير المجازي والكنائي. الدكتور صلاح الدين محمد أحمد. مكتبة سعيد رأفت. مصر. ط ١. ١٩٨٨.

٨- المعجم المفصل في علوم البلاغة. الدكتورة إنعام نوّال عكاوي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط ٢. ١٩٩٦.

٩- معجم البلاغة العربية. الدكتور بدوي طبانة. دار المنارة، دار الرفاعي. المملكة العربية السعودية. ط ٣. ١٩٨٨.

١٠- البيان العربي. الدكتور بدوي طبانه. مطبعة الرسالة. مصر. ط ٢. ١٩٥٨.

١١- علوم البلاغة. أحمد مصطفىٰ المراغي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط ٢. ١٩٩٣.

١٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. عبد الرحمان حسن الميداني. دار القلم. دمشق، الدار الشامية بيروت. ط ١. ١٩٩٦.

١٣- علم البيان. الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود. دار المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. ط ٢. ١٩٩٨.

١٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. بهاء الدين السبكي. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية بيروت. ط ١. ٢٠٠٣.

١٥- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ٢٠٠٠.

١٦- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ٢٠٠١.

١٧- جوهر الكنز. ابن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ٢٠٠٩.

١٨- كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري. مطبعة الخانجي. ١٣٢٠ هجرية.

١٩- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. مؤسسة المختار. القاهرة. ط ٣. ٢٠٠٧.

٢٠- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء. الدكتور حامد صالح خلف الربيعي. مكتبة الملك فهد الوطنية. المملكة العربية السعودية. ١٩٩٦.

٢١- سرُّ الفصاحة. محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ١٩٨٢.

٢٢- البلاغة العربية في ثوبها الجديد. علم البيان. الدكتور بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٧.

٢- الأعمال الأدبية:

١- ديوان محمود سامي البارودي. ضبط وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق المعلوف. دار العودة. ط١. ١٩٩٨.

٢- ديوان محمود غنيم (صرخة في واد). لجنة البيان العربي. مطبعة الاعتماد. مصر. ط١. ١٩٤٧.

٣- ديوان محمود غنيم (رجع الصدىٰ). مطابع دار الشعب. مصر. ط١. ١٩٧٩.

٤- ديوان الرافعي. تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ٢٠٠٤.

٥- الأعمال الكاملة. مصطفىٰ صادق الرافعي. تقديم الدكتور عبد الله القط. مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. ط ١. ١٩٩٤.

٦- ديوان حافظ إبراهيم. مكتبة لبنان. بيروت. ط ١. ١٩٩١.

٧- ديوان خليل مطران. دار الهلال، دار المعارف. مصر. ط ٢. ١٩٤٩.

٨- ديوان إسماعيل صبري باشا. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ١. ١٩٣٨.

٩- الأعمال الكاملة. مصطفىٰ لطفي المنفلوطي. مراجعة أحمد زهوة. دار الكتاب العربي. لبنان. ط ١. ٢٠١٢.

١٠- الأعمال الشعرية الكاملة. أحمد شوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٨٨.

١١- الأعمال الكاملة. توفيق الحكيم. مكتبة لبنان ناشرون. لبنان. ط ١. ١٩٩٤.

١٢- المجموعة الكاملة. ميخائيل نعيمة. دار العلم للملايين. بيروت. ط ١. ١٩٧٥.

١٣- الأعمال الشعرية الكاملة. إيليا أبو ماضي. دار العودة. لبنان. ط ١٠. ٢٠١٥.

١٤- الأعمال الكاملة. الشاعر القروي. دار العودة. بيروت. ط ٧. ١٩٩٨.

١٥- الأعمال السياسية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط ٢. ١٩٩٩.

١٦- الأعمال النثرية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط ١. ١٩٩٣.

١٧- ديوان رشيد أيوب. مؤسسة هنداوي. مصر. ط ١. ٢٠١٢.

١٨- ديوان سجع الحمامة. بطرس كرامة. المطبعة الأدبية. بيروت. ط ١. ١٨٩٨.

١٩- ديوان عمر الأنسي (المورد العذب). عبد الرحمان طبيب. بيروت. ط١. ١٢٩٣هجرية.

٢٠- ديوان محمد توفيق علي. مؤسسة هنداوي. مصر. ط ١. ٢٠١٢.

٢١- ديوان بدر شاكر السياب. دار العودة بيروت. ٢٠١٦.

٢٢- ديوان أمين الجندي. دار المعارف بيروت. بدون تاريخ.

٢٣- حديث عيسىٰ بن هشام. محمد المويلحي. دار هنداوي. مصر. ٢٠١٢.

٢٤- مقامات عائض القرني. مكتبة الصحابة. الشارقة. الإمارات. ط١. ٢٠٠٠.

٢٥- الأخطل الصغير أمير الشعراء. بشارة الخوري. دار الكتاب العربي. لبنان. ط ١. ٢٠٠٦.

٢٦- المجموعة الكاملة. جبران خليل جبران. دار الجيل. بيروت. ط ١. ١٩٩٤.

٢٧- ديوان معروف الرصافي. مراجعة مصطفىٰ الغلاييني. مؤسسة هنداوي. القاهرة. ٢٠١٤.

٢٨- «سحر بابل وسجع البلابل»: ديوان جعفر الحلِّي. منشورات الشريف الرضي. العراق. ط١. ١٤١١هـ.

٢٩- ديوان محمد العيد آل خليفة. دار الهدىٰ. الجزائر. ط ١. ٢٠١٠.

٣٠- اللهب المقدس. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. ٢٠٠٧.

٣١- إلياذة الجزائر. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط ٢. ١٩٨٧.

٣٢- ديوان الشيخ أحمد سحنون. منشورات الحبر.الجزائر. ط ٢. ٢٠٠٧.

٣٣- ديوان علي الجارم. دار الشروق.. القاهرة، بيروت. ط ١. ١٩٨٦.

٣٤- ديوان ألحان الأصيل. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. ط١. ١٩٥٠.

٣٥- ديوان أغاريد السحر. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. ط١. بدون تاريخ.

٣٦- فيض الخاطر. أحمد أمين. مكتبة النهضة. مصر. ط ٣. ١٩٥٣.

٣٧- آثار محمد البشير الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط ١. ١٩٩٧.

٣٨- ديوان أبي القاسم الشابي. تقديم مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ٢. ١٩٩٤.

٣٩- ديوان الشيخ عبد المحسن الكاظمي. دار إحياء الكتب العربية. مصر. ط ١. ١٩٤٨.

٤٠- ديوان محمد بلقاسم خمّار. دار أطفالنا للنشر والتوزيع. الجزائر. ط ١. ٢٠١٠.









مُحْتَوياتُ الكِتابْ


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تجديد
علم البديع
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
تجديد
علم البيان
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
تجديد علم البيان - عمر مصطفاي
6 223006 074170
٨ شارع البيطار خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٢/٢٥١٤١٧٠٤ - ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١ - ٠١٢٢٣٨٨٨٩٣٠
dar_altakoa@hotmail.com
dar_altakoa@yahoo.com
دار التواصل